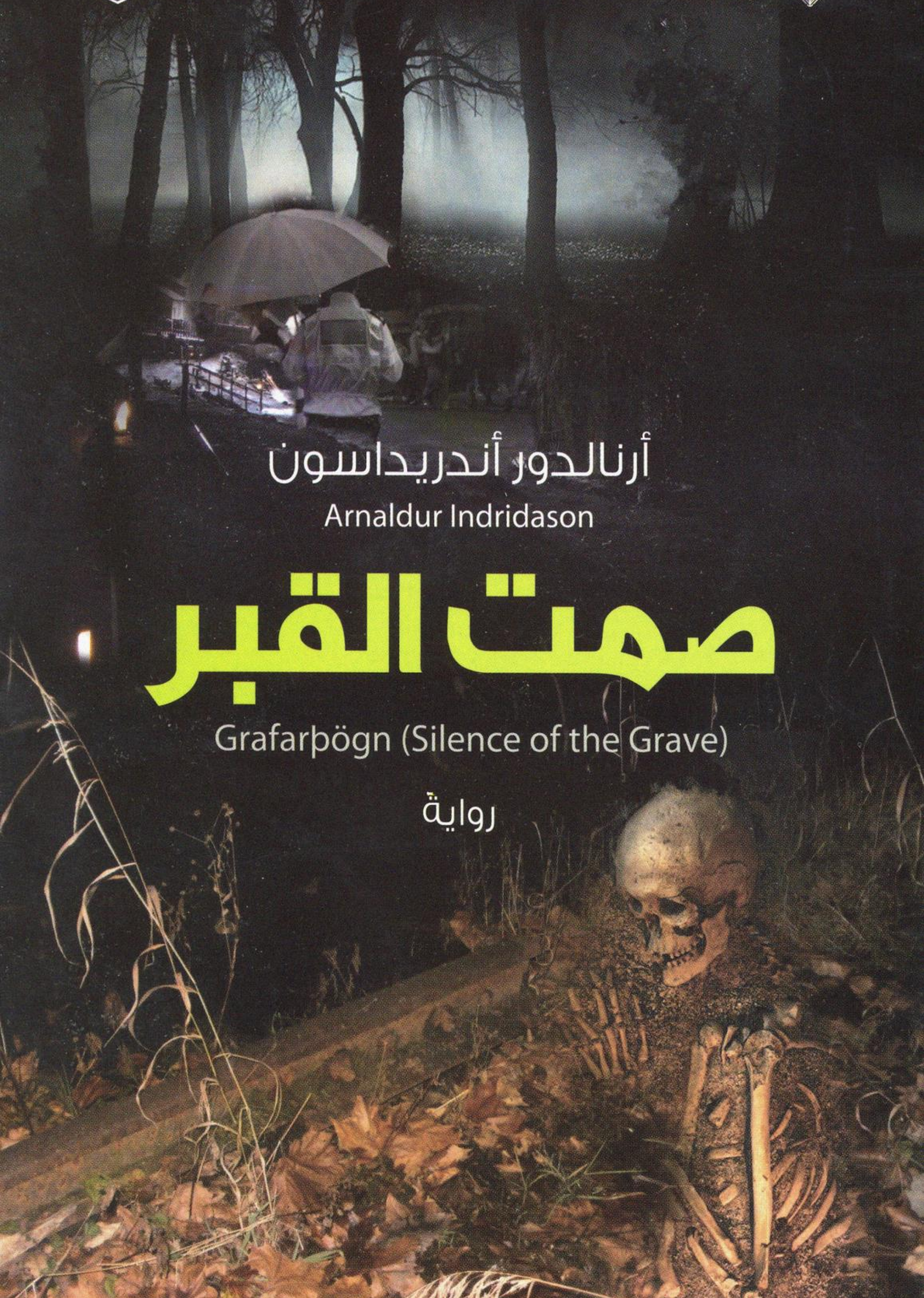
Bókmenntasjóður
The Icelandic Literature Fund

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.



أرنالدور أندريداسون
Arnaldur Indridason

صمت القبر

Grafarþögn (Silence of the Grave)

رواية

صمت القبر

Grafarþögn (Silence of the Grave)

صمت القبر

Grafarþögn (Silence of the Grave)

روايـــــة

أرنالدور أندريداسون

Arnaldur Indriđason

ترجمة

مروان سعد الدين

مراجعة وتحرير

مركز التعريب والبرمجة

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل

Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يتضمن هذا الكتاب ترجمة رواية
Silence of the Grave
تأليف Arnaldur Indriđason
حقوق الترجمة العربية مرخّص بها قانونياً من الناشر Forlagid Publishing
بمقتضى الاتفاق الخطي الموقع بينه وبين الدار العربية للعلوم ناشرون، ش.م.ل.
Title of the original Icelandic edition: **Grafarþögn**
Published by agreement with Forlagid Publishing, www.forlagid.is

This books has been published with a financial support of Bokmenntasjóður/Icelandic Literature Fund

Bókmenntasjóður
The Icelandic Literature Fund

الطبعة الأولى
1432 هـ - 2011 م

ردمك 978-614-01-0295-8

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 – 785108 – 785107 (1-961+)
ص.ب: 13-5574 شوران – بيروت 1102-2050 – لبنان
فاكس: 786230 (1-961+) – البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

التنضيد وفرز الألوان: **أبجد غرافيكس**، بيروت – هاتف 785107 (1-961+)
الطباعة: **مطابع الدار العربية للعلوم**، بيروت – هاتف 786233 (1-961+)

1

حين أخذها من الطفلة التي تمصها وهي جالسة على الأرض، عرف فوراً أنها عظمة تعود لإنسان.

كانت حفلة الميلاد قد وصلت آنذاك إلى ذروتها، وكانت الضوضاء تصم الآذان. فقد جاء فتى توصيل البيتزا وذهب، وأكل الأولاد الطعام بنهم، وتجرّعوا الكوكا بشراهة، وهم يصرخون طوال الوقت، ثم ابتعدوا عن الطاولة معاً. وفجأة، بدأوا يركضون حول الطاولة مجدداً، وبعضهم مسلّح برشاشات ومسدسات، والأصغر سناً يمسكون سيارات أو ديناصورات بلاستيكية. لم يستطع اكتشاف ماهية تلك اللعبة، وبدت الغرفة صاخبة، والضجيج يثير الغضب.

وضعت والدة الفتى المحتفل بذكرى ميلاده بعض الذرة في المايكروويف، وأخبرت الرجل أنها ستحاول تهدئة الأولاد. ستحثّهم على تشغيل التلفاز ولعب لعبة فيديو، وإذا فشلت في مسعاها، فسترمي بهم خارجاً. كانت تلك هي المرة الثالثة التي يحتفلون فيها بذكرى ميلاد ابنها الثامنة، وأعصابها متوترة إلى أقصى حدّ. إنه الاحتفال الثالث على التوالي بذكرى مولده! ففي المرة الأولى، خرجت الأسرة كلها لتناول وجبة في مطعم مترف للبرغر تصدح فيه موسيقى روك تصم الآذان، ثم أقامت لاحقاً حفلة لأقارب الأسرة وأصدقائها، والتي كانت مناسبة مهيبة. وفي الحفلة الثالثة، كان الفتى قد دعا زملاءه وأصدقاءه من الحي.

فتحت المايكروويف، وأخرجت كيس الذرة المنتفخ، ثم

وضعت آخر مكانه، وفكّرت في قرارة نفسها في أنّها ستجعل الأمر بسيطاً في السنة التالية؛ فحفلة واحدة تكفي، كما حدث حين كانت طفلة صغيرة.

لم يكن انطواء الرجل الجالس على الأريكة على نفسه مفيداً كثيراً. كانت قد حاولت الثرثرة معه، ولكنها تخلّت عن ذلك، وشعرت بالتّوتر من وجوده في حجرة جلوسها. كان الحديث مستحيلاً. وأوقعتها الضوضاء والفوضى التي يثيرها الفتيان في حيرة. لم يحاول تقديم المساعدة، وإنما جلس هناك فقط وهو يحدّق إلى الخواء، من دون أن ينبس ببنت شفة. كان خجلاً جداً، كما فكّرت في قرارة نفسها.

لم تكن قد رأت الرجل قطّ من قبل، وعمره على الأرجح 25 عاماً، وهو شقيق أحد أصدقاء ابنها، وبينهما 20 سنة تقريباً. كان نحيلاً مثل مدمّة (أداة ذات أسنان لتجميع العشب). صافحها بتحفظ عند الباب بأصابعه الطويلة، وراحة كفّه الدبقة. كان قد جاء لاصطحاب شقيقه الذي رفض رفضاً قاطعاً أن يغادر فيما الحفلة لا تزال في أوجها. عندها، قرّرا أن عليه الدخول لبعض الوقت، فالأمر سينتهي قريباً كما قالت له. شرح لها أن والديه اللذين يعيشان في منزل يقع في نهاية الشارع كانا خارج البلاد، وأنه يعتني بشقيقه. في الواقع، لقد استأجرا شقة في المدينة. تململ عند المدخل وهو يشعر بعدم الارتياح، في حين عاد شقيقه الصغير مسرعاً إلى الفوضى.

كان يجلس آنذاك على الأريكة، ويراقب شقيقة الفتى صاحب ذكرى الميلاد التي تبلغ من العمر سنة واحدة وهي تزحف على الأرضية أمام إحدى غرف نوم الأطفال. كانت ترتدي ثوباً أبيض مزخرفاً، وتربط شريطاً حول شعرها، وتصرخ من تلقاء نفسها. شتم سراً شقيقه الصغير، فلم يكن الوجود مع أسرة غريبة عنه مريحاً بالنسبة

إليه. تسـاءل إن كان يجب عليه أن يعرض مسـاعدته. أخبرته الأم أن والد الفتى يعمل حتى وقت متأخر من المساء. أومأ وحاول أن يبتسم، ورفض ما عرضته عليه من البيتزا والكولا.

لاحظ أن الفتاة تمسك دمية من نوعٍ ما، وتعضّها فيما هي جالسة على الأرض، ولعابها يسيل غزيراً. بدا أنَّ لثّتها تزعجها، وفكّر في أن أسنانها تنبت على الأرجح.

عندما اقتربت الطفلة الصغيرة منه ودميتها في يدها تسـاءل عن ماهيتها. توقفت، أسندت نفسها إلى مؤخرتها، ثم جلست على الأرض وفمها مفتوح وهي تنظر إليه. سال لعابها ووصل إلى صدرها. وضعت الدمية في فمها وعضّتها، ثم زحفت نحوه، عبست ثم قهقهت، فسقطت الدمية من فمها. وجدتها مجدداً بصعوبة، واتجهت مباشرة إليه وهي تحملها بيدها، ثم استندت إلى قائمة الأريكة ووقفت بجانبه، تتمايل سعيدةً بإنجازها.

أخـذ اللعبـة مـن يدهـا، وأمعـن النظـر إليهـا. نظـرت الطفلة إليه بارتبـاك، ثـم بـدأت تصـرخ بـكل مـا أوتيت من قوة. لـم ينقضِ وقت طويل قبل أن يدرك أنها كانت تحمل عظمة بشرية؛ ضلعاً طوله عشرة سـنتيمترات. كان لونها أبيض مصفرّاً، وكانت مصقولة حيث كُسـرت بحيـث لـم تعـد الحـواف حـادّة، وهناك بقع بنية داخل الكسـر؛ وكأنه تراب.

خمّن أنها مقدمة ضلع، ورأى أنها قديمة جداً.

عندمـا سـمعت الأم الطفلـة تبكـي، نظـرت إلـى غرفة الجلوس، ورأت ابنتها واقفة على الأريكة بجانب الغريب، فوضعت وعاء البوشار جانبـاً، وذهبـت إليهـا، وحملتهـا ثم نظرت إلى الرجل الذي بدا غافلاً عنها وعن طفلتها التي تصرخ.

سـألت الأم بقلـق وهـي تحـاول تهدئـة طفلتها: «مـاذا حدث؟». رفعت صوتها في محاولة لجعله يعلو على ضوضاء الفتيان.

نظـر الرجـل إلـى الأعلـى، ثـم نهـض ببطء علـى قدميه، وأعطى الأم العظمة.

سأل: «من أين حصلَت على هذه؟».

قالت: «ماذا؟».

قال: «هذه العظمة، من أين جاءت بها؟».

قالت الأم: «عظمة؟». عندما رأت الفتاة العظمة مجدداً هدأت، وحاولت الإمساك بها، فأصاب عينيها حوَلٌ نتيجة التركيز، وسال مزيد من اللعاب من فمها المفتوح. انتزعت الطفلة منه العظمة، وتحسّستها بيديها.

قال الرجل: «أظن أنها عظمة».

وضعتها الطفلة في فمها، وهدأت مجدداً.

قال: «الشيء الذي تعضّه، أظن أنها عظمة بشرية».

نظرت الأم إلى طفلتها التي تضع العظمة في فمها.

«لم أرها قطّ من قبل. ماذا تعني بقولك إنها عظمة بشرية؟».

قـال: «أظـن أنهـا جـزء مـن ضلع إنسـان». أضـاف موضحاً: «أنا طالب في الطب، في سنتي الخامسة».

«هذا هراء! هل أحضرتها معك؟».

سأل: «أنا؟ لا. هل تعرفين من أين أحضرتها؟».

نظـرت الأم إلـى طفلتهـا، ثـم أخرجت العظمـة من فمها ورمتها على الأرض، فانفجرت الطفلة بالبكاء مرة أخرى. التقط الرجل العظمة ليفحصها عن كثب.

«ربما شقيقها يعرف...».

نظر إلى الأم التي نظرت إليه بارتباك، ثم نقلت بصرها بين ابنتها التي تبكي والعظمة، ثم عبر نافذة غرفة الجلوس إلى المنازل التي لم ينتهِ بناؤها بعد، ثم إلى العظمة والغريب مجدّداً، وأخيراً إلى ابنها الذي جاء وهو يجري من إحدى غرف نوم الأولاد.

نادت: «توتي!». لكن الفتى تجاهلها. سارت ببطء إلى مكان تجمّع الفتيان، وسحبت ابنها بصعوبة بالغة، وأوقفته أمام طالب الطب.

سأل الطالب الفتى وهو يعطيه العظمة: «هل هذه لك؟».

قال توتي بسرعة: «نعم، لقد وجدتها». لم يكن راغباً في تفويت شيء من الحفلة.

سألته أمه: «أين؟». في هذه الأثناء وضعت الطفلة على الأرض، فحدّقت إليها هذه الأخيرة وهي غير واثقة إن كان يجب عليها أن تشرع في البكاء مجدداً.

قال الفتى: «في الخارج. إنه حجر غريب، وقد غسلته». كان يلهث ويتنفس بصعوبة، وسالت قطرة عرق على وجنته.

سألته والدته: «أين في الخارج؟ متى؟ ماذا كنت تفعل هناك؟».

نظر الفتى إلى والدته. لم يعرف إن كان قد اقترف خطأً، لكن النظرة على وجهها أشارت إلى ذلك، وتساءل عن الخطأ الذي ارتكبه.

قال: «بالأمس، كما أظن. في الأساسات في نهاية الطريق. هل هناك خطب ما؟».

تبادلت أمه والغريب النظرات.

سألت: «هل يمكن أن ترشدني إلى المكان الذي وجدتها فيه بالضبط؟».

قال: «هل يجب أن أفعل ذلك؟ إنها حفلة ذكرى مولدي».

قالت أمه: «نعم. هلاّ أرشدتنا».

رفعت طفلتها عن الأرض، ودفعت ابنها إلى خارج الغرفة باتجاه الباب الأمامي، وتبعهم الرجل وهو يسير قريباً منهم. أطبق الصمت على الفتيان حين عوقب مضيفهم، وراقبوا أمه وهي تدفعه إلى خارج المنزل ونظرة صارمة تعلو وجهها، فيما كانت تحمل شقيقته الصغيرة على ذراعها. نظروا إلى بعضهم، ثم انطلقوا في إثرهم.

كان الموقع في العقار الجديد بجانب الطريق المؤدي إلى بحيرة رينيسفاتن؛ في حي الألفية المبني على سفح تلة غرافارهولت، التي ترتفع على قمتها خزانات مياه ضخمة بنية مثل قلعة فوق الضاحية. كانت الطرقات قد مُهّدت في السفح على كلا جانبي الخزّانات، وكانت هناك سلسلة من المنازل تُبنى على امتدادها، وتظهر أمام أحدها حديقة، وتراب ممهد حديثاً، وشجيرات ستنمو في النهاية لتوفر ظلاً لمالكيه.

تبع الجميع توتي مسرعين على طول الشارع بجانب الخزّانات. كانت منازل مبنية حديثاً تمتد حتى المنطقة المعشوشبة. في حين تظهر من بعيد، إلى الشمال والشرق الشاليهات الصيفية القديمة التي يمتلكها أشخاص من ريكيافيك. وكما يحصل في كل العقارات الجديدة، لعب الأطفال في المنازل التي لم ينتهِ تشييدها بعد، صعدوا إلى السقالات، واختبأوا في ظلال الجدران المنعزلة، ونزلوا إلى الأساسات المحفورة حديثاً ليخوضوا في الماء الذي تجمّع هناك.

تقدم توتي أمه والغريب والحشد كله نزولاً إلى أحد تلك المواقع، وأشار إلى حيث كان قد عثر على الحجر الأبيض الغريب الذي كان خفيفاً جداً ومصقولاً تماماً فوضعه في جيبه، وقرّر الاحتفاظ به. تذكّر الفتى الموقع بالتحديد، قفز إلى حفرة الأساس قبلهم، وذهب مباشرة إلى حيث كانت قطعة العظم موجودة في التراب الجاف. أمرته

أمه بأن يبقى بعيداً، ونزلت بمساعدة الغريب إلى الحفرة، وأخذ توتي العظمة منها ووضعها في التراب.

قال وهو لا يزال يتخيّل أن العظمة حجر مثير للاهتمام: «كان موجوداً هنا».

حدث ذلك بعد ظهيرة يوم الجمعة، ولم يكن هناك أحد يعمل في الموقع. كانت هناك ألواح خشبية مرتّبة في أماكنها على الجانبين جاهزة للتثبيت، لكن الأرض بدت مكشوفة، إذ لم تكن هناك جدران بعد. ذهب الرجل الغريب إلى الجدار الترابي، وتفحص المكان الذي كان الفتى قد عثر فيه على العظمة، وكشط التراب بأصابعه، وذُعر حين رأى ما بدا أنها عظمة ساعد مدفونة عميقاً في الأرض.

شاهدت أم الفتى الشاب وهو يحدّق إلى الجدار الترابي، وتبعت نظرته إلى أن رأت هي أيضاً العظمة، فاقتربت منه، وظنّت أن بمقدورها تمييز فك وسن أو اثنتين.

فزعت، ونظرت إلى الخلف؛ إلى الشاب ثم إلى ابنتها، وبدأت فطرياً تمسح فم الطفلة.

* * *

لم تدرك تماماً ما حدث حتى شعرت بألم في صدغها. كان قد ضرب رأسها بقبضته من دون سابق إنذار، وبسرعة كبيرة لم تترك لها مجالاً لاتقاء الضربة، أو ربما لأنها لم تصدّق أنه سيضربها. كانت تلك أول لكمة تتلقاها، وفي السنوات التالية ستتساءل إن كانت حياتها ستختلف لو أنها هجرته فوراً آنذاك؛ لو كان قد سمح لها بذلك.

نظرت إليه مذهولة، وهي تشعر بالحيرة من السبب الذي جعله يضربها فجأة. لم يكن أحد قد ضربها قطّ من قبل، حدث ذلك بعد ثلاثة شهور من زواجهما.

قالت وهي تضع يدها على صدغها: «هل لكمتني؟».

قال بصوت أشبه بالفحيح: «هل تظنين أنني لم أرَ الطريقة التي نظرتِ بها إليه؟».

«إليه؟ ماذا؟ هل تعني سنوري؟ أنا نظرت إلى سنوري؟».

«هل تظنين أنني لم ألاحظ؟ لقد تصرّفت وكأنك تتّقدين انفعالاً».

لم تكن قد رأت ذلك الجانب منه قطّ من قبل، أو سمعته يلفظ تلك العبارة: تتقدين \انفعالاً. ما الذي كان يتكلم عنه؟ كانت قد تبادلت بضع كلمات سريعة مع سنوري عند باب القبو، لتشكره على إعادته شيئاً نسيت أن تأخذه من المنزل الذي كانت تعمل فيه خادمة، ولم تكن تريد دعوته إلى الداخل بسبب زوجها الذي كان نكداً طوال اليوم، وقال إنه لا يرغب في رؤيته. ألقى سنوري دعابة عن التاجر الذي كانت تعمل لديه، فضحكا وودّعته.

قالت: «كان ذلك سنوري. لا تتصرف على هذا النحو. لماذا مزاجك متكدر طوال اليوم؟».

سأل وهو يقترب منها مجدداً: «هل تكذّبينني؟ رأيتك عبر النافذة وأنت تتحرّكين حوله مثل غانية!».

«لا، لا يمكنك...».

لكمها على وجهها مجدداً بقبضته، وجعلها تصطدم بخزانة الأواني المنزلية في المطبخ. حدث ذلك بسرعة كبيرة، ولم يتسنَّ لها الوقت لتحمي رأسها بيديها.

صرخ: «لا تكذبي عليّ! رأيت الطريقة التي نظرت بها إليه. رأيتك تغازلينه! رأيت ذلك بأم عينيّ! أيتها الفاسقة القذرة!».

عبارة أخرى سمعته يستخدمها للمرة الأولى.

قالت: «يا الله!». سال الدم إلى فمها من شفتها العليا الممزقة،

وامتزج طعمه بالدموع المالحة التي تجري على وجهها. «لماذا فعلت ذلك؟ ماذا فعلت أنا؟».

أمعن النظر إليها، واستعد لمهاجمتها، ووجهه الأحمر يستشيط غضباً. غير أنّه صرّ أسنانه، وضرب الأرض بقدميه، ثم استدار، وخرج بخطوات واسعة من القبو. بقيت واقفة هناك، وهي لا تستطيع فهم ما حدث.

لاحقاً، كانت أفكارها تعود غالباً إلى تلك اللحظة وهي تتساءل إن كان شيء ما سيتغير لو أنها حاولت الردّ على عنفه فوراً بمغادرتها المكان، وهجره إلى الأبد، بدلاً من العثور على أعذار له. حينها فكّرت في أنها فعلت بالتأكيد شيئاً أثار ردّ فعله ذاك؛ شيئاً ربما غفلت عنه ولكنه لاحظه، ويمكنها أن تتكلم معه بشأنه حين يعود، وتعده بتعديل سلوكها. عندها سيعود كل شيء إلى طبيعته.

لم تكن قد رأته يتصرف على ذلك النحو قطّ من قبل، معها أو مع أي شخص آخر، فهو شخص هادئ ومتزن؛ ومفكّر حتى. وهذه الصّفات هي التي أعجبتها فيه حين كانا يتعرّفان إلى بعضهما. كان يعمل في كيوس لمصلحة شقيق التاجر الذي يوظّفها، وينقل بضائع له، وهكذا التقيا قبل سنة ونصف تقريباً، وهو في مثل عمرها تقريباً. وقد تكلم حينها عن التوقف عن العمل المجهد، والذهاب إلى البحر ربما، حيث يمكنه جني المال من صيد الأسماك، وشراء منزله الخاص به الذي يكون سيده. كان العمل الشاق يكبح طموحه، وعتيق الطراز، وعائده المادي منخفض.

أخبرته أنها سئمت العمل لدى التاجر. فقد كان الرجل بخيلاً، ويستغل دائماً الفتيات الثلاث اللواتي يعملن لديه. وهو مدير فظّ، وزوجته عجوز شمطاء. لم تكن لديها خطط خاصة بها بشأن ما تنوي

القيام به، ولم تفكّر قطّ في المستقبل. وكانت تويل كل ما لديها منذ طفولتها الباكرة، وليس في حياتها أكثر من ذلك.

كان يختلق دائماً أعذاراً لزيارة التاجر، ويدعوها أحياناً إلى المطبخ. فقاد شيء إلى شيء آخر، وسرعان ما أخبرته عن طفلتها. قال إنه يعرف أنها أمٌّ فقد سأل أشخاصاً عنها، وكانت تلك أول مرة يكشف فيها عن اهتمامه بمعرفة المزيد عنها. كانت ابنتها ستبلغ الثالثة من عمرها قريباً، كما أخبرته، وجلبتها من الفناء الخلفي حيث كانت تلعب مع أطفال التاجر.

سألها عن عدد الرجال الذين عرفتهم في حياتها حين عادت مع ابنتها، وابتسم وكأنها دعابة بريئة. لاحقاً، استغل من دون رحمة علاقاتها الجنسية المزعومة لتحطيمها نفسياً. لم يدعُ ابنتها باسمها قطّ، وإنما كان يناديها بألقاب؛ كقوله: غير شرعية، ومعوقة.

لم تعرف رجالاً كثراً في حياتها. وأخبرته عن والد ابنتها الذي كان صيّاداً غرق في كولافيوردور. كان عمره 22 سنة حين اختفى الفريق المؤلف من أربعة أشخاص في عاصفة بحرية؛ في الوقت نفسه تقريباً الذي اكتشفت فيه أنها حامل. لم يكونا متزوجين، لهذا لم يكن ممكناً إطلاق صفة أرملة عليها. كانا قد خططا للزواج، ولكنه توفي وتركها مع ابنة ولدت خارج إطار الزواج.

عندما جلس في المطبخ وهو يصغي إليها، لاحظت أن الفتاة لم ترغب في البقاء معه. لم تكن خجولة عادة، ولكنها أمسكت بتنورة أمها ولم تجرؤ على إفلاتها حين طلب منها أن تأتي إليه. أخرج حلوى من جيبه، ومدّ يده نحوها، لكنها دفنت وجهها في تنورة أمها وبدأت تبكي، وأرادت أن تعود إلى الأطفال الآخرين في الخارج، بالرغم من أن الحلوى هي متعتها المفضّلة.

طلب منها بعد شهرين أن تتزوجه، ولم يكن في طريقته أي رومانسية قرأت عنها، فقد التقيا عدّة مرات في المساء، وتنزّها في البلدة، أو شاهدا أحد أفلام تشابلن. ضحكت من كل قلبها على الصعلوك الصغير، ونظرت إلى مرافقها، ولكنه لم يبتسم حتى. وفي إحدى الأمسيات، بعد أن غادرا دار العرض، وكانت تنتظر معه وسيلة النقل التي ستعيدهما إلى كيوس، سألها من دون سابق إنذار إن كان يجب أن يتزوّجا، وشدّها نحوه.

قال: «أريد أن نتزوج».

بالرّغم من كل شيء، أصيبت بدهشة كبيرة لم تتذكر معها إلا بعد وقت طويل، حين انتهى الأمر حقًّا، أن ذلك لم يكن عرض زواج، أو سؤالاً عمّا تريده هي.

«أريد أن نتزوج».

كانت قد فكّرت في احتمال أن يطلب يدها، فقد وصلت علاقتهما فعلاً إلى تلك المرحلة، وهي بحاجة إلى منزل لابنتها الصغيرة، وتريد مكاناً خاصاً بها، وإنجاب المزيد من الأولاد. كان قلّة من الرجال قد أبدوا اهتماماً بها، ربما بسبب طفلتها، أو لأنها ليست خياراً مثيراً للاهتمام على وجه الخصوص. فهي قصيرة القامة، وجسدها ممتلئ، ومعالم وجهها حادة، وأسنانها ناتئة قليلاً، وأناملها صغيرة لا يبدو أنها تتوقف عن الحركة أبداً. ربما لم تكن لتتلقى عرضاً أفضل.

سأل: «ما رأيكِ بذلك؟».

أومأت، فقبّلها وتعانقا. تزوجا بعد ذلك بوقت قصير في دار العبادة في موسفل. كان احتفالاً صغيراً، لم يحضره أحد تقريباً غير العروسين، وأصدقا العريس من كيوس، وصديقتين لها من ريكيافيك، وقد دعاهم رجل الدين لتناول القهوة بعد إتمام المراسم. كانت قد

سـألت عن أقربائه، وأفراد أسـرته، لكنه أحجم عن الكلام بشـأنهم، وأخبرهـا أنـه ابـن وحيـد. لقـد كان رضيعـاً حين توفي أبوه، فأرسـلته أمـه التـي لـم يكـن بمقدورهـا تحمّل نفقاته إلى والدين آخرين ليربّياه. كان قد عمل في عددٍ من المزارع قبل أن يستقر به المقام عاملاً في كيوس. لم يبدُ فضولياً بشأن أقربائها، ولم يُظهر اهتماماً كبيراً بالماضي. أخبرته أن ظروفهما متشابهة تماماً: فهي لم تعرف والديها الحقيقيين، فقـد كانـت ابنـة بالتبنـي، وترعرعت في عـدّة أماكن في منازل مختلفة في ريكيافيك، حتى انتهى بها الأمر وهي تخدم تاجراً، فأومأ فقط.

قال: «سنبدأ من جديد، انسي الماضي».

اسـتأجرا شـقة صغيرة، هي في الواقع عبارة عن قبو صغير في ليندارغاتا. كانت الشقة مؤلّفة من حجرة جلوس ومطبخ، وكان هناك مرحـاض خارجـي فـي السـاحة. توقفـت عـن العمل لـدى التاجر بعد أن قـال لهـا إنهـا لـم تعـد بحاجـة إلى كسـب قوتها بنفسـها. عمل في الميناء حتى يتمكّن من الانضمام إلى مركب لصيد الأسـماك، وحلم بالخروج إلى البحر.

وقفـت بجانـب طاولـة المطبخ وهي تمسـك بطنها. وبالرغم من أنها لم تكن قد أخبرته بعد، إلا أنها كانت واثقة من أنها حامل، فقد كان ذلك متوقعاً. كانا قد ناقشـا فكرة إنجاب أولاد، ولكنها لم تكن متأكدة من حقيقة شـعوره تجاه ذلك؛ لأن بمقدوره أن يخفي ما في نفسه. إذا كان الطفل صبياً، فستكون قد اختارت اسمه مسبقاً. أرادت صبياً، وسيُدعى سيمون.

كانت قد سـمعت عن رجال يضربون زوجاتهم، ونسـاء تحمّلن عنف أزواجهن. سمعت قصصاً، ولكنها لم تتصوّر أنها ستصبح واحدة

منهن، أو تظن أنه قادرٌ على ذلك. قالت في قرارة نفسها إنها حادثة لن تتكرّر من دون شـك، فقد ظنّ أنني أغازل سـنوري، ولهذا يجب أن أتوخّى الحذر حتى لا أسمح بحدوث ذلك مجدداً.

مسحت وجهها وأخذت نفساً عميقاً. يا له من تعدٍّ! بالرغم من أنه خرج من المنزل، إلا أنه سـيعود بالتأكيد قريباً وسـيعتذر منها. لا يمكن أن يعاملها على ذلك النحو، فهو لا يستطيع ذلك ببساطة، كما أنه لا يجدر به ذلك. ذهبت إلى غرفة النوم وهي مرتبكة لتلقي نظرة على ابنتها. كان اسم الفتاة ميكلينا، وقد استيقظت صباحاً وهي تعاني ارتفاعـاً فـي الحـرارة، ثـم نامت معظم النهـار، ولا تزال نائمة. رفعتها الأم ولاحظـت أن حرارتهـا مرتفعـة، فجلسـت وهـي تحمل الفتاة بين ذراعيها، وبدأت تغني تهويدة، كانت لا تزال مصدومة وشاردة الذهن من الاعتداء الذي تعرّضت له.

كانـت الفتـاة تلهـث فـي أثنـاء تنفّسـها، وصدرهـا الصغير يرتفع وينخفض، وصوت صفير غريب يخرج من أنفها، وبدا وجهها متوهجاً. حاولت الأم إيقاظها، لكنها لم تتحرك.

صرخت.

كانت الفتاة مريضة جداً.

2

تلقّت إيلنبورغ المكالمة بشأن العظام التي عُثر عليها في حي الألفية. كانت وحدها في المكتب وفي طريقها للخروج حين رنّ الهاتف. وبعد أن تردّدت لحظة، نظرت إلى الساعة، ثم نظرت إلى الهاتف. كانت تخطط لحفل عشاء ذلك المساء، وقد أمضت النهار كله وهي تتخيّل قطع الدجاج المتبلة. تنهّدت ورفعت السماعة.

لم يكن عمر إيلنبورغ معروفاً على وجه الدقّة. فهي امرأة في العقد الرابع، قوية البنية ولكنها ليست بدينة. كانت تحب الطعام، كما كانت مطلّقة ولديها أربعة أولاد، أحدهم ولد ربيب غادر المنزل. تزوجت مجدداً من ميكانيكي يحب الطهي، وهي تعيش معه ومع الأولاد الثلاثة في منزل صغير في غرافارفوغر. حصلت على إجازة في علم الجيولوجيا قبل وقت طويل، ولكنها لم تعمل في ذلك المجال قطّ. بدأت بالعمل في قسم شرطة ريكيافيك بشكل مؤقت في الصيف، ثم انضمت إلى السلك، وهي إحدى المحققات القلائل فيه.

كان سيغوردور أولي في أوج علاقة مع حبيبته بيرغثورا حين رنّ جهاز الاستدعاء. كان قد غادر العمل باكراً، ووجد بيرغثورا آنذاك في المنزل، واستقبلته بقبلة عاطفية حارّة. أخذت الأمور منحاها الطبيعي. فقد ترك سرواله في المطبخ، بعد أن فصل قابس الهاتف وأغلق جوّاله، ولكنه نسي جهاز الاستدعاء.

تنهّد سيغوردور أولي عميقاً، ونظر إلى بيرغثورا. كان يتصبّب عرقاً، ووجهه أحمر، واستطاع أن يعرف من تعبير وجهها أنها ليست

مستعدة لتركه بعد. كان يجب أن ينتظر مناسبة ملائمة أخرى؛ لأن جهاز الاستدعاء يمثّل أولوية في حياته.

انزلق من تحت بيرغثورا التي استلقت ورأسها على الوسادة، وكأنها فقدت وعيها.

كان إرلندور يأكل في سكولاكافي، فهو يجلس هناك أحياناً؛ لأنه المطعم الوحيد في ريكيافيك الذي يقدّم طعاماً منزلياً أيسلندياً مطهياً بالطريقة التي كان سيحضّره بها بنفسه إذا أزعج نفسه بالطبخ. كان يحب الديكور الداخلي أيضاً: القشرة الخشبية البنية البالية، وكراسي المطبخ القديمة التي يبرز الإسفنج من بعضها من بين قطعٍ بلاستيكية، والأرضية الرثة من وطء أحذية سائقي الشاحنات وسيارات الأجرة وعمّال الرافعات، إضافة إلى التجّار والعمّال العاديين. جلس إرلندور وحيداً إلى طاولة في إحدى الزوايا، ورأسه منحنٍ فوق وجبة محضّرة من لحمٍ، وبطاطا مسلوقة، وبازيلاء ولفت مع صلصة طحينة.

كان وقت الغداء قد انقضى منذ وقت طويل، ولكنه أقنع الطاهي بأن يقدّم له بعض اللحم. قطع لنفسه قطعة كبيرة، وضع فوقها البطاطا واللفت، وتوّج ذلك بصلصة صفراء كثيفة قبل أن تختفي كلها داخل فمه الكبير.

غرز إرلندور أسنان شوكته في قطعة أخرى مماثلة. وكان قد فتح فمه للتو حين بدأ جوّاله يرن. فقد تركه على الطاولة بجانب طبقه. أوقف الشوكة في الهواء، ونظر إلى الهاتف للحظة، ثم نقّل عينيه بين الشوكة الممتلئة والهاتف. وأخيراً، وضع الشوكة في الطبق وهو يشعر بالأسى.

قال قبل أن يتفوه سيغوردور أولي بأي كلمة: «لماذا لا أنعم أبداً بلحظة هدوء؟!».

قال سيغوردور أولي: «عُثر على بعض العظام في حي الألفية. أنا أتجه إلى هناك الآن، وكذلك إيلنبورغ».

«ما نوع العظام؟».

«لا أعرف. اتصلت بي إيلنبورغ، وأنا الآن في طريقي إلى هناك. لقد أبلغت الطبيب الشرعي».

قال إرلندور ببطء: «أنا أتناول الطعام».

كاد سيغوردور أولي أن يخبره بما كان يفعله، ولكنه أحجم عن ذلك في الوقت المناسب.

قال: «أراك هناك. إن هذا الحي يقع على الطريق المؤدي إلى بحيرة رينيسفاتن، على الجانب الشمالي، أسفل خزّانات المياه. ليس بعيداً عن الطريق المؤدي إلى خارج المدينة».

سأل إرلندور: «أي ربع ألفية؟».

قال سيغوردور أولي، وهو لا يزال منزعجاً من مقاطعته مع بيرغثورا: «ماذا؟».

«هل هو ربع ألف؟ مئتان وخمسون عاماً؟ ماذا يعني ذلك؟».

تأوه سيغوردور أولي قائلاً: «يا الله!». وأنهى المكالمة.

وصل إرلندور إلى حيّ الألفية بعد ذلك بوقت قصير، مستقلاً سيارته القديمة المتهالكة التي ركنها في الشارع في غرافارهولت بجانب أساسات المنزل. كانت الشرطة قد وصلت إلى الموقع، وطوقت المكان بشريط أصفر، فانسلّ إرلندور من تحته. كانت إيلنبورغ وسيغوردور أولي في الأسفل، يقفان بجانب جدارٍ ترابي، ومعهما طالب الطب الذي كان قد أبلغ عن العظام. أمّا الأم التي كانت تحتفل بذكرى ميلاد ابنها، فقد جمعت الفتيان وأعادتهم إلى داخل

منزلها. نزل طبيب مقاطعة ريكيافيك، وهو رجل ريّان في الخمسين من عمره، على أحد السلالم الثلاثة التي تبرز من حفرة الأساسات، وتبعه إرلندور.

أبدت وسائل الإعلام اهتماماً كبيراً بالعظام، وتجمّع المراسلون عند الموقع، واحتشد الجيران حوله. كان بعضهم قد انتقلوا آنذاك إلى عقاراتهم، في حين وقف آخرون في منازلهم التي لا تزال تفتقر إلى السقوف، وهم يحملون مطارق وعتلات في أيديهم، محتارين من كل تلك الفوضى. حدث ذلك في نهاية نيسان، في طقسٍ ربيعي معتدل وجميل.

كان فريق الطب الشرعي منهمكاً في العمل، وكان أفراده يكشطون بحرص عينات من الجدار الترابي، ويتركون التراب يسقط في مستوعبات صغيرة أفرغوها في أكياس نايلون. كان من الممكن رؤية جزء من القسم العلوي للهيكل العظمي داخل الجدار، وفيه ذراع، وجزء من القفص الصدري، وعظمة الفك السفلية.

سأل إرلندور وهو يمشي نحو الجدار الترابي: «هل ذلك هو إنسان الألفية؟».

ألقت إيلنبورغ نظرة مستفسرة على سيغوردور أولي الذي وقف خلف إرلندور، وهو يشير بسبابته إلى رأسه ويحرّكها في الهواء.

قال سيغوردور أولي: «اتصلت بالمتحف الوطني». وبدأ يحك رأسه حين استدار إرلندور فجأة لينظر إليه. «هناك عالم آثار في طريقه إلى هنا، وربما يستطيع إخبارنا عن هذا».

سألت إيلنبورغ: «ألا نحتاج إلى عالم في الجيولوجيا لمعرفة طبيعة التربة، ووضعية العظام الموجودة فيها، وتحديد تاريخ طبقة الأرض؟».

سأل سيغوردور أولي: «ألا يمكنكِ مساعدتنا في ذلك؟ ألم تدرسي هذا الاختصاص؟».

قالت إيلنبورغ: «لا أتذكر كلمة منه. أعرف أن المادة البنية تدعى تراباً».

قال إرلندور: «إنه ليس على عمق ستّ أقدام، وإنما على عمق متر، أو متر ونصف كحدٍّ أقصى. أُلقي هناك على عجل. ووفقاً لما أراه، إنّ هذه رفات جسد لم يمضِ وقت طويل على وجوده هنا. إن العظام لا تعود إلى رجل من الفايكينغ».

سأل طبيب المقاطعة: «لماذا تظن أنه رجل؟».

قال إرلندور: «رجل؟».

قال الطبيب: «أعني أن الهيكل العظمي قد يكون لامرأة. لماذا أنت واثق من أنه رجل؟».

قال إرلندور: «أو امرأة. لا أكترث بذلك». هزّ كتفيه. «هل يمكن أن تخبرنا أي شيء عن تلك العظام؟».

قال الطبيب: «لا يمكنني حقًّا رؤية أي شيء منها. الأفضل ألاّ أتكلم كثيراً حتى يخرجوها من التراب».

«أهو ذكر أم أنثى؟ العمر؟».

«من المستحيل معرفة ذلك».

اقترب منهم رجل يرتدي جينزاً وكنزة صوفية أيسلندية تقليدية. كان طويل القامة، ولحيته رمادية خفيفة، ويبرز نابان أصفران من فمه الكبير، وعرّف عن نفسه بأنه عالم الآثار. راقب الرجل فريق الطب الشرعي المنهمك في العمل، وطلب منهم إيقاف ذلك الهراء. تردد الرجلان اللذان يحمل كل منهما مالجاً، ويلبس رداءً سروالياً، ويضع زوجاً من القفّازات المطاطيّة، ونظارة حماية؛ واللذان بدَوَا بالنسبة إلى

إرلندور وكأنهما قد خرجا للتو من محطة طاقة نووية. نظرا إليه وهما ينتظران التعليمات.

قـال فانـغ وهـو يلـوّح بذراعيه: «حبـاً بالله! يجب أن نحفر حتى نصل إليه. هل ستخرجانه بواسطة هذين المالجين؟ من المسؤول هنا على أيّ حال؟».

أومأ إرلندور.

قال فانغ وهو يصافحه: «هذا ليس اكتشافاً أثرياً. مرحباً، اسمي سـكارفيدين. لكن، من الأفضل أن نعامله على هذا الأسـاس. أتفهم ذلك؟».

قال إرلندور: «ليست لدي أدنى فكرة عمّا تتكلم عنه؟».

«لم تبق العظام في التراب وقتاً طويلاً. وبرأيي، لم يمضِ على وجودهـا هنـا أكثـر مـن 60 أو 70 سـنة، وربمـا أقل. لا تزال الملابس عليها».

«الملابس؟».

قـال سـكارفيدين وهـو يشـير بإصبعـه البدينـة: «نعـم، هنا، وفي مواضع أخرى. أنا واثق من ذلك».

قال إرلندور مرتبكاً: «ظننت أن ذلك لحم».

«أفضل شيء نفعله في هذه الحالة للحفاظ على الدليل سليماً، هـو أن نسـمح لفريقـي بإخراجـه وفقـاً لطريقتنـا. يسـتطيع فريق الطب الشرعي مساعدتنا. يجب أن نحيط المنطقة في الأعلى بحبالٍ، ونحفر كي نصل إلى الهيكل العظمي، ونتوقف عن كشط التربة هنا. ليس من عادتنا أن نفقد دليلاً، ويمكن أن نعرف من حالة العظام أشياء كثيرة. وقد يزوّدنا ما نعثر عليه حولها بأدلّة».

سأل إرلندور: «ما الذي تظنّ أنه قد حدث؟».

قال سكارفيدين: «لا أعرف. من المبكر جداً توقع ذلك. يجب أن نخرجه، ونأمل أن يظهر شيء مفيد في أثناء ذلك».

«هل هو شخص تجمّد حتى الموت وغطّاه التراب؟».

«لا أحد يغور إلى هذا العمق في الأرض».

«إذاً، هذا قبر».

قال سكارفيدين بتكلّف: «يبدو أنه كذلك، فكل شيء يشير إلى هذا. هل توافق على الحفر نحو الأسفل لنصل إليه؟».

أومأ إرلندور.

مشى سكارفيدين بخطوات واسعة نحو السلم، وصعد عليه إلى خارج الحفرة، وتبعه إرلندور عن كثب. عندما وقف سكارفيدين في الأعلى، ونظر إلى الهيكل العظمي شرح عالم الآثار أفضل طريقة لتنظيم عملية الحفر، وأُعجب إرلندور بكل ما قاله، وسرعان ما استخدم سكارفيدين جوّاله واستدعى فريقه. كان قد اشترك في عدّة عمليات استكشاف أثرية رئيسة في العقود الماضية، ويعرف ما يتكلم عنه، ولهذا كسب ثقة إرلندور.

اختلف رئيس فريق الطب الشرعي مع إرلندور في الرأي، وعارض نقل عملية الإخراج إلى عالم آثار ليست لديه أدنى فكرة عن التحقيقات الجنائية. كانت أسرع طريقة هي إخراج الهيكل العظمي من الجدار الترابي؛ لمنحهم مجالاً لفحص موقعه والعثور على أي أدلة - إذا كانت موجودة - تشير إلى اقتراف عمل جرمي. أصغى إرلندور إلى كلامه لبعض الوقت، ثم أعلن أن سكارفيدين وأعضاء فريقه سيحفرون نزولاً إلى الهيكل العظمي، وإن استغرق ذلك وقتاً أطول من المتوقع.

قال: «لقد بقيت العظام هنا نصف قرن، ولن تمثّل بضعة أيام

أخرى أي فرق». وهكذا سُوّيت تلك المسألة.

نظر إرلندور حوله إلى المنازل الجديدة قيد الإنشاء، ونظر إلى خزانات الماء الساخن البنيّة، وإلى حيث يعرف أن بحيرة رينيسفاتن موجودة، ثم استدار ونظر شرقاً إلى المنطقة المعشوشبة التي تمتد من حيث ينتهي الحي الجديد.

أثارت أربعة منازل اهتمامه، وهي التي تبرز من أجمة على بعد نحو30 متراً، فمشى إليها، وظن أن بمقدوره القول إنها شجيرات توت برّي. كانت متراصة معاً في خط مستقيم إلى الشرق من حفرة الأساسات. وتساءل وهو يمرّر يديه على الأغصان العارية الملأى بالعقد، عمّن زرعها هناك في تلك الأرض المشاع.

3

وصل المختصون بعلم الآثار مرتدين ستراتهم الصوفية، وبذلاتهم الحرارية، ومزودين بمجارف خاصة، وأحاطوا منطقة كبيرة نسبياً حول الهيكل العظمي بحبالٍ. وبحلول وقت العشاء بدأوا بالحفر بحرص في الأرض المعشوشبة. كان ضوء النهار لا يزال قوياً، والشمس لن تغرب قبل التاسعة مساءً. ضمَّ الفريق أربعة رجال وامرأتين عملوا بهدوء وتنظيم، وفحصوا بحرص كل مقدار مالج من التراب بعد أن يخرجوه. لم تكن هناك دلالة على قيام حفّار قبور بالعمل في تلك التربة، وقد تكفّل الوقت والعمل في أساسات المنزل بحفظ الهيكل العظمي.

اتصلت إيلنبورغ بعالم جيولوجيا في الجامعة أبدى استعداداً كبيراً لمساعدة الشرطة، فأوقف كل شيء، وظهر في موقع الأساسات بعد نصف ساعة فقط من حديثهما. كان في أواسط العمر، أسود الشعر، ونحيلاً، وصوته عميق على نحو استثنائي، ويحمل درجة دكتوراه من باريس. قادته إيلنبورغ إلى الجدار الترابي، وكانت الشرطة قد وضعت خيمة فوقه لإخفائه عن عيون المارة، وأشارت إلى عالم الجيولوجيا ليمرّ من تحت القماش.

كانت الخيمة مضاءة بمصباح نيون كبير ألقى ظلالاً قاتمة فوق المكان الذي يرقد فيه الهيكل العظمي. لم يكن عالم الجيولوجيا على عجلة من أمره، فقد فحص التربة، وأخذ حفنة من التراب من الجدار، وشدّ قبضته عليها ليفتتها، وقارن طبقة الأرض بجانب الهيكل العظمي

بتلك التي كانت فوقه وتحته، وفحص كثافة التربة حول العظام. أخبرها بفخر أنه قد استُدعي مرة للمساعدة في تحقيق، ولتحليل كتلة تراب عُثر عليها في موقع جريمة، مما مثّل إسهاماً مفيداً. ثم شرع يناقش أعمالاً أكاديمية عن علم الجريمة وعلوم الأرض، وهي نوع من جيولوجيا الطب الشرعي؛ إذا فهمته إيلنبورغ على نحو صحيح.

استمعت إليه وهو يثرثر حتى نفد صبرها.

سألت: «كم مضى على وجوده هنا؟».

قال عالم الجيولوجيا بصوته العميق متخذاً وضعية محاضر أكاديمي: «يصعب تحديد ذلك. لكن، ليس منذ وقت طويل».

سألت إيلنبورغ: «ما طول تلك المدة بمعيار علم الجيولوجيا؟ ألف سنة؟ عشر سنوات؟».

نظر عالم الجيولوجيا إليها وكرّر: «يصعب تحديد ذلك».

سألت إيلنبورغ: «ما مدى دقة الجواب الذي يمكن أن تزوّدنا به؟ مُقاساً بالسنوات».

«يصعب تحديد ذلك».

«بكلمات أخرى، يصعب أن تقول شيئاً؟».

نظر عالم الجيولوجيا إلى إيلنبورغ وابتسم.

«آسف، كنت أفكّر. ماذا تريدين أن تعرفي؟».

«منذ متى؟».

«ماذا؟».

تأوهت إيلنبورغ: «يرقد هنا».

«سأخمّن أن المدة تتراوح بين 50 و70 سنة. يجب إجراء المزيد من الاختبارات التفصيلية. لكن ذلك ما أتصوّره. ونظراً إلى كثافة التربة، يستحيل أن يكون مدفن فايكينغ».

قالت إيلنبورغ: «نعرف ذلك لأن هناك قطع ملابس...».

قال عالم الجيولوجيا، وهو يشير إلى الطبقة الأرضية في الجزء الأدنى من الجدار: «هذا الخط الأخضر هنا يدل على طين من العصر الجليدي». وتابع قائلاً وهو يشـير إلى الأعلى: «وتلك الخطوط التي تتباعد مسـافات منتظمة هناك تتكون من مواد بركانية، وأعلاها يعود إلى نهاية القرن الخامس عشر. إنها الطبقة الأغنى بالطفّة (حجر مسامي بركانـي) فـي منطقـة ريكيافيـك منـذ بدء اسـتيطان البلد. وهذه طبقات أقدم؛ من ثورات بركانية في هلكا وكاتلا، وهي موغلة في القدم آلاف السـنين، لكنهـا لـم تصـل إلـى الطبقـة الصخرية كما ترين هنا». أشـار إلى طبقة أرضية كبيرة في حفرة الأساسات. «هذا هو مهد ريكيافيك الصخري البركاني الذي يغطي المنطقة كلها حول المدينة».

ثمّ نظر إلى إيلنبورغ.

«نسبةً إلى كل ذلك التاريخ، فقد حُفر القبر قبل جزء من مليون من الثانية فقط».

توقف مختصو علم الآثار عن العمل نحو الساعة 9:30، وأخبر سـكارفيدين إرلنـدور أنهـم سـيعودون فـي وقت باكـر من صباح اليوم التالي. لم يكونوا قد عثروا على أي شيء مهم في التربة، وقد بدأوا بكشـط الطبقة النباتية فوقها. سـأل إرلندور إن كان بمقدورهم تسـريع العمل قليلاً، فنظر إليه سكارفيدين بازدراء، وسأله إن كان يريد تدمير الدليل، واتفقا على أنه لا حاجة إلى الإسراع في الحفر للوصول إلى الهيكل العظمي.

أُطفـئ مصبـاح النيـون فـي الخيمـة، وغادر كل المراسـلين. كان اكتشاف الهيكل العظمي القصة الرئيسة في أخبار المساء التي ظهرت فيهـا صـور لإرلنـدور وفريقـه في حفرة الأسـاسـات. وعرضت إحدى

المحطّات فيلماً قصيراً يُظهِر مراسلها وهو يحاول إجراء مقابلة مع إرلندور الذي لوّح بيديه أمام وجهه، ومشى مبتعداً عنه.

كان الهدوء قد خيّم على العقار مرة أخرى، وصمتت ضربات المطارق المدوّية، وغادر كل من كان يعمل في منزله الذي لم ينتهِ تشييده بعد. كان أولئك الذين انتقلوا إلى منازلهم حديثاً قد خلدوا إلى النوم، ولم يعد يُسمَع صوت أطفالٍ يصرخون. عُيّن شرطيان لحراسة المنطقة خلال الليل. كانت إيلنبورغ وسيغوردور أولي قد ذهبا إلى منزليهما، وكذلك فريق الطب الشرعي الذي كان يساعد مختصي علم الآثار بحلول ذلك الوقت. كان إرلندور قد تحدّث إلى توتي ووالدته بشأن العظمة التي وجدها، وابتهج توتي بكل الاهتمام الذي حظي به. تنهّدت والدته: «يا له من اكتشاف يمكن تسجيله في الكتب!». وكانت تقصد عثور ابنها على هيكل عظمي بشري يرقد هناك. أخبر توتي إرلندور: «هذه أفضل ذكرى ميلاد حظيت بها على الإطلاق».

كان طالب الطب قد عاد إلى منزله مصطحباً شقيقه الصغير معه، بعد أن تكلم معه إرلندور وسيغوردور أولي بإيجاز. وصف لهما كيف كان يراقب الطفلة من دون أن يلاحظ في البداية العظمة التي كانت تمصها، وعندما فحصها عن كثب تبين له أنها عظمة إنسان؛ وتحديداً من القفص الصدريّ.

سأل إرلندور: «كيف عرفت فوراً أنها عظمة بشرية؟ ربما كانت من نعجة مثلاً».

سأل سيغوردور أولي، ابن المدينة الذي لا يعرف شيئاً عن حيوانات المزرعة الأيسلندية: «نعم، ألم يكن محتملاً أنها عظمة نعجة؟».

قال الطالب: «كنت واثقاً تماماً من ذلك، فقد قمت بإجراء تشريح

سابقاً، ولم يخامرني أدنى شك في أنّها عظمة إنسان».

سأل إرلندور: «هل يمكنك إخبارنا عن تقديرك للمدة التي بقيت فيها العظام مدفونة هناك؟». كان يعرف أنه سيحصل في نهاية المطاف على النتائج التي سيتوصل إليها عالم الجيولوجيا الذي استدعته إيلنبورغ، وعالم الآثار، ومختص الطب الشرعي، لكنه لم يكن يمانع سماع رأي الطالب.

«ألقيت نظرة على التربة، وبناءً على درجة التحلل، نحن نتكلم ربما عن 70 سنة، ليس أكثر من ذلك، لكنني لست خبيراً بهذا».

قال إرلندور: «لا، فعلاً. ظنّ عالم الآثار الشيء نفسه وهو ليس خبيراً أيضاً».

ثمّ استدار إلى سيغوردور أولي قائلاً: «يجب أن نتأكّد من سجلات الأشخاص الذين فُقدوا في ذلك الوقت؛ بين عامي 1930 و1940، وربما في وقت أبكر من ذلك. فلنرَ ماذا يمكنك أن تجد».

وقف إرلندور بجانب الأساسات، تحت شمس بعد الظهر، ونظر شمالاً نحو بلدة موسفلسبار وجبل إيسيا، ورأى المنازل عبر الخليج على كيالارنز، واستطاع رؤية السيارات على الطريق الغربي وهي تلتف أدنى أولفارسفل في طريقها إلى ريكيافيك. سمع صوت سيارة تقف أمام حفرة الأساسات، ورأى رجلاً يترجّل منها. كان في مثل سنّ إرلندور تقريباً؛ بديناً، ويرتدي معطفاً أزرق، ويعتمر قبعة. أغلق الباب بعنف ونظر إلى إرلندور، وسيارة الشرطة، والأرض المحفورة بجانب الأساسات، والخيمة التي تغطي الهيكل العظمي.

سأل بصفاقة وهو يمشي نحو إرلندور: «هل أنت من هيئة الضرائب؟».

قال إرلندور: «هيئة الضرائب؟».

قال الرجل: «لا أنعم بلحظة هدوء بسببكم. هل حصلتم على أمر قضائي أم...؟».

سأل إرلندور: «هل هذه أرضك؟».

«من أنت؟ ما هذه الخيمة؟ ماذا يجري هنا؟».

شرح إرلندور للرجل الذي قال إن اسمه جون ما كان قد حدث. وتبين أنه مقاول بناء، ويمتلك قطعة الأرض، وعلى حافة الإفلاس، ويزعجه الدائنون. لم ينجز أي عمل في الأساسات منذ بعض الوقت، لكنه قال إنه يأتي بانتظام ليتأكّد من عدم تخريب البناء من قبل الأولاد اللعينين في تلك الضواحي الجديدة؛ الذين يمارسون ألعاباً سخيفة في المنازل. لم يكن قد سمع عن اكتشاف الهيكل العظمي. ونظر نحو الأسفل إلى الأساسات غير مصدّق حين شرح له إرلندور ما كان رجال الشرطة ومختصو علم الآثار يفعلونه هناك.

سأل جون: «لم أعرف شيئاً عن الهيكل العظمي. والنجّارون لم يروا بالتأكيد تلك العظام. هل هو قبر قديم؟».

قال إرلندور وهو غير راغب في الإفصاح عن أي معلومات أخرى: «لا نعرف بعد». ثم سأل وهو يشير إلى أجمة التوت البري: «هل تعرف شيئاً عن تلك الأرض هناك إلى الشرق؟».

قال جون: «كل ما أعرفه هو أنها أرض جيدة للبناء. لم أكن أظن أنني سأعيش لأرى اليوم الذي تمتد فيه ريكيافيك لتصل إلى تلك المساحة هناك».

قال إرلندور: «ربما تنمو المدينة على نحوٍ يفوق كل التوقعات. هل تعرف إن كان التوت البري ينمو من تلقاء نفسه في أيسلندا؟».

«توت بري؟ لا فكرة لدي، ولم أسمع به قطّ من قبل».

تكلما لبعض الوقت قبل أن يصعد جون إلى سيارته ويغادر.

وتكـوّن لـدى إرلنـدور انطبـاع بـأنّ دائنيـه علـى وشـك مصادرة الأرض، لكن كانت هناك بارقة أمل إذا اسـتطاع الحصول على قرض آخر.

عقد إرلندور العزم على الذهاب إلى منزله هو أيضاً. ألقت شمس بعد الظهر وهجاً أحمر جميلاً على السماء الغربية، وانتشر الضوء فوق البحر وفوق الأرض، وكان الطقس قد بدأ يبرد.

أمعـن النظـر إلـى بقعـة الأرض الداكنة، ثم ركل التراب، ومشـى بخطوات واسعة حولها، غير واثق مما كان يزعجه. لم يكن هناك شيء ينتظره في المنزل، كما فكّر، وهو ينقل قدميه فوق التراب. ليست هناك أسـرة ترحب به، أو زوجة تخبره كيف كان يومها، أو أولاد يخبرونه كيف أبلوا في المدرسـة. لم يكن هناك إلا تلفاز قديم، وكرسـي ذو ذراعين، وسـجادة رثّة، وأغلفة وجبات سـريعة في المطبخ، وجدران من الكتب التي قرأها في عزلته؛ كان الكثير منها يتحدّث عن أشخاص مفقودين في أيسلندا، والمحن التي تعرض لها مسافرون في البراري في سالف الزمان، والموت على الطرقات الجبلية.

شعر فجأة بشيء قاسٍ تحت قدمه، وكان مثل حصاة صغيرة تبرز من التراب، فدفعه عدّة مرات بطرف قدمه ولكنه لم يتزحزح. انحنى إلى الأسـفل، وبدأ يكشـط بحرص الترابَ عنه. كان سـكارفيدين قد طلب منه ألا يحرك شـيئاً في غياب مختصي الآثار. وحاول إرلندور إخراج الحصاة لكنه لم يستطع تحريرها.

حفر عميقاً، واتسخت يداه بحلول الوقت الذي وصل فيه أخيراً إلى حصاة أخرى مشابهة، ثم ثالثة ورابعة وخامسة. جثم إرلندور على ركبتيه، والتراب متراكم حوله في كل الاتجاهات. ظهر الشيء تدريجياً للعيان، وسرعان ما حدّق إرلندور إلى ذلك الشيء، واستطاع تمييزه،

وأدرك أنّها يد. برزت من التراب خمس أصابع نحيلة وعظمة كف. نهض ببطء على قدميه.

كانت الأصابع الخمس متباعدة؛ وكأن الشخص الموجود هناك قد مدّ يده ليمسك بشيء ما أو يدافع عن نفسه، أو ربما يأمل أن يحصل على الرحمة. وقف إرلندور هناك مشدوهاً، فقد برزت العظام نحوه من الأرض وكأنها تلتمس الرأفة، وسرت قشعريرة في جسده.

على قيد الحياة؟ فكّر إرلندور الذي نظر باتجاه أجمة التوت البري.

قال لنفسه: «هل كنت حيًّا؟».

رنّ هاتفه في تلك اللحظة. وانقضى بعض الوقت، وهو يقف هناك في هدوء المساء مستغرقاً في أفكاره، قبل أن يدرك أن جوّاله يرن، فأخرجه من جيب معطفه، وردّ عليه. كل ما استطاع سماعه في البداية كان دمدمة.

قال الصوت الذي عرفه فوراً: «ساعدني، أرجوك». ثم انتهت المكالمة فجأة.

4

لم يعرف من أين جاء الاتصال، فقد ظهرت على شاشة جوّاله كلمة مكالمة، لكنه كان صوت ابنته إيفا ليند. فزع وحدّق إلى الهاتف وكأنه شظية قد اخترقت يده. لكنه لم يرن مجدداً، ولم يكن بمقدوره الاتصال بها. كان لدى إيفا ليند رقمه، وتذكّر آخر مرة تكلما فيها معاً، حين اتصلت به لتقول له إنها لا تريد رؤيته أبداً مجدداً. تسمّر في مكانه مشدوهاً، وهو ينتظر مكالمة أخرى لم تأتِ قطّ.

ثم وثب إلى سيارته.

لم يكن على اتصال بإيفا ليند طوال شهرين، ولم يكن هناك شيء غير معتاد في ذلك، فقد كانت ابنته تعيش حياتها من دون أن تمنحه الفرصة للتدخل بها. فهي في العقد الثاني من عمرها، ومدمنة على الممنوعات. كان لقاؤهما الأخير قد انتهى بخلاف آخر، وحدث ذلك في المبنى السكني الذي يعيش فيه، والذي غادرته على عجل قائلة إنه رجل بغيض.

لدى إرلندور ابن أيضاً يُدعى سيندري سنير. لم يكن يتصل كثيراً بوالده، فقد كان وإيفا ليند صغيرين حين هجرهما وتركهما مع أمهما التي لم تسامح إرلندور قطّ بعد طلاقهما، ولم تسمح له برؤية الولدين. ندم على نحو متزايد على سماحه لها باتخاذ مثل ذلك القرار، وقد جاءا إليه بنفسيهما حين أصبحا كبيرين كفاية.

كان غسق الربيع يهبط فوق ريكيافيك حين غادر إرلندور حي الألفية بسيارته؛ مسرعاً على الطريق الرئيس، ومتجهاً إلى المدينة. تأكّد

مـن أن جوّالـه يعمـل، ووضعـه على المقعد الأمامي. لم يكن إرلندور يعرف الكثير عن حياة ابنته الشخصية، ولـم تخطر له أي فكرة من أين يجب أن يبدأ بالبحث عنها حتى تذكّر شقة القبو في مقاطعة فوغار، حيث كانت إيفا ليند تعيش قبل نحو سنة.

أولاً، تأكّد إن كانت قد ذهبت إلى شقته، لكنّ أحداً لم ير إيفا ليند هناك. ركض حول المبنى الذي يعيش فيه، وصعد السلالم الأخرى. كانت إيفا ليند تملك مفتاح منزله، نادى عليها داخل شقته، لكنها لم تكن هناك. فكّر في الاتصال بأمها، لكنه لم يستطع دفع نفسه للقيام بذلك، فهما لم يتكلما منذ 20 سنة. رفع سماعة الهاتف واتصل بابنه بعـد أن عثـر علـى رقـم جوّالـه فـي دليل الهاتف. كان يعرف أن ولديه يتصلان ببعضهما، وإن يكن في أوقات متباعدة. تبين له أن ابنه يعمل خارج المدينة، ولا فكرة لديه عن مكان شقيقته.

تردّد إرلندور، ثمّ تأوّه قائلاً: «إلى اللقاء».

رفع سماعة الهاتف مجدداً، وسأل عن رقم هاتف طليقته، وقال حيـن أجابـت: «أنـا إرلنـدور. أظـن أن إيفا ليند في ورطة. هل تعرفين أين قد تكون؟».

صمت.

«اتصلـت بـي لتطلـب المسـاعدة، لكـن الخـط انقطع ولا أعرف مكانها. أظن أن هناك خطباً ما».

لم تجب بالرغم من ذلك.

«هالدورا؟».

«هل تتصل بي بعد عشرين سنة؟».

شعر بكراهية شديدة لا تزال بادية في صوتها بعد مرور كل ذلك الوقت، وأدرك أنه قد اقترف خطأً.

«تحتاج إيفا ليند إلى مساعدة، لكنني لا أعرف مكانها».

«مساعدة؟».

«أظن أن هناك خطباً ما».

«هل ذلك خطئي؟».

«خطؤك؟ لا، إنه ليس...».

«ألا تظن أنني كنت بحاجة إلى عون؟ كنت وحيدة مع طفلين. لم تكن تساعدني».

«هال...».

«وقد انحرف ولداك عن الطريق السوي؛ كلاهما! هل بدأت تدرك ما فعلته؟ ما فعلته بنا؟ ما فعلته بي وبولديك؟».

«لقد رفضتِ السماح لي برؤية...».

«ألا تفترض أنني قد تعاملت مع مشكلاتها مليون مرة؟ ألا تظن أنني كنت موجودة دائماً من أجلها؟ أين كنت أنت حينها؟».

«هالدورا، أنا...».

صرخت: «أيها الوغد!». ثمّ أغلقت السماعة بعنف. لعن إرلندور نفسه لأنه اتصل بها، ثم ركب سيارته، وقادها إلى مقاطعة فوغار، وتوقف خارج مبنى متداعٍ فيه شقق قبو تغور حتى منتصفها في الأرض. ضغط على جرس إحدى الشقق الذي كان يتدلى من سلك معلّق في إطار الباب، لكنه لم يسمعه يرنّ في الداخل، لهذا قرع على الباب، وانتظر بنفاد صبر سماع صوت شخص ما يأتي للرد عليه، لكن شيئاً لم يحدث. أمسك إرلندور المقبض، ولم يكن الباب موصداً فولج بحذر إلى الداخل. عندما أصبح في الردهة الصغيرة، سمع صوت بكاء طفل يأتي من مكان ما في الداخل، وشم رائحة بول وبراز كريهة حين اقترب من حجرة الجلوس.

كانت طفلة صغيرة، عمرها نحو سنة، تجلس على أرضية غرفة المعيشة وهي مرهقة من شدّة البكاء، وترتعش، وتنشج بعمق. كانت عارية إلا من ملابسها الداخلية. كانت الأرضية مغطاة بعلب شراب شعير فارغة، وزجاجات شراب روسي، وأغلفة وجبات سريعة التحضير، ومنتجات ألبان أضحت عفنة، وامتزجت الرائحة النتنة بالرائحة الكريهة التي تصدر عن الطفلة. لم يكن هناك شيء في حجرة الجلوس باستثناء أريكة متهالكة تتمدد عليها امرأة عارية تدير ظهرها إلى إرلندور. لم تنتبه إليه الطفلة حين تحرك نحو الأريكة، وأمسك المرأة من معصمها وتحسس نبضها، ورأى علامات إبرة على ذراعها.

كان المطبخ جزءاً من حجرة الجلوس، ووجد إرلندور في غرفة صغيرة بجانبه بطانية ألقاها فوق المرأة على الأريكة. ورأى داخل الغرفة باباً آخر يفضي إلى حمّام صغير فيه مرش ماء. رفع إرلندور الطفلة عن الأرض، وحملها إلى الحمّام، حيث غسلها بحرص بماء دافئ ولفّها بمنشفة، فتوقفت عن البكاء. ولاحظ أن الجلد بين ساقيها أحمر اللون نتيجة طفحٍ ناجم عن التبول. افترض أن الطفلة تتضور جوعاً، لكنه لم يعثر على شيء يمكن أن يطعمها إياه باستثناء لوحٍ صغيرٍ من الشوكولا كان في جيبه. كسر منه قطعة، وأعطاها إيّاها، وهو يتكلم معها بصوتٍ منخفض. وعندما لاحظ العلامات على ذراعيها وظهرها، كشّر.

وجد إرلندور مهداً، فرمى علبة شراب الشعير، وغلاف قطعة البرغر اللذين كانا داخله بعيداً، ووضع الطفلة برفق فيه، ثم عاد إلى حجرة الجلوس وهو يستشيط غضباً. لم يكن يعرف إن كانت الكتلة المستلقية على الأريكة والدة الطفلة، كما أنه لم يهتم بذلك. لكنه أجلس المرأة، ثمّ حملها إلى الحمّام، ووضعها على أرضية الدُش

وفتح الماء البارد كالثلج فوقها. ارتعشت، ولهثت طلباً للهواء، وصرخت وهي تحاول أن تحمي نفسها من الماء.

بقي إرلندور يرش المرأة بالماء البارد لبعض الوقت قبل أن يتوقف عن ذلك، ثم رمى البطانية عليها، وأعادها إلى حجرة الجلوس، وجعلها تجلس على الأريكة. استيقظت المرأة لكنها بقيت في حالة من الذهول، ونظرت إلى إرلندور بعينين ناعستين، ثم جالت ببصرها في الأرجاء وكأنها تفتقد إلى شيء ما، وتذكرت فجأة ما هو.

سألت وهي ترتعش تحت البطانية: «أين برلا؟».

قال إرلندور بغضب: «برلا؟ إنه من نوع الأسماء التي تطلقينها على جرو؟».

كرّرت المرأة: «أين ابنتي؟». بدت في الثلاثين من عمرها أو نحو ذلك. شعرها قصير، وتضع تبرجاً كان قد سال على وجهها بسبب الماء، ولطخ كل وجهها. كانت شفتها العليا متورّمة، وهناك نتوء بارز في جبينها، وكدمة تظهر على عينها اليمنى الزرقاء.

قال إرلندور: «ليس لديك الحقّ حتى بالسؤال عنها».

«ماذا؟».

«أنت تطفئين لفائف التبغ على جسد طفلتك».

«ماذا؟ لا! من...؟ من أنت؟».

«أم أن الوحش الذي يضربك هو الذي فعل ذلك أيضاً؟».

«يضربني؟ ماذا؟ من أنت؟».

قال إرلندور: «سآخذ برلا منك، وسألقي القبض على الرجل الذي فعل بها ذلك. لهذا يجب أن تقولي لي شيئين».

«هل قلت إنك ستأخذها مني؟».

«هناك امرأة تعيش هنا منذ بضعة شهور، وربما سنة، هل تعرفين

شيئاً عنها؟ اسمها إيفا ليند. نحيلة، شعرها أسود...».

«برلا مزعجة، وتبكي طوال الوقت».

«مسكينة أنتِ...».

«إنها تدفعني إلى الجنون».

«لنبدأ مع إيفا ليند. هل تعرفينها؟».

«لا تأخذها مني، أرجوك».

«هل تعرفين أين إيفا ليند؟».

«انتقلت إيفا منذ شهور».

«هل تعرفين إلى أين؟».

«لا، كانت مع بادي».

«بادي؟».

«إنه حارس ملهى. سأخبر الصحف إذا أخذتها. ما رأيك بذلك؟ سأخبر الصحف».

«أين حارس الملهى؟».

أخبرته، فوقف إرلندور، وطلب سيارة إسعاف، واتصل بقسم الطوارئ في مجلس رعاية الطفل، وزوّدهم بوصف موجز للحال.

قال إرلندور وهو ينتظر وصول سيارة الإسعاف: «الآن، الأمر الثاني. أين ذلك الوغد الذي يضربك؟».

قالت: «دعه وشأنه».

«كي يفعل ذلك مجدداً؟ هل ذلك ما تريدينه؟».

«لا».

«إذاً، أين هو؟».

«أريد فقط...».

«نعم، ماذا؟ ماذا تريدين...؟».

«إذا كنت ستعتقله...».

«نعم».

قالت وهي تبتسم لإرلندور ببرودة: «إذا كنت ستعتقله، فتأكّد من قتله؛ لأنك إذا لم تفعل ذلك فسيقتلني».

كان بادي مفتول العضلات، لكن رأسه صغير على نحو غير معتاد، ويعمل حارساً في نادٍ يدعى كونت روسو في وسط ريكيافيك. لم يكن الرجل واقفاً عند الباب حين وصل إرلندور، لكن حارساً آخر ذا بنية مشابهة كان قد أخبر إرلندور أين يمكنه أن يعثر عليه.

كان الحارس قد قال: «إنه يهتم بالخاصة». ولم يفهمه إرلندور فوراً.

شرح الحارس: «مقصورات الرقص الخاصة، أو العروض الخاصة». ثم حرّك عينيه مستسلماً.

مشى إرلندور داخل النادي الذي كان مضاءً بأنوارٍ حمراء باهتة، ورأى مشرباً واحداً في المكان، وبضع طاولات وكراسٍ، ورجلين يشاهدان شابة تنزلق على عمود معدني فوق أرضية رقص مرتفعة على وقع أنغام موسيقى بوب رتيبة. نظرت المرأة إلى إرلندور، وبدأت ترقص أمامه وكأنه زبون محتمل. رمقها إرلندور بنظرة رثاء وأسى، فارتبكت وفقدت توازنها، ثم استعادته مجدداً، وابتعدت عنه... في محاولة لحفظ بعض ماء الوجه.

حاول إرلندور معرفة المكان الذي تُقام فيه العروض الخاصة، ورأى رواقاً طويلاً يقع مباشرة قبالة ساحة الرقص فمشى إليه. كان الممر مطلياً باللون الأسود، وفي نهايته سلالم توصل إلى القبو. وبالرغم من أن إرلندور لم يتمكن من الرؤية جيداً، إلا أنه نزل ببطء على السلالم

حتى وصل إلى رواق أسـود آخر. كان مصباح أحمر واحد يتدلى من السقف. وفي نهاية الممر، وقف حارس ضخم مفتول العضلات وهو يضـع ذراعيـه فـوق بعضهمـا على صدره، وحدّق إلى إرلندور. كان في الرواق بينهما ستة أبواب، ثلاثة على كل جانب، واستطاع إرلندور سماع صوت كمان يعزف موسيقى حزينة في إحدى الغرف.

مشى الحارس مفتول العضلات نحو إرلندور.

فسأله إرلندور: «هل أنت بادي؟».

سأل الحارس، ورأسه الصغير يبدو مثل ثؤلول فوق عنقه البدين: «أين فتاتك؟».

قال إرلندور مدهوشـاً: «كنت على وشـك أن أسـألك \أنت عن ذلك».

«أنا؟ لا، لست من يرتّب مواعيدَ للفتيات. يجب أن تصعد إلى الأعلى وتنتقي واحدة ثم تجلبها إلى هنا في الأسفل».

قـال إرلنـدور مـدركاً سـوء الفهـم: «أوه، فهمت. أبحث عن إيفا ليند».

«إيفا؟ لقد استقالت منذ وقت طويل. هل كنت معها؟».

حدّق إرلندور إليه.

«منذ وقت طويل؟ ماذا تعني؟».

«كانت تأتي إلى هنا أحياناً. كيف تعرفها؟».

فُتح باب في الرواق، وخرج منه شـاب وهو يشـدّ زمام معطفه، ورأى إرلنـدور فتـاة تنحنـي لتلقـط بعـض الملابـس عـن الأرضية في الغرفة. تجاوزهما الشاب وهو يربت على كتف بادي، ثم اختفى في أعلى السلالم، ونظرت الفتاة في الغرفة إلى وجه إرلندور ثم أغلقت الباب بعنف.

قال إرلندور ذاهلاً: «هل تعني بقولك هنا\أنّ إيفا ليند كانت تأتي إلى هنا في الأسفل؟».

قال بادي بحماسة بائع سيارات مستعملة: «منذ وقت طويل. هناك فتاة تبدو مثلها تماماً في هذه الغرفة». وأشار إلى أحد الأبواب: «إنها طالبة طب من ليتوانيا، وتلك الفتاة تعزف على الكمان. هل تسمعها؟ إنها في كلية شهيرة في بولندا. إنهنّ يأتين إلى هنا لجني بعض المال، ثم يذهبن لمتابعة دراستهن».

«هل تعرف أين يمكنني العثور على إيفا ليند؟».

قال بادي وتعبير غبطة بالغة يظهر على وجهه: «لا نقول أبداً أين تعيش الفتيات».

قال إرلندور بملل: «لا أريد أن أعرف أين تعيش الفتيات». حاول ألاّ يفقد أعصابه، فقد عرف أن عليه توخي الحذر، والحصول على المعلومات بدبلوماسية، بالرغم من أنه شعر برغبة عارمة في ليّ عنق الرجل. قال بهدوء قدر المستطاع: «أظن أن إيفا ليند في ورطة، وقد طلبت مني مساعدتها».

قال بادي ساخراً وهو يقهقه: «ومن أنت؟ والدها؟».

نظر إليه إرلندور متسائلاً كيف يمكنه إحكام قبضته على ذلك الرأس الأصلع الصغير. تجمّدت الابتسامة على وجه بادي حين أدرك أنه قد أصاب كبد الحقيقة؛ بالمصادفة كالمعتاد. تراجع ببطء خطوة واحدة إلى الخلف، وسأل: «هل أنت الشرطي؟».

أومأ إرلندور.

«هذه مؤسسة قانونية تماماً».

«هذا ليس من شأني. هل تعرف شيئاً عن إيفا ليند؟».

«هل هي مفقودة؟».

قال إرلندور: «لا أعرف. لا يمكنني العثور عليها. لقد اتصلت بي في وقت سابق، وطلبت مني مساعدتها، لكنني لا أعرف أين هي. قيل لي إنك كنت تعرفها».

«أمضيت معها بعض الوقت، هل أخبرتك بذلك؟».

هزّ إرلندور رأسه.

«البقاء معها مستحيل، فهي مجنونة حقًّا».

«هل يمكنك أن تخبرني أين هي؟».

«مضى وقت طويل منذ أن رأيتها. إنها تكرهك، هل تعرف ذلك؟».

«عندما كنت تخرج معها، من كان يزوّدها بالمواد؟».

«أتقصد الموزّع الذي تتعامل معه؟».

«الموزّع الذي تتعامل معه، نعم».

«هل ستزّج به خلف القضبان؟».

«لن أزج بأحد خلف القضبان. يجب أن أعثر على إيفا ليند. هل يمكنك مساعدتي أم لا؟».

أمعن بادي التفكير في خياراته. لم يكن مضطراً إلى مساعدة هذا الرجل على الإطلاق، أو إيفا ليند، التي يمكن أن تذهب إلى الجحيم. لكن، كان هناك تعبير على وجه المحقق أخبره أنّه من الأفضل أن يكون إلى جانبه وليس ضده.

قال: «لا أعرف أي شيء عن إيفا ليند، تكلم مع ألي».

«ألي؟».

«ولا تخبره أنني أرسلتك إليه».

5

قاد إرلندور سيارته إلى أقدم حي في البلدة بجانب الميناء، وهو يفكّر في إيفا ليند وريكيافيك. كان قد ولد في مكان آخر، ويعتبر نفسه غريباً، بالرغم من أنه قد عاش في المدينة معظم حياته، ورآها تتمدد عبر الخلجان والتلال مع انخفاض عدد المجتمعات الريفية، وتتحول إلـى مدينـة حديثـة تمتلـئ بأشـخاص لا يرغبـون في العيش في الريف أو قرى صيد الأسـماك، أو لا يسـتطيعون العيش هناك، وجاءوا إلى المدينة لبناء حياة جديدة لأنفسهم، ولكنهم خسروا جذورهم فأضحوا من دون ماضٍ، وينتظرهم مستقبل غامض. لم يكن قد شعر بالراحة مطلقاً في المدينة.

شعر بأنه غريب.

كان عمر آلي 20 سنة تقريباً. وكان هزيلاً، وداكن البشرة. أسنانه الأمامية مفقودة، ووجهه متغضّن وشـاحب، ويسـعل على نحو كريه. وجده إرلندور في المكان الذي وصفه له بادي. كان يجلس إلى طاولة داخل مقهى أوستورسـتراتي وحيداً، وكأسُ شـراب فارغة أمامه. بدا نائماً؛ إذ كان مطأطئاً رأسه، فيما ذراعاه متشابكتان فوق صدره. كان يرتـدي بـاركا (معطفـاً) أخضـرَ متسـخاً لـه ياقة مـن الفرو، وقد وصفه بادي جيداً. جلس إرلندور إلى طاولته.

سـأل: «هـل أنـت ألـي؟». لكنـه لم يتلقَّ جوابـاً، فنظر في أرجاء المشـرب. كان المـكان معتمـاً فـي الداخـل، وفارغـاً إلاّ من حفنة من الأشخاص الذين كانوا يجلسون إلى طاولة أخرى، ومغنٍّ ريفي بائس

يصـدح بأغنيـة حزينـة عـن حبٍّ ضائع مـن مجهار فوقهم. وكان هناك ساقٍ يجلـس علـى كرسـي صغيـر خلف النضد وهو يقـرأ كتاباً ورقيَّ الغلاف مطويَّ الزاوية.

كـرّر إرلنـدور السـؤال، ووكـز أخيـراً كتف الرجل الذي اسـتيقظ ونظر إلى إرلندور بعينين ذابلتين.

سـأل إرلندور وهو يبذل قصارى جهده ليبتسـم: «أتريد شـراب شعير آخر؟». تحرّكت تكشيرة على وجهه.

سأل ألي وعيناه تلمعان: «من أنت؟». لم يقم بأي محاولة لإخفاء تعبيره المعتوه.

«أبحث عن إيفا ليند. أنا والدها وعلى عجلة من أمري. اتصلت بي وطلبت المساعدة».

سأل ألي: «هل أنت الشرطي؟».

قال إرلندور: «نعم، أنا الشرطي».

شدّ ألي قامته على كرسيه، ونظر حوله خلسة.

«لماذا تسألني؟».

«أعلم أنك تعرف إيفا ليند».

«كيف؟».

«هل تعرف أين هي؟».

«هل ستشتري لي شراب شعير؟».

نظـر إرلنـدور إليـه، وتسـاءل للحظـة إن كان يسـتخدم المقاربـة الصحيحة، لكنه تابع على أيّ حال فقد كان الوقت ينفد. نهض ومشى بسرعة إلى النضد، فرفع الساقي بصره بتردد عن كتابه، ووضعه جانباً وتعبير أسـى يظهر على وجهه، ثم نهض عن كرسـيه. طلب إرلندور كأساً كبيرة من شراب الشعير، وكان يتحسس محفظته حين لاحظ أن

ألي قد اختفى. ألقى نظرة سريعة على المكان، ورأى الباب يُغلق، فترك الساقي ممسكاً بكأس شراب الشعير، وركض إلى الخارج، وشاهد ألي يجري إلى المنازل القديمة في غريوتاثورب.

لم يركض ألي بسرعة كبيرة أو يستمر على تلك الحال وقتاً طويلاً أيضاً. نظر خلفه، ورأى إرلندور يطارده فحاول أن يزيد سرعته، لكنه لم يكن يتمتع بقدرة على التحمّل، وسرعان ما لحق به إرلندور، ودفعه من الخلف، فسقط على الأرض متأوّهاً. تدحرجت علبتا أقراص من جيبيه، فالتقطهما إرلندور، وبدتا له مثل إكستاسي، فمزّق معطف ألي، وسمع صوت المزيد من القوارير تخشخش داخله. عندما انتهى إرلندور من إفراغ جيوب المعطف كان لديه ما يكفي لملء خزانة أدوية كبيرة.

لهث ألي وهو يقف بصعوبة على قدميه: «سوف... يقتلونني». لم يكن هناك أشخاص كثر في الأنحاء، وأسرع زوجان عجوزان كانا يقفان في الطرف الآخر من الشارع بالابتعاد حين رأيا إرلندور يلتقط قوارير الأقراص الواحدة تلو الأخرى.

قال إرلندور: «لا أكترث بذلك».

«لا تأخذها مني. أنت لا تعرف كم هم...».

«من؟».

استند ألي إلى جدار أحد المنازل وبدأ يبكي.

قال والمخاط يسيل من أنفه: «إنها فرصتي الأخيرة».

«لا أهتم أبداً بأي فرصة. متى كانت آخر مرة رأيت فيها إيفا ليند؟».

تنشّق ألي، وحدّق فجأة إلى إرلندور وكأنه يرى سبيلاً للخلاص.

«لا بأس».

«ماذا؟».

سأل: «إذا أخبرتك عن إيفا فهل ستعيد إليّ تلك القوارير؟».

أمعن إرلندور التفكير في الأمر.

«إذا كنت تعرف شيئاً عن إيفا، فسأعيدها إليك. لكن، إذا كنت تكذب، فسأعود وأجعلك منصة للقفز».

«لا بأس، لا بأس. جاءت إيفا لتراني اليوم، فهي تدين لي ببعض المال. رفضت إعطاءها المزيد، فأنا لا أتعامل مع نساء حوامل».

قال إرلندور: «لا. أنت رجل مبادئ كما أفترض».

«كان بطنها الممتلئ يبرز أمامها، وانتحبت أمامي، وبدأت تصرخ حين لم أعطها شيئاً، ثم غادرت».

«هل تعرف إلى أين ذهبت؟».

«لا فكرة لديّ».

«أين تعيش؟».

«إنّها فتاة لا تملك مالاً. أريد المال كما ترى، وإلا سيقتلونني».

«هل تعرف أين تعيش؟».

زمجر ألي مترفّعاً: «أين تعيش؟ إنّها تعيش في اللامكان. تحط الرحال حيث تستطيع. تستجدي، وتظن أن بمقدورها الحصول على ما تريده من دون مقابل؛ وكأنك تريد منحها ذلك، أو أنه مجاني».

منحت الثغرة الموجودة بين أسنانه كلامَه لثغة خفيفة. وبدا فجأة مثل طفل كبير يرتدي باركا متسخاً، ويحاول أن يتصرف بشجاعة.

بدأ المخاط يسيل من أنفه مجدداً.

سأل إرلندور: «إلى أين قد تكون ذهبت؟».

نظر ألي إليه وتنشّق.

«هل ستعيد إليّ تلك القوارير؟».

«أين هي؟».

«هل سأستعيدها إذا أخبرتك؟».

«إذا لم تكن تكذب. أين هي؟».

«كانت هناك فتاة معها».

«من؟ ما اسمها؟».

«أعرف أين تعيش».

اقترب إرلندور خطوة منه قائلاً:

«ستستعيدها كلها. من هي تلك الفتاة؟».

«اسمها راغا، وتعيش قريباً من هنا في تريغفاغاتا، في أعلى المبنى الكبير الذي يطل على المرسى». مدّ ألي يده بتردد. «لا بأس؟ لقد وعدت. أعدها إليّ. لقد وعدتني».

قال إرلندور: «محال أن أعيدها إليك أيها الأحمق. لو كان لدي وقت لكنت أخذتك إلى مقر الشرطة، ورميتك في زنزانة حتى تنال جزاءك على ذلك».

«لا، سيقتلونني! لا تفعل! أعدها إليّ أرجوك. أعدها إليّ!».

ترك إرلندور ألي ينتحب وهو مستند إلى المبنى، حيث لعن نفسه، وضرب رأسه بالجدار بغضب واهن. استطاع إرلندور سماع اللعنات بعد ابتعاده مسافة طويلة عنه. لكنّه دُهِش حين أدرك أنّ ألي لم يكن يصبّ لعناته عليه، وإنما على نفسه.

«أحمق لعين، أنت أحمق لعين...».

نظر إلى الخلف، ورأى ألي يصفع وجهه بيديه.

فتح الباب فتى صغير، يبلغ الرابعة من عمره على الأرجح، ويرتدي سروال رداء نوم، ويسير حافي القدمين. وكان شعره متسخاً.

نظر إلى إرلندور الذي انحنى نحوه، ومدّ يده ليربت على وجنته، فأعاد الفتى رأسه إلى الخلف. سأله إرلندور إن كانت والدته في المنزل، لكن الفتى رمقه بنظرة مستفسرة ولم يُجب.

سأل: «هل إيفا ليند معكم يا بني؟».

شعر إرلندور أن الوقت ينفد منه، فقد انقضت ساعتان منذ أن اتصلت به إيفا ليند. حاول التخلص من فكرة أنه قد تأخر كثيراً آنذاك على مساعدتها، وتخيّل نوع الورطة التي تتخبّط فيها، لكنه سرعان ما توقف عن تعذيب نفسه بتلك الطريقة، وركّز على العثور عليها. كان يعرف الآن مع من كانت حين تركت ألي في ذلك المساء، وانتابه شعور بأنه يقترب منها.

من دون أن يجيب، اندفع الفتى عائداً إلى الشقة، واختفى داخلها، فتبعه إرلندور، لكنه لم يعرف إلى أين ذهب. كانت الشقة معتمة جداً، فتحسّس إرلندور الجدران علّه يعثر على مفتاح مصباح. وبعد عدّة محاولات فاشلة، تلمّس طريقه إلى غرفة صغيرة، فيها على الأقل مصباح واحد يتدلى من السقف. كان المصباح يومض ثم يخبو. لم يكن هناك شيء على الأرض، باستثناء إسمنت بارد، وفُرش متسخة تنتشر في كل أنحاء الغرفة، تستلقي على إحداها فتاة أصغر قليلاً من إيفا ليند. كانت ترتدي جينزاً بالياً وقميصاً أحمر. وكانت هناك علبة معدنية فيها إبرتا حقن مفتوحة بجانبها، بالإضافة إلى أنبوب بلاستيكي رفيع مرميّ على الأرض، ورجلين نائمين على فراشين على كلا جانبيها.

جثا إرلندور بجانب الفتاة ووكزها، لكنه لم يتلقَّ جواباً. فرفع يدها، وأجلسها، وربت على وجنتها. تمتمت شيئاً، فنهض، ورفعها لتقف على قدميها، وحاول أن يجعلها تمشي في الغرفة، وسرعان ما

بدا أنها تستعيد وعيها. فتحت عينيها، ولاحظ إرلندور كرسياً صغيراً في الظلام فأجلسها عليه. نظرت إليه، واسترخى رأسها إلى صدرها. صفع وجهها بلطف فاستفاقت مجدداً.

سأل إرلندور: «أين إيفا ليند؟».

تمتمت الفتاة: «إيفا».

«كنتِ معها اليوم. إلى أين ذهبت؟».

«إيفا...».

طأطأت رأسها مجدداً. رأى إرلندور الفتى الصغير يقف عند الباب. كان يحمل دمية بإحدى يديه، وزجاجة إرضاع فارغة دفعها نحوه باليد الأخرى، ثم وضع الزجاجة في فمه، وسمعه إرلندور يمص الهواء. راقب الفتى، وصرّ أسنانه قبل أن يخرج جوّاله ليطلب المساعدة.

وصل طبيب مع سيارة الإسعاف، كما كان إرلندور قد أصرَّ.

قال إرلندور: «أريد أن أطلب منك وخزها بحقنة».

قال الطبيب: «حقنة؟».

«أظن أنه هيروين. هل لديك نالوكسون أو ناركانتي في حقيبتك؟».

«نعم، أنا...».

«يجب أن أتكلم معها، فوراً. ابنتي في خطر، وهذه الفتاة تعرف أين هي».

نظر الطبيب إلى الفتاة، ثم إلى إرلندور، وأومأ.

كان إرلندور قد أعاد الفتاة إلى الفراش، وانقضى بعض الوقت قبل أن تستعيد رشدها. وقف المساعدان الطبيّان بالقرب منها وهما

يحملان نقّالة بينهما. كان الفتى الصغير يختبئ في الغرفة، والرجلان يستلقيان فاقدي الوعي في فراشيهما.

جثم إرلندور بجانب الفتاة التي كانت تستعيد وعيها ببطء، ونظرت إلى إرلندور، ثم إلى الطبيب والمساعدين الطبيّين.

سألت بصوت خافت وكأنها تتكلم مع نفسها: «ماذا يجري؟».

سأل إرلندور: «هل تعرفين شيئاً عن إيفا ليند؟».

«إيفا؟».

«كانت معك الليلة، وأظن أنها ربما تكون في خطر. هل تعرفين إلى أين ذهبت؟».

سألت: «هل إيفا بخير؟». ثم نظرت حولها: «أين كيدي؟».

قال إرلندور: «يوجد فتى صغير في الغرفة هناك، وهو ينتظرك. أخبريني أين يمكنني العثور على إيفا ليند؟».

«من أنت؟».

«والدها».

«الشرطي؟».

«نعم».

«إنها لا تطيقك».

«أعرف. هل تعلمين أين هي؟».

«بدأت تشعر بالألم، فطلبت منها أن تذهب إلى المستشفى. كانت ستذهب إلى هناك».

«الألم؟».

«كان بطنها يؤلمها».

«من أين ذهبت إلى هناك؟ من هنا؟».

«كنا في محطة الحافلات».

«محطة الحافلات؟».

«كانت ستذهب إلى المستشفى الوطني. أليست هناك؟».

وقف إرلندور، وزوّده الطبيب برقم مقسم المستشفى، فاتصل به ليسمع فقط أن لا أحد باسم إيفا ليند قد دخل إليه في الساعات القليلة الماضية، وأنه لا توجد امرأة في مثل عمرها هناك؛ ثم حُوّلَ إلى جناح الأمومة، وحاول أن يصف ابنته بأفضل ما يستطيع، لكن القابلة المناوبة قالت إنها تظن أنها لم ترها.

خرج من الشقة جارياً، واستقل سيارته، وقادها مسرعاً إلى محطة الحافلات، لكنه لم يرَ أي شخص هناك، فقد كانت المحطة مغلقة في منتصف الليل. غادر سيارته، ومشى مسرعاً على طول سنورابراوت، وركض في الشارع بعد المنازل في نوردورمايري، وجال ببصره في الحدائق بحثاً عن ابنته. بدأ يصرخ باسمها مع اقترابه من المستشفى، لكنه لم يتلقَّ رداً.

أخيراً، وجدها ممدة على مرج تظلله أشجار، على بعد نحو 50 متراً عن مركز الأمومة القديم، وتحيط بها بركة من الدماء. كان قد تأخر، فالعشب تحتها كان ملطخاً بالدماء وكذلك سروالها.

جثم إرلندور بجانب ابنته، ونظر إلى مركز الأمومة، ورأى نفسه يدخل عبر الباب مع هالدورا قبل كل تلك السنين حين وُلدت إيفا ليند نفسُها. هل ستموت في المكان نفسه؟

ضرب إرلندور بلطف جبين إيفا، غير واثق إن كان يجرؤ على تحريكها.

ظنّ أنها في الشهر السابع من حملها.

* * *

كانت قد حاولت هجره، لكنها تخلّت عن ذلك منذ وقت طويل.

فقـد تركتـه مرتيـن حيـن كانـا لا يزالان في شـقة القبو فـي ليندارغاتا. انقضـت سـنة كاملـة منـذ أن ضربهـا للمـرّة الأولى. فقد فَقَدَ السـيطرة على نفســه مجدداً، أو هذا ما قاله هو، حين كان لا يزال يتكلم عن العنـف الـذي عاملهـا بـه. لـم تنظر إلى الأمر على أنه فقدان للسـيطرة علـى النفـس؛ إذ بـدا لهـا مسـيطراً تمامـاً على نفســه حين كان يضربها ضرباً مبرحاً ويمطرها بالشـتائم، حتى في أوج نوبة جنونه ظهر بارداً ورابط الجأش وواثقاً مما يفعله؛ دائماً.

ومـع مـرور الوقـت، أدركـت أنهـا بحاجة أيضاً إلـى صقل ثقتها بنفسـها لتسـتطيع التغلـب عليـه. كان محكومـاً علـى أولـى محاولات هروبها بالفشــل. فهي لم تُحضِّر نفسـها، أو تعرف الخيارات المتاحة لها، أو تعرف إلى أين تهرب، فوجدت نفسها فجأة واقفة خارج المنزل في البرد القارس في إحدى أمسيات شباط مع ولديها، وهي تحتضن سيمون بيدها، وتحمل ميكلينا على ظهرها، لكنها لـم تعرف إلى أين تذهب. كان كل ما تعرفه هو أن عليها الابتعاد عن القبو.

كانـت قـد رأت رجـل الديـن الـذي أخبرهـا أن الزوجة الصالحة لا تترك زوجها. وأنّه يجب على الناس أن يتحلّوا بالكثير من الصبر للحفاظ على زواجهم.

قال رجل الدين: «فكّري في ولديك».

ردّت: «أنا أفكّر في الولدين». فابتسم لها رجل الدين بلطف.

لم تحاول الاتصال بالشرطة التي استدعاها جيرانها مرتين حين هاجمها زوجها. ونزل الضباط إلى القبو لفض شجار منزلي ثم غادروا المكان. عندما وقفت أمام أفراد الشـرطة بعين متورّمة وشـفة ممزقة، طلبـوا مـن الزوجيـن أن يلتزمـا الهدوء، وقالوا إنهما يزعجان الجيران. وفـي المـرة الثانيـة، بعـد سـنتين، اصطحبه أفراد الشـرطة إلى الخارج

ليتكلموا معه، وكانت قد صرّحت بأنّه ضربها وهدّد بقتلها، وأن تلك ليست أول مرة. سألوها إن كانت تشرب، لكن السؤال لم يرق لها، وكرّروا ذلك مجدداً، فقالت: «لا». فهي لا تشرب أبداً. قالوا له شيئاً في الخارج عند الباب الأمامي، ثم صافحوه وغادروا.

وعندما ذهبوا شطب وجنتها بموسى حلاقته.

في تلك الأمسية نفسها، وبعد أن خلد سريعاً إلى النوم، وضعت ميكلينا على ظهرها ودفعت بهدوء سيمون إلى خارج الشقة أمامها، وصعوداً على درجات القبو. كانت قد صنعت كرسياً متحركاً لميكلينا من عربة أطفال قديمة وجدتها في مكبّ نفايات، لكنه حطّمه في نوبة غضب؛ وكأنه شعر بأنها ستهجره وظنّ أن ذلك سيمنعها.

لم يكن هروبها مخططاً له على الإطلاق. وفي النهاية، ذهبت إلى جيش الخلاص الذي منحها مكاناً تنام فيه الليل. لم يكن لديها أقارب في ريكيافيك أو في أي مكان آخر. وفي اللحظة التي استيقظ فيها في صباح اليوم التالي، ورأى أنهم قد غادروا المكان خرج للبحث عنهم. جال في المدينة بقميصه قصير الرّدْنين في البرد، ورآهم يغادرون مقر جيش الخلاص. لم تشعر به إلا وهو ينتزع الفتى منها، ويحمل ابنتها، وينطلقون نحو المنزل من دون أن ينبس أحد بكلمة. أصيب الولدان بفزع شديد بحيث لم يستطيعا مقاومته، لكنها رأت ميكلينا تمدُّ ذراعيها نحوها وتذرف الدموع بصمت.

بمَ كانت تفكر؟

ثم حثّت الخُطى خلفهم.

هدّدها بعد محاولتها الهرب للمرّة الثانية بقتل ولديها، ولم تجرؤ على الهرب بعد ذلك. في المرة الثانية، كانت أكثر استعداداً، وتخيّلت أن بمقدورها بدء حياة جديدة؛ بالانتقال شمالاً مع الولدين

إلى بلدة لصيد الأسماك، واستئجار غرفة أو شقة صغيرة، والعمل في مصنع أسماك، والتأكّد من عدم حاجتهم إلى شيء. استغرق التخطيط لكل شيء في المحاولة الثانية وقتاً طويلاً، وقررت الانتقال إلى سيغلوفيوردور لتبدأ منها، فقد كان هناك الكثير من الوظائف بعد انقضاء أسوأ سنوات الكساد. وكان الغرباء يتقاطرون إلى المكان للعمل، ويمكنها العيش مع ولديها هناك من دون أن تثير انتباه أحد، وبمقدورها تمضية بعض الوقت في مهاجع العمّال قبل أن تعثر على غرفة خاصة بها.

لم يكن توفير تكلفة الرحلة على متن الحافلة لها ولولديها سهلاً، فقد كان زوجها يحتفظ بكل قرش يكسبه في الميناء. وكانت قد تمكّنت مع مرور وقت طويل من ادّخار بضع قطع نقدية حتى أصبح لديها ما يكفي للقيام بالرحلة. أخذت كل ملابس الطفلين التي يمكن وضعها في حقيبة صغيرة، والقليل من المقتنيات الشخصيّة، والكرسي المتحرك الصغير الذي يمكن أن يحمل ميكلينا بعد أن أصلحته. وأسرعت إلى محطة الحافلات، وهي تنظر حولها برعب وكأنها تتوقع أن تلتقيه عند زاوية الشارع التالي.

ذهب إلى المنزل في وقت الغداء كالمعتاد، وأدرك فوراً أنها قد هجرته. كانت تعرف أن الغداء يجب أن يكون جاهزاً حين يعود إلى البيت، ولم تكن قد تأخرت مرة في تحضيره. لاحظ أن الكرسي المتحرك قد اختفى، وأنّ الخزانة مفتوحة. وتذكر محاولتها السابقة، فاندفع مباشرة إلى جيش الخلاص، وأحدث جلبة حين قيل له إنها ليست هناك. لم يصدّقهم، وجرى في كل أنحاء المبنى. دخل الغرف والقبو، وعندما لم يستطع العثور عليهم هاجم قائد جيش الخلاص الذي يدير الملتجأ، وطرحه أرضاً، وهدّد بقتله إذا لم يخبره عن مكانهم.

أخيراً، عندما أدرك أنها لم تكن قد ذهبت إلى جيش الخلاص، تجول في المدينة من دون أن تقع عيناه عليها، واندفع إلى داخل المتاجر والمطاعم، لكنها لم تكن موجودة في أي مكان. اشتدّ هياجه ويأسه مع مرور اليوم، وعاد إلى المنزل وهو يستشيط غضباً، وقلب شقّة القبو رأساً على عقب بحثاً عن أدلّة تشير إلى المكان الذي كانت قد قصدته. ثم ذهب إلى صديقتين قديمتين لها منذ أن كانت تعمل لمصلحة التاجر، واندفع من دون استئذان إلى داخل منزليهما، وناداها، ونادى الولدين، ثم غادر من دون أن ينبس بكلمة واختفى.

وصلت إلى سيغلوفيوردور عند الساعة الثانية من بعد منتصف الليل. بعد سفر استغرق يوماً كاملاً على نحو متواصل تقريباً. كانت الحافلة قد توقفت ثلاث مرات لتسمح للركاب بالراحة، وتناول الطعام الذي أحضروه معهم أو شراء وجبة. كانت لديها شطائر وقوارير حليب، لكنهم شعروا بالجوع مجدداً حين اقتربت الحافلة من هاغانسفيك في فليوت، حيث كان المركب ينتظر لنقل الركاب إلى سيغلوفيوردور، في الليل البارد. بعد أن عثرت على المهجع، قادها كبير العمال إلى غرفة صغيرة فيها سرير واحد، وأعطاها فراشاً تمدّه على الأرض، وبطانيتين. وأمضوا ليلة الحرية الأولى هناك. خلد الولدان إلى النوم في اللحظة التي مسّا فيها الفراش، لكنها استلقت محدّقة في الظلام، ولم تستطع مقاومة القشعريرة التي سرت في جسدها كله، فانهارت وبكت.

وجدها بعد بضعة أيام. كان أحد الاحتمالات التي خطرت له هو أنها قد غادرت المدينة، ربما على متن حافلة. ولهذا ذهب إلى المحطة، وسأل هناك، واكتشف أن زوجته وولديها قد استقلوا الحافلة المتجهة شمالاً إلى سيغلوفيوردور. تحدث إلى السائق الذي تذكر

المرأة والولدين بوضوح، وخاصة الفتاة المعوقة، ثمّ استقلّ الحافلة التالية التي تنطلق شمالاً، ووصل إلى سيغلوفيوردور بعد منتصف الليل بقليل. شق طريقه من مهجع إلى آخر، ووجدها أخيراً نائمة في غرفتها الصغيرة التي قاده كبير العمّال إليها بعد أن أيقظه. شرح الأمر لكبير العمّال، وقال إنها قد جاءت إلى القرية قبله، ولكنهم لن يمكثوا طويلاً على الأرجح.

تسلل إلى الغرفة التي كان ضوء باهت يدخلها من خلال نافذة صغيرة. مرّ قرب الولدين النائمين على الفراش، ثمّ انحنى فوقها حتى كاد وجهاهما يتلامسان، وهزّها. كانت مستغرقة في نوم عميق، فهزّها مجدداً بقوة أكبر حتى فتحت عينيها، وابتسم حين رأى الرعب الشديد في عينيها. كادت تصرخ طلباً للمساعدة، لكنه وضع يده فوق فمها.

همس متوعداً: «هل ظننتِ حقًّا أنك ستنجحين في القيام بذلك؟».

حدّقت إليه.

«هل ظننتِ حقًّا أن الأمر سيكون سهلاً؟».

هزّت رأسها ببطء.

قال بصوت منخفض من بين أسنانه المصطكة: «هل تعرفين ما أريد أن أفعله حقًّا الآن؟ أريد أن آخذ الفتاة إلى أعلى سفح الجبل وأقتلها، وأدفنها حيث لا يستطيع أحد العثور عليها أبداً، وأقول إن تلك المزعجة قد زحفت إلى البحر. وهل تعرفين أمراً آخر؟ هذا ما سأفعله في هذه اللحظة. وإذا خرج أي صوت من الفتى فسأقتله أيضاً، وأقول إنه زحف إلى البحر خلفها».

أطلقت نشيجاً خافتاً حين ألقى نظرة على الولدين وابتسم، ثم أبعد يده عن فمها.

تأوهت: «لن أفعل ذلك مجدداً أبداً. لن أفعل ذلك مجدّداً. آسفة، آسفة. لا أعرف ما الذي كنت أفكر فيه. آسفة، أنا مجنونة، وأعرف ذلك. أنا مجنونة. لا تدع الولدين يدفعان ثمن ذلك. اضربني، اضربني بكل ما أوتيت من قوة. اضربني بكل قوتك. يمكن أن نغادر إذا أردت».

خاب أمله من يأسها.

قال: «لا، لا. هذا ما تريدينه أنتِ، لهذا دعينا نفعل ذلك على طريقتي».

وتظاهر بأنه يمد يده نحو ميكلينا التي كانت نائمة إلى جانب سيمون، لكن والدة الفتاة أمسكت يده مذعورة تماماً.

وقالت وهي تلطم وجهها: «انظر، انظر». ثمّ شدّت شعرها وقالت: «انظر». وبعد ذلك، جلست ورمت نفسها إلى الخلف على رأس السرير الحديدي، وسواء أكانت تعني ذلك أم لا فقد ضربت نفسها بقوة وانهارت أمامه فاقدة الوعي.

بدأوا رحلة العودة في وقت باكر من صباح اليوم التالي. كانت قد عملت في مصنع الأسماك عدّة أيام، وذهب معها للحصول على أجرها. ففي أثناء عملها في قسم التمليح كان بمقدورها مراقبة ولديها اللذين كانا يلعبان في مكان قريب أو يبقيان في الغرفة. شرح لكبير العمّال أنهم سيعودون إلى ريكيافيك، لأنّهم تلقوا نبأً بدّل خططهم، وأن لديها مستحقات عندهم يريدون الحصول عليها. خربش كبير العمّال على ورقة، وأشار إلى المكتب، ونظر إليها حين سلّمها الورقة، فبدت متزنة لا ترغب في قول شيء، لكنه أخطأ في تفسير خوفها على أنه خجل.

سأل كبير العمّال: «هل أنتِ بخير؟».

فأجابه زوجها وهو يمشي مبتعداً معها: «إنها بخير».

عندما عادوا إلى شقة القبو في ريكيافيك لم يمسّها. وقفت في حجرة الجلوس وهي ترتدي معطفها الرث، وتمسك الحقيبة بيدها متوقّعةً ضرباً لم تتعرض له في حياتها، لكن شيئاً لم يحدث. كانت الضربة التي وجهتها لنفسها قد فاجأته، وبدلاً من أن يذهب لجلب المساعدة، حاول أن يعالجها بنفسه ويجعلها تستعيد رشدها. وكانت تلك هي المرة الأولى التي يعتني بها منذ تزوجا. وعندما استعادت وعيها، قال إنها يجب أن تفهم أنّه ليس بمقدورها هجره، وإنه سيقتلها والولدين عاجلاً إن فعلت ذلك مجدّداً؛ فهي زوجته وستبقى كذلك دائماً.

دائماً.

بعد ذلك، لم تحاول الهرب.

انقضت السنون، وفشلت خططه في أن يصبح صياداً بعد ثلاث رحلات فقط، فقد عانى غثيانَ بحر شديداً لم يستطع التخلص منه. وفضلاً على ذلك، اكتشف أنه يخاف البحر، ولم يتغلب على ذلك قطّ أيضاً. كان يفزع من احتمال غرق المركب، أو من السقوط عنه، أو من الطقس السيئ. وفي رحلته الأخيرة هبّت عاصفة قويّة، فاقتنع بأنّ القارب سينقلب. عندها، جلس يبكي وهو يفكّر في أن أيامه معدودة. وبعد ذلك، لم يخرج إلى البحر قطّ مجدداً.

بدا غير قادرٍ على إظهار العطف نحوها، وعاملها في أحسن الأحوال بعدم اكتراث على الإطلاق. في السنتين الأوليين من زواجهما، كان يبدو نادماً على ضربها أو شتمها بكلام بذيء حتى تنفجر باكية. ولكن، مع مرور الوقت، توقف عن إظهار أي علامة

ندم؛ وكأن ما يفعله لها لم يعد غير طبيعي أو تشويهاً لعلاقتهما، بل إنّه ضروريّ وصحيح. خطر لها أحياناً - وربما كان هو أيضاً يعرف ذلك في أعماق نفسه - أن العنف الذي يصبّه عليها كان مجرد تعبير عن ضعفه، وأنه كلما ضربها، أصبح أكثر بؤساً. ألقى اللوم عليها في ذلك، وصرخ قائلاً إنّ معاملته إيّاها بتلك الطريقة خطؤها، وأنها هي التي جعلته يفعل ذلك.

لم يكن لديهما أصدقاء كثيرون، أو أصدقاء مشتركون. وبعد أن بدأا بالعيش معاً أضحت معزولة بسرعة. وفي المناسبات النادرة التي كانت تلتقي فيها صديقاتها القديمات لم تكن تتكلم إطلاقاً عن العنف الذي كانت تعانيه من زوجها. وبمرور الوقت فقدت الاتصال بهن. شعرت بالخجل لأنها تتعرض للضرب واللكم حين لا تتوقع ذلك، ومن عينيها السوداوين، وشفتيها الممزقتين، والكدمات المنتشرة في كل أنحاء جسدها، ومن الحياة التي عاشتها وكانت بالتأكيد عصيّة على الفهم بالنسبة إلى الآخرين ومقيتة. أرادت إخفاء ذلك، وأن تتوارى عن الأنظار في سجن صنعه لها. أرادت أن تحتجز نفسها داخله، وترمي المفتاح خارجاً، وتأمل ألاّ يعثر أحد عليها. كان عليها قبول معاملته السيئة لها، فقد كان ذلك بطريقة ما مصيرها، على نحو مطلق وثابت.

كان الأولاد يمثّلون كل شيء بالنسبة إليها. وأصبحوا في الواقع أصدقاءها وأشقّاءها الذين تعيش من أجلهم، خاصة ميكلينا، إضافة إلى سيمون عندما كبر، والفتى الأصغر سناً الذي أطلقا عليه اسم توماس. اختارت اسمي الولدين بنفسها، ولم يكن هو يعيرهما أدنى اهتمام إلا حين يتذمر منهما: من كمية الطعام التي يتناولانها، والضوضاء التي يثيرانها في الليل. عانى الأولاد كثيراً نتيجة العنف الذي صبّه عليها، ومنحوها راحة لا تُقدّر بثمن في أوقات الحاجة.

كان قد جرّدها من أي احترام للذات تشعر به. كانت متكتمة ومتواضعة بطبيعتها، ومتشوّقة لإسعاد الجميع، ولطيفة، وتقدم يدّ العون، ومطيعة أيضاً؛ وتبتسم على نحو أخرق حين يتكلم الآخرون معها، وعليها أن تحافظ على رباطة جأشها حتى لا تبدو خجولة. شحذه ذلك الوهن بطاقةٍ دفعته إلى إساءة معاملتها، حتى لم يعد هناك شيء من شخصيتها، وتمحور وجودها كله حوله، وحول تحقيق نزواته، وخدمته. توقفت عن العناية بنفسها بالطريقة التي كانت قد اعتادت عليها، ولم تعد تغتسل بانتظام، أو تفكر في مظهرها. وظهر انتفاخان تحت عينيها، وأصبحت بشرتها مترهلة، وبدت عليها علامات التقدّم في العمر، وتقوّس ظهرها، وتطأطأ رأسها على صدرها وكأنها لا تجرؤ على النظر إلى الأعلى، وفَقَدَ شعرها الكثيف الجميل بريقه، فأضحى باهتاً وملتصقاً برأسها ومتسخاً دائماً. وكانت تقصّه بنفسها باستخدام مقص المطبخ حين تشعر أنه أصبح طويلاً جداً، أو حين يشعر هو أنه أصبح طويلاً جداً؛ كتلة قديمة بشعة.

6

تابع مختصو علم الآثار عملهم في صباح اليوم التالي للعثور على العظام. ودلّهم الشرطيان اللذان كانا قد حرسا المنطقة في تلك الليلة على المكان الذي وجد فيه إرلندور اليد، فثارت ثائرة سكارفيدين حين رأى المقدار الذي نبشه إرلندور من التربة، وسُمع وهو يتمتم بصوت خافت بعد الظهر: «هواة أغبياء». بالنسبة إليه، كان التنقيب طقساً ذا أصول يجري فيه كشط التربة، طبقة إثر أخرى، حتى يظهر تاريخ كل ما هو مدفون تحتها إلى الضوء وتُكشف الأسرار. كان كل تفصيل مهماً، وكل حفنة تراب قد تحتوي دليلاً بالغ الأهمية، ويمكن تدمير بيانات مهمة بتلك الطريقة.

ألقى ذلك على مسامع إيلنبورغ وسيغوردور أولي اللذين لم يقترفا خطأً، فيما كان يصدر أوامر لأعضاء فريقه. تقدم العمل ببطء شديد بتلك الأساليب الآثارية المجهدة، فقد مُدّت حبال على طول المنطقة وعرضها، وقُسّمت إلى أجزاء مرقّمة وفقاً لنظام محدد. كان إبقاء موقع الهيكل العظمي ثابتاً في أثناء الحفر عاملاً أساسيًّا، وكذلك التوثّق من عدم ارتعاش أيديهم حتى وهم يبعدون التربة عنه بواسطة الفرشاة، وفحص كل حبة تراب.

سألت إيلنبورغ سكارفيدين حين أوقفته وهو يتجاوزها مسرعاً: «لماذا تبرز اليد من الأرض على هذا النحو؟».

قال سكارفيدين: «من المستحيل معرفة السبب. في أسوأ سيناريو، ربما كان الشخص الراقد هنا حيًّا حين غُطّي بالتراب، وحاول إبداء

بعض المقاومة، وحفر طريق للخروج من هناك».

تأوهت إيلنبورغ: «حيًّا! يحفر طريق خروجه؟».

«ليس ذلك صحيحاً بالضرورة. ولا يمكننا إقصاء احتمال أن يكون الأمر قد انتهى باليد في ذلك الموقع حين وُضع الجسد في التراب. لا يزال مبكراً جداً قول أي شيء عن ذلك».

دُهش سيغوردور أولي وإيلنبورغ لأن إرلندور لم يظهر في موقع الحفر. فبالرغم من غرابة أطواره، وعدم إمكانية توقع تصرّفاته، كما هي حاله دائماً، إلا أنهما كانا يعرفان أيضاً افتتانه الكبير بالأشخاص المفقودين؛ ماضياً وحاضراً، وأن الهيكل العظمي المفقود ربما كان المفتاح لقضية اختفاء قديمة سيُسعد إرلندور كثيراً بنبشها من وثائق محفوظة. عندما تجاوز الوقت منتصف النهار، حاولت إيلنبورغ الاتصال به في منزله، وعلى هاتفه الجوّال، ولكن من دون جدوى.

رنّ جوّال إيلنبورغ عند السّاعة الثانية تقريباً.

وقال صوت عميق عبر الهاتف: «هل أنتما هناك؟». وعرفته فوراً.

«أين أنت؟».

«لقد تأخرت. هل أنت في موقع الحفر؟».

«نعم».

«هل يمكنك رؤية الأجمة؟ أظن أنها توت برّي. إنها تقع على بعد نحو 30 متراً إلى الشرق من الأساسات، وتبرز وحدها في خطٍّ مستقيم يتجه جنوباً».

«أجمة توت برّي؟». جالت ببصرها في الأرجاء، ورأت بعض الأجمة. قالت: «نعم، يمكنني رؤيتها».

«لقد زُرعت منذ وقت طويل».

«نعم».

«تأكّدي منها، ولتسألي إن كان أحد ما قد عاش هناك، أو إن كان هنـاك منـزل مـا فـي ذلك المكان في سـالف الأيام. اذهبي إلى مكتب تخطيط المدينة، واحصلي على بعض الخرائط للمنطقة، وبعض الصور الجويـة إذا كان لديهـم أيٌّ منهـا. قـد تحتاجيـن إلـى إخراج وثائق منذ بداية القرن وحتى عام 1960 على الأقل، وربما حتى وقت لاحق».

قالت إيلنبورغ وهي تنظر حولها: «هل تظن أن هناك منزلاً كان قائماً على التلة؟». حاولت إخفاء شكّها.

«أظن أننا يجب أن نتأكّد من ذلك. ماذا يفعل سيغوردور أولي؟».

«إنـه يبحـث فـي الملفـات عـن أشـخاص مفقوديـن منذ الحرب العالمية الثانية. كان ينتظرك، وقال إنك تستمتع بهذا النوع من الأشياء».

«تكلمت مع سكارفيدين منذ قليل، وقال إنه يتذكر وجود معسكر في زمن الحرب هناك، على الطرف الآخر الواقع على السفح الجنوبي لغرافارهولت، حيث يوجد ملعب الغولف الآن».

«معسكر؟».

«أجـل، معسـكر بريطانـي أو أمريكـي يضـم ثكنـات عسـكرية، لكنـه لـم يتذكـر الاسـم. يجـب أن تتأكّـدي مـن ذلك أيضـاً، ومما إذا كان البريطانيون قد أبلغوا عن أي شـخص مفقود من المعسـكر، أو الأمريكيون الذين استلموا الموقع منهم».

سألت إيلنبورغ بدهشة: «البريطانيون؟ الأمريكيون؟ زمن الحرب؟ انتظر لحظة، أين أجد هذا؟ متى استلم الأمريكيون الموقع؟».

«فـي العـام 1941. ربمـا كان مخـزن إمـدادات، أو هـذا مـا يظنـه سـكارفيدين على أيّ حال. وهناك مسـألة الشـاليهات على التلة وحولها، ينبغي التأكّد إن كان هناك شخص مفقود يرتبط بها، حتى إذا كان الأمر مجرد قصص أو شائعات. يجب أن نتكلم مع مالكي الشاليهات المحلية».

قالـت إيلنبـورغ متذمّـرة، وهـي تـركل الحصى حول الأساسـات حيث تقف: «هذا عمل كثير من أجل بعض العظام القديمة». وسألت بنبرة اتهامية تقريباً: «ماذا تفعل أنت؟».

قال إرلندور: «لا تهتمي بذلك». وأنهى المكالمة.

مشـى عائـداً إلـى غرفـة العنايـة الفائقة. كان يرتدي ثوباً فضفاضاً أخضر اللّون، ويضع كمّامة على فمه. وكانت إيفا ليند مستلقية على سـرير كبير في غرفة مفردة في الجناح، ومتصلة بكل أنوع المعدّات والأجهزة التي لم يرها إرلندور قطّ من قبل، وقناع الأوكسجين يغطي فمها وأنفها. وقف بجانب رأس السرير وهو ينظر نحو الأسفل؛ إلى ابنتـه التـي كانـت فـي غيبوبـة ولم تسـتعد وعيها بعـد. لاحظ إرلندور من الجزء الذي يشاهده من وجهها سكينة لم يكن قد رآها من قبل، وهـدوءاً غيـر مألـوف بالنسـبة إليـه. وفيمـا كانـت مسـتلقية على تلك الحال أضحت قسماتها مختلفة، وحاجباها أشد بروزاً، وجلد وجنتيها مشدوداً، وعيناها غائرتين في محجريهما.

كان قد اتصل بخدمات الطوارئ حين لم يستطع إعادة إيفا ليند إلى وعيها حيث كانت تستلقي أمام منزل الأمومة القديم. وشعر بنوبة ضعـف، فوضـع معطفـه عليهـا محاولاً العناية بها بأفضل ما يسـتطيع، لكنه لم يجرؤ على تحريكها. كان الشيء التالي الذي عرفه هو ظهور سيارة الإسعاف نفسها التي ذهبت إلى تريغفاغاتا، وفيها الطبيب نفسه. وُضعت إيفا ليند برفق على حمّالة، ونُقلت إلى سيارة الإسعاف التي قطعت بسرعة المسافة القصيرة الباقية إلى قسم الحوادث والطوارئ.

أُرسلت مباشرة إلى الجراحة، وأمضت هناك ما بقي من الليل، ومشـى إرلنـدور فـي غرفـة الانتظار الصغيرة بجانـب غرفة العمليات،

وتساءل إن كان يجب أن يخبر هالدورا، لكنه أحجم عن الاتصال بها. وفي النهاية توصل إلى حل، فأيقظ سيندري سنير، وأخبره بشأن شقيقته، وطلب منه الاتصال بهالدورا حتى تستطيع زيارتها في المستشفى. تبادلا بضع كلمات فقط، ولم يكن سيندري يخطط للمجيء إلى المدينة في وقت قريب، ولم ير سبباً للقيام برحلة من أجل إيفا ليند فحسب، وانتهت محادثتهما عند ذلك الحد.

دخّن إرلندور وهو واقف قرب لافتة كُتب عليها ممنوع التدخين منعاً باتاً إلى أن رآه جرّاح يضع كمّامة ووبّخه بشدّة لمخالفته الحظر. رنّ هاتف إرلندور بعد أن ذهب الطبيب، وكان المتصل سيندري الذي نقل رسالة من هالدورا: «ستسدي إليها معروفاً بأن تتحمّل المسؤولية مرة واحدة».

تكلم الجرّاح الذي كان قد قاد فريق العمل مع إرلندور في الصباح، وأخبره أنه لا يتوقّع خيراً. لم يستطيعوا إنقاذ الطفل، ولم يكن واضحاً إن كانت إيفا ليند نفسها ستنجو.

قال الجرّاح وهو رجل طويل وطيّب القلب، يبلغ من العمر نحو 40 سنة: «إنها في حال حرجة».

قال إرلندور: «أفهم ذلك».

«تعاني سوء تغذية مزمناً، وتتعاطى الممنوعات. لم تكن الفرصة كبيرة بأن يأتي الطفل موفور الصحة والعافية... بالرغم من أن قول هذا بشع بالتأكيد...».

قال إرلندور: «فهمت».

«هل فكّرت يوماً في الإجهاض؟ في حالات مثل هذه يصبح...».

قال إرلندور: «أرادت إنجاب الطفل، وظنّت أن ذلك قد

يساعدها، وشجّعتها أيضاً. أرادت أن تتوقف، فهناك جزء صغير من إيفا يريد الهروب من هذا الجحيم؛ جزء ضئيل يظهر أحياناً ويرغب في التخلي عن كل ذلك. لكن تتولى إيفا المختلفة تماماً زمام الأمور عادة، وهي أكثر شراسة وقسوة: إيفا التي تهرب مني وتسعى إلى هذا الدمار؛ هذا الجحيم».

أطبق الصمت على إرلندور بعد أن أدرك أنه يتكلم مع رجل لا يعرفه إطلاقاً.

قال الجرّاح: «أتخيّل أنه من الصعب على الوالدين اختبار هذا».

«ماذا حدث؟».

«تمزّق المشيمة. نزيف داخلي كبير يحدث حين تتمزق المشيمة، مقترناً بتأثيرات سمّية لا نزال ننتظر نتائجها. فقدت كمية كبيرة من الدماء ولم نستطع إعادتها إلى وعيها، لكن ذلك لا يعني شيئاً على وجه الخصوص. إنها ضعيفة جداً».

قال الجرّاح بعد أن صمت قليلاً: «هل اتصلت بأفراد عائلتك؟ حتى يكونوا معك؟ أو...».

قال إرلندور: «ليس لديّ عائلة. نحن مطلقان. وقد أخبرت أمّها بما حصل، وكذلك شقيق إيفا الذي يعمل في الريف. لا أعرف إن كانت والدتها ستأتي إلى هنا. يبدو أن الكيل قد طفح بالنسبة إليها، فقد كان الوضع قاسياً عليها، طوال الوقت».

«أفهم الوضع».

قال إرلندور: «أشك في ذلك، فأنا نفسي لا أفهمه».

أخرج بضعة أكياس من النايلون وعلبة أقراص من جيب معطفه وأراها للطبيب.

قال: «ربّما تكون قد تناولت بعضاً من هذه».

أخذ الجرّاح الممنوعات منه ونظر إليها.

«إكستاسي؟».

«يبدو كذلك».

«هذا أحد التفسيرات. فقد وجدنا عدداً من المواد في دمها».

تردّد إرلندور. لم يقل هو والطبيب شيئاً لبعض الوقت.

سأل الجرّاح: «هل تعرف من هو الوالد؟».

«لا».

«هل تظن أنها تعرف؟».

نظر إرلندور إليه، وهزّ كتفيه غير مبالٍ، ثم أطبق الصمت عليهما مجدداً.

سأل إرلندور بعد مضي بعض الوقت: «هل ستموت؟».

قال الجرّاح: «لا أعرف، ولا يمكننا إلا أن نأمل خيراً».

تردّد إرلندور بشأن طرح سؤاله، فقد كان يقلّب الفكرة في ذهنه، خائفاً منها من دون أن يصل إلى أي نتيجة. لم يكن واثقاً من رغبته في الإصرار على ذلك، لكنه في النهاية مضى قدماً.

«هل يمكنني رؤيته؟».

«رؤيته؟ تعني...؟».

«هل يمكنني رؤية الجنين؟ هل أستطيع إلقاء نظرة عليه؟».

نظر الجرّاح إلى إرلندور من دون أن تبدو أي علامة دهشة على وجهه، وإنما بدا متفهّماً فقط، ثم أومأ وطلب منه أن يتبعه. مشيا على طول الرواق، ودخلا غرفة خالية، وضغط الجرّاح على زر فخفقت مصابيح النيون في السقف قبل أن تلقي ضوءاً أبيض ضارباً إلى الزرقة على الغرفة. ذهب الطّبيب إلى طاولة فولاذية باردة، ورفع بطانية صغيرة ليكشف عن جثة طفل ميت.

نظر إرلندور إلى الأسفل، ومرّر إصبعه على طول جبينها؛ كانت فتاة.

«هل يمكنك إخباري إن كانت ابنتي ستفيق من هذه الغيبوبة؟».

قال الطبيب: «لا أعرف، فتحديد ذلك مستحيل. يجب أن تكافح من أجل ذلك بنفسها، والأمر يعتمد عليها كثيراً».

قال إرلندور: «الفتاة المسكينة».

قال الجرّاح حين شعر أن إرلندور على وشك أن يفقد رباطة جأشه: «يقولون إن الزمن يشفي كل الجراح، ويصح ذلك على الجسد والعقل في آنٍ واحد».

قال إرلندور، وهو يضع البطانية على الطفلة مجدداً: «الزمن؟! إنه لا يشفي أي جراح».

7

جلس إرلندور بجانب سرير ابنته حتى السادسة مساءً تقريباً. لم تظهر هالدورا، والتزم سيندري سنير بكلمته ولم يأتِ إلى المدينة، ولم يكن هناك أحد غيرهما. بقيت حالة إيفا ليند كما هي من دون تغيير. لم يكن إرلندور قد أكل أو نام منذ أمس، وشعر بإجهاد شديد، وبقي على اتصال بإيلنبورغ عبر الهاتف خلال النهار، وقرّر أن يلتقيها وسيغوردور أولي في المكتب. ربت على وجنة ابنته، وقبّلها على جبينها، ثم غادر المكان.

لم يتكلم عن أحداث الليلة السابقة حين جلس مع سيغوردور أولي وإيلنبورغ في اجتماعهم ذلك المساء. وكان كلاهما قد سمعا أقاويل في مقرّ الشرطة بشأن ما كان قد حدث لابنته، لكنهما لم يجرؤا على السؤال عنها.

قالت إيلنبورغ: «لا يزالون يحفرون نزولاً حتّى يصلوا إلى الهيكل العظمي. وهم يتقدمون ببطء شديد، وأظن أنهم يستخدمون عيدان أسنان الآن. وصلوا إلى معصم اليد التي وجدتها تبرز من الأرض، وفحصها الطّبيب، لكن الشيء الوحيد المؤكد الذي استطاع قوله هو أنّها جثّة إنسان يداه صغيرتان. لا يوجد الكثير من المتعة هناك. لم يجد مختصو علم الآثار شيئاً في التربة يشير إلى ما حدث، أو إلى الشخص المدفون فيها. ويظنون أنهم سيصلون بالحفر إلى الجذع غداً بعد الظهر أو مساءً، لكن ذلك لا يعني أننا سنحصل على أي أجوبة شافية بشأن هويّة صاحب الجثّة. سيكون علينا أن نفتش في

مكان آخر لمعرفة ذلك».

قال سيغوردور أولي: «لقد كنت أبحث في إحصائيات الأشخاص المفقودين في منطقة ريكيافيك. هناك أكثر من 40 حالة اختفاء منذ الثلاثينيات والأربعينيات لم تحل حتى هذا اليوم، وهذه على الأرجح إحداها. لقد صنّفت الملفات وفقاً للجنس والعمر، وأنتظر فقط تقرير المختص بعلم العظام».

سأل إرلندور: «هل تعني أن شخصاً من السكّان الذين يعيشون على التلة قد اختفى؟».

قال سيغوردور أولي: «ليس وفقاً للعناوين في تقارير الشرطة؛ بالرغم من أنني لم أنتهِ من التدقيق فيها بعد، ولم أتعرّف أسماء بعض الأماكن. عندما نُخرج الهيكل العظمي، ونعرف العمر والحجم والجنس بدقة من المختص، يمكننا بالتأكيد تضييق نطاق المجموعة قليلاً. أتوقع أن يكون شخصاً من ريكيافيك. أليس ذلك افتراضاً معقولاً؟».

سأل إرلندور: «أين المختص الذي يعمل لدينا؟».

قالت إيلنبورغ: «يُمضي إجازته في إسبانيا».

سألها إرلندور: «هل تأكّدتما إن كان هناك منزل في ما مضى بجانب تلك الأجمة؟».

سأل سيغوردور أولي: «أي أجمّة؟».

قالت إيلنبورغ: «لا، لم أتأكّد من ذلك». ثم نظرت إلى سيغوردور أولي قائلة: «يعتقد إرلندور أن هناك منازل كانت قائمة على الطرف الشمالي من التلة، وأن الجيش البريطاني أو الأمريكي أقام قاعدة على الطرف الجنوبي. يريد منا أن نتكلم مع كل من يمتلك شاليهاً في المنطقة الممتدة من رينيسفاتن، وإلى جدّاتهم أيضاً».

قـال إرلنـدور: «وهـذه هـي البدايـة فحسـب. مـا نظرياتكمـا عن الهيكل العظمي؟».

قـال سـيغوردور أولـي: «أليـس واضحاً أنهـا جريمة اقتُرفت قبل نصف قرن مضى أو أكثر؟ اختفت الجثة في الأرض طوال ذلك الوقت ولا أحد يعرف شيئاً».

قالت إيلنبورغ: «دُفن هذا الرجل»، ثم صححت: «هذا الشخص لإخفاء الجريمة. أظن أن بمقدورنا اعتبار ذلك أمراً مسلماً به».

قال إرلندور: «ليس صحيحاً أن لا أحد يعلم شـيئاً. هناك دائماً شخص يعرف شيئاً ما».

قالـت إيلنبـورغ: «نعـرف أن الأضـلاع مكسـورة، ولا بـد من أن ذلك يشير إلى حصول مقاومة».

قال سيغوردور أولي: «حقًّا؟».

«حسناً، أليس الأمر كذلك؟».

قال سيغوردور أولي: «ألا يمكن أن تكون الأرض هي السّبب في ذلـك؟ وزن التربـة، أو حتـى تغيـر الحرارة، أو ذوبان الجليد؟ تكلمت مع عالم الجيولوجيا الذي استدعيته وقال شيئاً عن ذلك».

«كان هناك نزاع بالتأكيد؛ لأن هذا الشّخص قد دفن. ذلك واضح، أليس كذلك؟». ونظرت إيلنبورغ إلى إرلندور ورأت أن أفكاره بعيدة جداً. قالت: «إرلندور؟ ألا توافقني الرأي؟».

قـال إرلنـدور وهـو يعـود إليهمـا: «إذا كانـت هـذه جريمـة فهذا صحيح».

سألت إيلنبورغ: «إذا كانت هذه جريمة؟!».

قال إرلندور: «لا نعرف شـيئاً عن ذلك. ربما كان مدفناً أسـرياً قديماً، وربما لم يكن بمقدورهم تحمّل نفقات القبور. قد تكون عظام

شخص قديم ظهرت فجأة، لكنه دُفن هناك بمعرفة الجميع. وربما وضعت الجثة هناك قبل مئة سنة، أو حتى 50 سنة. لا نزال بحاجة إلى دليل واضح، ثم يمكننا التكلم قدر ما نشاء».

قال سيغوردور أولي: «ألا يُفترض بحكم القانون أن يُدفن الناس في أرضٍ مخصصة لذلك؟».

قال إرلندور: «أظن أن بمقدورك أن تدفن نفسك حيث تشاء، إذا كان هناك شخص مستعد لوضعك في حديقته».

قالت إيلنبورغ: «ماذا عن اليد التي تبرز من الأرض؟ أليس ذلك دليلاً على وجود مقاومة؟».

قال إرلندور: «يبدو ذلك. وأظن أن هناك أمراً قد بقي طي الكتمان طوال تلك السنوات. لقد دُفن شخص على عجل، ولم يكن يُفترض أن يُعثَر عليه قطّ، لكن ريكيافيك وصلت إليه، والأمر منوط بنا الآن لاكتشاف ما حدث».

قال سيغوردور أولي: «إذا كان... لنقل إنه إنسان الألفية... إذا لقي حتفه غيلة قبل كل تلك السنوات، أليس من المرجّح أن يكون القاتل قد توفي منذ فترة طويلة الآن؟ وإذا لم يكن ميتاً الآن، فستكون قدمه في القبر، لهذا من السخف البحث عنه ومعاقبته. فكلّ من له علاقة بالقضية سيكون ميتاً على الأرجح. لهذا، لن نجد شهوداً حتى إذا اكتشفنا ما حدث. لذا...».

«ما الذي ترمي إليه؟».

«ألا يجب أن نتساءل عن جدوى الاستمرار في هذا التحقيق في المقام الأول؟ أعني، هل يستحق الأمر العناء؟».

سأل إرلندور: «تعني أن ننسى الأمر فحسب؟». هزّ سيغوردور أولي كتفيه غير مبالٍ. فقال إرلندور: «الجريمة جريمة، بغض النظر عن

السنوات التي انقضت على اقترافها. وإذا كانت هذه جريمة، إذاً يجب أن نكتشف ما حدث، ومن لقي حتفه، ولماذا، ومن كان القاتل. أظن أننا يجب أن نعمل على هذه القضية مثل أي تحقيق آخر: نحصل على معلومات، ونتحدث إلى الناس، ومع بعض الحظ سنعثر على حل».

نهض إرلندور.

«نحن ملزمون بمعرفة شيء ما. تكلما مع مالكي الشاليهات وجدّاتهم». ثم نظر إلى إيلنبورغ، وتابع قائلاً: «اكتشفي إن كان هناك منزل بجانب الأجمة سابقاً، واهتمي بالأمر».

ودّعهما وهو شارد الذهن، وخرج إلى الرواق. نظرت إيلنبورغ وسيغوردور أولي إلى بعضهما، وأومأ سيغوردور أولي نحو الباب، فنهضت إيلنبورغ، وخرجت خلف إرلندور.

قالت لتوقفه: «إرلندور».

«نعم، ماذا؟».

سألت بتردد: «كيف حال إيفا ليند؟».

نظر إرلندور إليها ولم يقل شيئاً.

«سمعنا عن ذلك هنا في مقر الشرطة، عن الحال التي وُجدت عليها، وهذا خبر سيئ. إذا كان هناك شيء يمكن أن أفعله أنا أو سيغوردور أولي لك، فلا تتردد في سؤالنا».

قال إرلندور متعباً: «لا يمكن فعل شيء. إنها تستلقي فحسب في الجناح، ولا يستطيع أحد فعل شيء». تردّد ثمّ تابع قائلاً: «تجولت في عالمها حين كنت أبحث عنها. وكنت أعرف جزءاً منه؛ لأنني اضطررت إلى البحث عنها في تلك الأماكن، وتلك الشوارع، وتلك المنازل من قبل؛ لكن الحياة التي كانت تعيشها، والطريقة التي تعامل بها نفسها، أو تسيء بها إلى نفسها لم تكفّا عن مفاجأتي قطّ. لقد

رأيت المجموعة التي كانت تمضي وقتها معها، والأشخاص الذين تلجأ إليهم حين تشعر باليأس، حتى إنني رأيت الأشخاص الذين تفعل أشياء لا يمكن وصفها معهم». توقف. «لكن ذلك ليس أسوأ شيء. فليست الشقق هي الأسوأ، أو المحتالون التافهون، أو موزّعو الممنوعات، بل ما قالته والدتها؛ فهو صحيح».

نظر إرلندور إلى إيلنبورغ وقال: «أنا أسوأ جزء في كل هذا؛ لأنني كنت الشخص الذي خذلهم جميعاً».

عندما وصل إرلندور إلى منزله جلس مرهقاً على كرسي ذي ذراعين، واتصل بالمستشفى ليسأل عن إيفا ليند، فقيل له إن حالتها لم تتغير، وإنهم سيتصلون به حين يحدث أي تغيير، فشكرهم وأنهى المكالمة. حدّق بعد ذلك إلى الخواء، وهو مستغرق في أفكاره التي انتقلت بين إيفا ليند المستلقية في غرفة العناية الفائقة، وطليقته والكراهية التي لا تزال تصبغ حياتها، والابن الذي لا يتكلم معه إلا حين يكون هناك خطب ما.

شعر، وهو يفكر، بالصمت العميق الذي يطبق على حياته، وبالعزلة التي تحيط به، وبثقل الأيام الذي يتكدّس في سلسلة لا يمكن كسرها، وتشتد عليه وتخنقه.

عندما كان على وشك أن يغفو تحولت أفكاره إلى طفولته، حين أصبحت الأيام أكثر إشراقاً مجدداً بعد الشتاء المعتم، وحين كانت الحياةُ بريئةً وخالية من الهم والقلق. وبالرغم من ندرة تلك الأوقات، إلا أنه كان يستطيع الهروب أحياناً إلى سكينة الماضي، ويشعر بعد ذلك لوقت قصير بأنه على ما يرام.

لو أنه يستطيع إبعاد ذلك الغم عن ذهنه.

أفاق وهو يشعر بالفزع؛ لأن شخصاً ما كان يتصل به آنذاك منذ بعض الوقت. أولاً على الجوّال في جيبه، ثم رنّ الهاتف المنزلي الموضوع على الطاولة القديمة التي كانت إحدى قطع الأثاث القليلة في حجرة الجلوس.

قالت إيلنبورغ حين رد أخيراً: «كنت محقاً». سألت: «أوه آسفة، هل أيقظتك؟». وأضافت معتذرة: «إنها العاشرة فحسب».

قال إرلندور وهو غير صاحٍ تماماً بعد: «ما الذي كنت محقاً بشأنه؟».

«كان هناك مبنى في ذلك الموقع، بجانب الأجمة».

«الأجمة؟».

«أجمة التوت البري في غرافارهولت. بُني في الثلاثينيات وهُدم في الثمانينيات. طلبت من مكتب تخطيط المدينة الاتصال بي عندما يكتشفون شيئاً. وقد تكلّموا معي منذ قليل، بعد أن عملوا طوال المساء في البحث عن ذلك».

سأل إرلندور متعباً: «ما كان نوع البناء؟ أهو منزل، أم إسطبل، أم زريبة، أم شاليه؟».

«إنّه منزل أو شاليه، أو شيء من هذا القبيل».

«من أي وقت؟».

«قبل عام 1940».

«ومن كان المالك؟».

«كان اسمه بنيامين كندسن. وكان تاجراً».

«كان؟».

«لقد توفي قبل سنوات».

8

كان العديد من مالكي الشاليهات على الطرف الجنوبي من غرافارهولت مشغولين بالقيام ببعض الأعمال في ذلك الجو الربيعي، حين قاد سيغوردور أولي سيارته حول التلة باحثاً عن طريق يمكن أن يسلكه صعوداً بصحبة إيلنبورغ. كان بعض الناس يقلّمون وشائعهم، في حين يطلي آخرون شاليهاتهم أو يصلحون أسيجتهم، أو يمتطون خيولهم وينطلقون في جولة.

كان الطّقس جميلاً عند الظهيرة. وبعد الحديث إلى بعض مالكي الشاليهات من دون إحراز أي تقدم، شق سيغوردور أولي وإيلنبورغ طريقهما ببطء نحو المنازل الأقرب إلى التلة. لم يكونا على عجلة من أمرهما في ذلك الطقس الرائع، واستمتعا بالنزهة بعيداً عن المدينة. مشيا بخطوات بطيئة تحت أشعة الشمس، وتكلما مع مالكي الشاليهات الذين تفاجأوا من زيارة الشرطة في مثل ذلك الوقت الباكر. كان بعضهم قد سمعوا عن الهيكل العظمي الذي عُثر عليه في التلة، في حين لم يكن لدى الآخرين أي فكرة عن الأمر.

سأل سيغوردور أولي حين ركبا السيارة للمرة الألف في طريقهما إلى الشاليه التالي: «هل ستنجو، أم...؟». كانا قد تكلما عن إيفا ليند في أثناء خروجهما من المدينة، وكانا يعودان إلى الموضوع بين الفينة والأخرى.

قالت إيلنبورغ: «لا أعرف، ولا أظن أن أحداً يعرف». قالت وهي تتنهد بعمق: «الفتاة مسكينة». أضافت: «وإرلندور مسكين أيضاً».

قال سيغوردور أولي بجدّية: «إنها مدمنة، وحامل. استمتعت من دون أن تهتم بشيء في العالم، وانتهى الأمر بموت الجنين. لا أشعر بالأسى على أشخاص مثلها، ولا أفهمهم، ولن أفعل ذلك أبداً».

قالت إيلنبورغ: «لا أحد يطلب منك أن تشعر بالأسى عليهم».

«آه، حقًّا؟ عندما يتكلم الناس عن هؤلاء القوم، فإن كل ما أسمعه هو الوقت العصيب الذي يمضونه. ومما أراه منهم...». توقف قليلاً، ثم كرّر: «لا أشعر بالأسى تجاههم. إنهم فاشلون، ولا شيء آخر. إنّهم تافهون».

تنهّدت إيلنبورغ.

«كيف يبدو الشخص المثالي بالنسبة إليك؟ أهو ذاك الشخص الأنيق وحليق الذقن وبهي الطلعة دائماً؟ من يحمل إجازة جامعية من أمريكا، ولا يقضم أظفاره، ولا يهتم بشيء في العالم إلا بقدرته على دفع ثمن تلك الملابس الفاخرة؟ ألا تسأم من ذلك؟ ألا تتعب من نفسك؟».

قال سيغوردور أولي: «لا».

«ما الخطأ في إظهار بعض الفهم لهؤلاء الناس؟».

«إنهم فاشلون. وأنت تعرفين ذلك. وكونها ابنة الرجل العجوز لا يجعلها أفضل من الآخرين. إنها مثل كل الصعاليك الآخرين الذين يستمتعون في الشوارع، ثم يستيقظون من النوم في الملاجئ ومراكز إعادة تأهيل، ثم يعودون إلى الممنوعات مجدداً؛ لأن الشيء الوحيد الذي يريده هؤلاء المتشردون هو التسكع».

سألت إيلنبورغ بعد أن فقدت كل أمل في أن تغيّر آراءه بشأن أي شيء: «كيف تجري الأمور بينك وبين بيرغثورا؟».

قال سيغوردور أولي ضجراً حين كان يركن السيارة أمام شاليه

آخر: «بخير». لم تكن بيرغثورا ستتركه ببساطة وشأنه؛ لأنها متطلّبة.

قالت إيلنبورغ وهي تخرج من السيارة: «غريب أن مكتب الإحصاء الوطني ليس لديه اسم أي شخص عاش في ذلك المنزل».

«السجلاّت المتعلقة بتلك المدة فوضوية. فقد جاء الكثير من الأشخاص إلى ريكيافيك في أثناء الحرب وبعدها، ولم يكن التسجيل دقيقاً لدى انتقالهم إليها، وأظن أنهم فقدوا جزءاً من سجلات السكان، مما جعل الأمر كله شائكاً. قال الرجل الذي تكلمت معه إنه لا يستطيع العثور على أيّ شيء فوراً».

«ربما لم يعش أحد هنا في الواقع».

«أو ربما لم يمكثوا هناك وقتاً طويلاً. وقد يكونون مدرجين على لائحة في مكان آخر ولم يسجلوا عنوانهم الجديد. ربما عاشوا على التلة بضع سنوات، أو بضعة شهور، في أثناء أزمة الإسكان، ثم انتقلوا إلى أحد المباني التي أُنشئت بعد الحرب. ما رأيك بهذه النظرية؟».

«إنها مناسبة مثل بوربيري (ملابس بريطانية فاخرة)».

التقاهما مالك الشاليه عند الباب. وهو رجل طاعن في السن، نحيل، وحركته صعبة. أمّا شعره فأبيض خفيف، ويرتدي قميصاً رقيقاً أزرق يظهر تحته رداء مقلّم، وسروالاً مخملياً رمادياً، وينتعل خفّين جديدين. عندما رأت إيلنبورغ كل المتاع في الداخل، تساءلت إن كان يعيش في ذلك المكان على مدار السنة، وسألته عن ذلك.

أجاب الرجل وهو يجلس على كرسي ذي ذراعين، ويشير إليهما ليجلسا على كرسيين في وسط الغرفة: «أفترض أن بمقدورك قول ذلك. بدأت ببناء هذا المكان قبل 40 سنة، ونقلت كل شيء إلى هنا في سيارتي اللادا القديمة قبل نحو خمس سنوات، أم كانت ستة؟

يصبح كل شيء مشوشاً. لم أطق العيش في ريكيافيك أكثر من ذلك. إنها مكان مريع، تلك المدينة، لهذا...».

سأل سيغوردور أولي على عجل، وهو غير راغب في الاستماع إلى المحاضرة: «هل كان هناك منزل على التلة؟ شاليه صيفي مثل هذا ربّما لكنّه لا يستخدم بالضرورة لهذا الغرض؟ أعني قبل 40 سنة حين بدأت ببناء منزلك؟».

«شاليه صيفي لكنه ليس شاليهاً صيفياً...؟».

قالت إيلنبورغ: «شاليه وحيد يقع على هذا الجانب من غرافارهولت، بني قبل الحرب». نظرت إلى خارج نافذة حجرة الجلوس. «لا بد من أن تكون قد رأيته من هذه النافذة».

«أتذكر وجود منزل هناك، غير مطلي، ولم ينته بناؤه تماماً، وقد اختفى قبل سنوات مضت. كان شاليهاً ضخماً بالتأكيد، أو يفترض به أن يكون كذلك. كان ضخماً جداً، وأكبر من شاليهي لكنه متداعٍ أو يكاد أن يتداعى؛ فالأبواب مفقودة والنوافذ محطمة. كنت أمشي إلى هناك أحياناً حين كان لا يزال بمقدوري اصطياد السمك من البحيرة، وقد توقفت عن القيام بذلك قبل سنوات».

سأل سيغوردور أولي: «إذاً، لم يعش أحد في المنزل؟».

«لا، لم يكن هناك أحد في المنزل حينها، ولا أحد يستطيع العيش فيه. كان على وشك الانهيار».

قالت إيلنبورغ: «ولم يشغله أحد قطّ وفقاً لما تعرفه؟ ألا تتذكر أحداً من المنزل؟».

«لماذا تسألان عن ذلك المنزل على أيّ حال؟».

قالت سيغوردور أولي: «عثرنا على هيكل عظمي بشري على التلة. ألم ترَ ذلك في الأخبار؟».

«هيكل عظمي؟ لا، أيخصّ أحد الأشخاص الذين كانوا يعيشون في ذلك المنزل؟».

قالـت إيلنبـورغ: «لا نعـرف. ومـا زلنـا نجهـل تاريـخ المنـزل والأشخاص الذين عاشوا هناك. نعرف هويّة المالك؛ لكنه مات قبل وقت طويل. ولم نعثر حتى الآن على أي شـخص مسـجّلٍ على أنه قـد عـاش فيـه. هـل تتذكـر الثكنة في زمن الحرب على الطرف الآخر مـن التلـة؟ علـى الطـرف الجنوبـي. مركز لتدريب المجندين أو شـيء من هذا القبيل؟».

قـال الرجـل العجـوز: «كانـت هنـاك ثكنـات فـي كل الريـف، بريطانيّـة وأمريكيّـة أيضـاً. لا أتذكـر وجـود ثكنـة علـى التلـة هنا على وجـه الخصـوص. ولا بـد مـن أن ذلـك كان قبـل مجيئي؛ قبل مجيئي بوقت طويل. يجب أن تتحدثا إلى روبرت».

قالت إيلنبورغ: «روبرت؟».

«إذا لـم يكـن ميتـاً، فقـد كان أحـد أوائـل الأشـخاص الذين بنوا شـاليهاً علـى هـذه التلـة. أعـرف أنـه كان فـي دارٍ للمسـنين. روبـرت سيغوردسون. ستعثران عليه، إذا كان لا يزال حيًّا».

نظراً إلى عدم وجود جرس قرب المدخل، طرق إرلندور الباب السميك المصنوع من خشب السنديان براحة كفّه على أمل أن يسمعه أحد في الداخل. كان المنزل في ما مضى ملكاً لبنيامين كندسن. وهو رجل أعمال من ريكيافيك، توفي في بداية السـتينيات، فورث شـقيقه وشقيقته المنزل، وانتقلا إليه حين توفي، وعاشا هناك باقي حياتهما. لم يكن أي منهما متزوجاً وفقاً لما عرفه إرلندور، لكن الشقيقة لديها ابنة. كانت طبيبة، وتعيش آنذاك في الطابق الأوسط وتؤجر الشقتين في

الطابقين الأعلى والأسفل، تحدث إرلندور إليها عبر الهاتف، واتفقا على اللقاء عند الظهر.

لم تتغير حال إيفا ليند، وكان قد مرّ لرؤيتها قبل الذهاب إلى العمل، وجلس بجانب سريرها لبعض الوقت، وهو ينظر إلى الأجهزة التي تراقب إشاراتها الحيوية، والأنابيب في فمها وأنفها، وتلك المتصلة بعروقها. لم تكن تستطيع التنفس من دون مساعدة. وكان هناك صوت يصدر عن المضخة في أثناء ارتفاعها وهبوطها، في حين بقي الخط على شاشة مراقبة القلب ثابتاً. تكلم بعد خروجه من غرفة العناية الفائقة مع الطبيب الذي قال إنّه لم يطرأ أي تغيّر على حالتها. وسأله إرلندور إن كان هناك شيء يمكن أن يفعله، فردَّ الطبيب أنه بالرغم من أن ابنته في غيبوبة، إلا أنه يجب أن يتكلم معها حين يستطيع، ويجعلها تسمع صوته، فمن المفيد دائماً أن يتكلم أفراد الأسرة مع المريض في مثل تلك الظروف لمساعدته في التعامل مع الصدمة. كانت إيفا ليند تعرفه بالتأكيد، ويجب أن يعاملها على هذا النحو.

أخيراً، فُتح باب السنديان الثقيل، ومدّت امرأة عمرها نحو 60 سنة يدها، وعرّفت عن نفسها على أنها إلزا. كانت نحيلة، وذات وجه بشوش، وتضع القليل من مستحضرات التجميل. شعرها قصير ومصبوغ بلون داكن وممشّط إلى جهة واحدة. كانت ترتدي جينزاً وقميصاً أبيض، ولا تضع خواتم أو أساور أو قلائد. قادته إلى حجرة الجلوس، وطلبت منه أن يجلس، وبدت حازمة وواثقة بنفسها.

سألت حين أخبرها عن عمله: «وما الذي تظنّه بشأن تلك العظام؟».

«لا نعرف بعد. لكن إحدى النظريات هي أنها مرتبطة بالشاليه

الذي كان قائماً بجانبها، والذي كان ملكاً لعمّك بنيامين. هل أمضى هناك وقتاً طويلاً؟».

قالت بصوت خافت: «لا أظن أنه ذهب إلى الشاليه أبداً، فقد وقعت مأساة. أخبرتنا والدتي كم كان وسيماً وذكياً، وكيف كسب ثروة ولكنه فقد خطيبته بعد ذلك. فقد اختفت يوماً ما حين كانت حاملاً».

تحولت أفكار إرلندور إلى ابنته.

«أصيب باكتئاب، وفقد كل اهتمام بمتجره وممتلكاته حتى تحوّل كل شيء إلى خراب كما أظن، ولم يبق لديه إلا هذا المنزل هنا. توفي شابًا؛ إذا صح القول».

«كيف اختفت خطيبته؟».

قالت إلزا: «سرت إشاعة بأنها رمت بنفسها في البحر. على الأقل، هذا ما سمعته».

«هل كانت مكتئبة؟».

«لم يذكر أحد ذلك قطّ».

«ولم يُعثر عليها قطّ؟».

«لا، كانت...».

توقفت إلزا في منتصف الجملة، وبدا فجأة أنها تتابع قطار أفكاره، وحدّقت إليه غير مصدّقة في البداية، ثم متألمة ومصدومة وغاضبة معاً. وتورّد وجهها وهي تقول:

«لا أصدّقك».

قال إرلندور، وهو يراقبها وهي تصبح عدائية فجأة: «ماذا؟».

«تظن أنه لها، ذلك الهيكل العظمي».

«لا أظن شيئاً، وهذه أول مرة أسمع فيها عن هذه المرأة. ليست لدينا أدنى فكرة عمّا يوجد في الأرض هناك. ولا يمكننا تحديد هويّة

صاحب الهيكل العظميّ بعد».

«إذاً، لماذا أنت مهتم بها؟ ما الذي تعرفه ولا أعرفه أنا؟».

قال إرلندور مرتبكاً: «لا شيء. ألم يخطر لك ذلك حين أخبرتك عن الهيكل العظمي؟ كان عمك يملك شاليهاً في مكان قريب، وقد اختفت خطيبته، ونحن وجدنا هيكلاً عظمياً. إنها ليست معادلة صعبة».

«هل أنت مجنون؟ هل تقول...».

«لا أقول شيئاً».

«... إنه قتلها؟ إن العم بنيامين قد قتل خطيبته، ودفنها من دون أن يخبر أحداً طوال كل تلك السنوات حتى توفي مفطور الفؤاد؟».

كانت إلزا قد وقفت ومشت في المكان.

قال إرلندور وهو يفكّر إن كان بمقدوره أن يكون أكثر دبلوماسية: «انتظري دقيقة، أنا لم أقل شيئاً من هذا القبيل. لا شيء من هذا القبيل».

«هل تظن أنها هي؟ الهيكل العظمي الذي وجدته، هل هو لها؟».

قال إرلندور: «بالتأكيد لا». أراد أن يهدئها بأي ثمن، فقد شعر بأنه لم يكن لبقاً، واقترح شيئاً لا يستند إلى أي دليل، وندم على ذلك. كان الأمر كله مفاجئاً لها.

قال في محاولة لتغيير الموضوع: «هل تعرفين شيئاً عن الشاليه؟ هل تعرفين إن كان أحد قد عاش فيه قبل 50 أو 60 سنة مضت؟ في أثناء الحرب أو بعد ذلك؟ لم نتمكّن من العثور على التفاصيل في السجلاّت».

تأوهت إلزا، وذهنها في مكان آخر: «يا إلهي! يا لها من فكرة! آسفة، ماذا كنت تقول؟».

قال إرلندور بسرعة: «ربما كان عمك قد أجّر الشاليه. كان هناك

نقص كبير في المساكن في ريكيافيك منذ الحرب فصاعداً، فارتفعت الإيجـارات، وخطـر لـي أنـه ربّمـا يكـون قد أجّـره، أو حتى باعه. هل تعرفين شيئاً عن ذلك؟».

«نعـم، أظـن أنـه كان هنـاك كلام عـن تأجيـر المـكان، لكنني لم أعـرف لمـن، إذا كان ذلـك مـا ترمـي إليـه. اعذرني على تصرفي على هذا النحو. إنه... ما نوع العظام؟ أهي عبارة عن هيكل عظمي كامل؟ أهي لذكر أم أنثى، أم طفل؟».

هدأت، واستعادت رباطة جأشها، ثم جلست ونظرت إلى عينيه مستفسرة.

قال إرلندور: «يبدو أنه هيكل عظمي سليم، لكننا لم نكشفه كله بعد. هل كان عمك يحتفظ بأي سجلات عن عمله أو ممتلكاته؟ أي شيء لم يجرِ التخلص منه؟».

«القبـو ملـيء بأغراضـه، وبكل أنواع الأوراق والصناديق التي لم أقتـرب منهـا قـطّ، أو أرميهـا بعيـداً، أو أزعج نفسـي بتصنيفها. طاولته وبعض خزائنه في الأسفل، وسأحظى قريباً بالوقت لرؤية ما فيها».

قالـت ذلـك بنبـرة ندم. وتسـاءل إرلنـدور إن لم تكن راضية عن نصيبها في الحياة، وعن عيشها وحيدة في منزل كبير ورثته منذ وقت طويـل. نظـر فـي أرجـاء الغرفة، وانتابه شـعور بـأن حياتها كلها كانت بطريقة ما ميراثاً.

«هل تظنين أننا...؟».

قالت بابتسامة خالية من أي معنى: «تفضّل، انظر قدر ما تشاء».

قال إرلندور وهو ينهض: «كنت أتسـاءل عن شـيء واحد. هل تعرفين لماذا قام بنيامين بتأجيرِ الشاليه؟ هل كان بحاجة إلى المال؟ لم يكن يبدو أنه يحتاج إلى المال إلى ذلك الحد، بوجود منزله هذا،

وعملـه. قلـت إنـه خسـره فـي النهايـة، لكن في أثناء الحرب لا بد من أنه قد كسب مبلغاً معقولاً».

«لا، لا أظن أنه كان بحاجة إلى المال؟».

«ما السبب الذي دفعه إلى تأجيره إذاً؟».

«أظن أن أحداً قد طلب منه ذلك، حين بدأ الناس بالانتقال إلى ريكيافيك من الريف في أثناء الحرب. أعتقد أنه قد أشفق على أحدهم».

«إذاً، ربما لم يحصل بالضرورة على أي إيجار؟».

«لا أعرف شيئاً عن ذلك. ولا أصدّق أنك تظن أن بنيامين...».

توقفت في منتصف الجملة وكأنها تتردد في نطق ما تفكر فيه.

«لا أظن شيئاً». حاول إرلندور أن يبتسم، وتابع قائلاً: «من المبكر أن نبدأ بالتفكير في أي شيء».

«لا أصدّق ذلك فحسب».

«أخبريني شيئاً آخر».

«نعم؟».

«هل لديها أي أقارب لا يزالون أحياء؟».

«من؟».

«خطيبة بنيامين. هل هناك أحد يمكن أن أتكلم معه؟».

«لماذا؟ لماذا تريد التأكد من ذلك؟ ما كان ليؤذيها على الإطلاق».

«أفهم ذلك. لكن، لدينا تلك العظام التي تخص شخصاً ما، ولن تذهب إلى أي مكان. يجب أن أحقق في كل الاحتمالات».

«لديها شقيقة أعرف أنها لا تزال حية، واسمها بارا».

«متى اختفت هذه المرأة؟».

قالت إلزا: «في العام 1940. وأخبروني أن ذلك اليوم كان يوماً ربيعيًا جميلاً».

9

كان روبـرت سيغوردسـون لا يـزال حيًّـا، لكنّـه في أيّامه الأخيرة كما ظـن سـيغوردور أولـي الذي جلس مـع إيلنبورغ في غرفة الرجل العجوز، وفكّر حين نظر إلى وجه روبرت الشاحب أنه لا يرغب في أن يمتـد بـه العمـر حتـى يبلـغ 90 سـنة، وارتعش. كان الرجل العجوز منهكاً، وكانت شفتاه باهتتي اللون، ووجنتاه غائرتين، وخصلات شعره مبعثرة في كل الاتجاهات فوق رأسـه البشـع. وكان متصلاً بأسـطوانة أوكسـجين مثبتة على عربة متحركة بجانبه. وكلما أراد أن يقول شـيئاً كان ينزع قناع الأوكسـجين بيد مرتعشـة، وينطق بضع كلمات قبل أن يعيده إلى مكانه.

كان روبرت قد باع الشاليه الخاص به قبل وقت طويل، وانتقلت ملكيته مرتين قبل أن يُهدم أخيراً، ويُبنى شاليه آخرُ جديد بالقرب منه. أيقـظ سـيغوردور أولـي وإيلنبـورغ مالك الشـاليه الجديد قبل الظهيرة بوقت قصير، وسمعا قصته المبهمة والمفككة، بعد أن جعلا موظفي المكتـب يحـددون مـكان الرجـل العجـوز في أثناء طريق عودتهما من التلة، وتبين أنه كان في المستشفى الوطني، وقد بلغ من العمر 90 سنة.

تولّت إيلنبورغ الحديث في المستشفى، وشرحت القضية لروبرت الذي كان يجلس على كرسيه المتحرك ذابلاً، وهو يتنفس الأوكسجين النقي من الأسطوانة، بعد أن دخّن طوال حياته. بدا بكامل قواه العقلية، بالرغم من حالته الجسـدية المزرية. وأومأ ليُظهر أنه يفهم كل كلمة، ويدرك تماماً طبيعة عمل المحققين. أخبرتهما الممرضة التي قادتهما

إليـه ووقفـت بجانـب كرسـيه المتحـرك، أنهما يجـب أن يحرصا على راحته، وطلبت منهما ألاّ يمضيا وقتاً طويلاً معه.

قـال بصـوت خافـت أجـش: «أتذكـر...». اهتزت يـده حين أعاد القناع إلى مكانه، واستنشق الأوكسجين، ثم أبعده مجدداً.

«... ذلك المنزل، لكن...».

وضع القناع.

نظر سـيغوردرو أولي إلى إيلنبورغ ثم إلى سـاعته، من دون أن يحاول إخفاء نفاد صبره.

شرعت تقول: «ألا تريد...». لكن القناع أُبعد مجدداً.

قال روبرت وهو يلهث بأنفاس متسارعة: «... أتذكر فقط...».

وضع القناع.

قالـت إيلنبـورغ لسيغوردور أولـي: «لِـمَ لا تذهـب إلى المطعم وتتنـاول شـيئاً؟». فنظـر إلـى سـاعته، ثم إلى الرجـل العجوز، ثم أعاد بصره إليها، ووقف واختفى من الغرفة.

أبعد القناع.

«... أنّ أسرة واحدة عاشت هناك».

وضـع القنـاع، وانتظـرت إيلنبـورغ لحظة لتـرى إن كان بمقدوره الاسـتمرار، لكن روبرت لـم يقل شـيئاً. وفكّرت في صياغة أسـئلتها بطريقـة تمكّنـه مـن الإجابـة عنهـا بنعـم أو لا فقط، ويمكنه اسـتخدام رأسه من دون أن يضطر إلى الكلام. أخبرته أنها تريد أن تحاول ذلك فأومأ، وفكّرت في أن ذلك يجب أن يكون واضحاً جداً.

«هل كنت تمتلك شاليهاً هناك في أثناء الحرب؟».

أومأ روبرت.

«هل عاشت تلك الأسرة هناك في أثناء الحرب؟».

أومأ روبرت.

«هل تتذكر أسماء الأشخاص الذين عاشوا في المنزل في ذلك الوقت؟».

هز روبرت رأسه نافياً.

«هل كانت أسرة كبيرة؟».

هز روبرت رأسه مجدداً نافياً ذلك.

«هل كانا زوجين مع ولدين أو ثلاثة أو أكثر؟».

أومأ روبرت ورفع ثلاث أصابع شاحبة.

«إذاً، كانت الأسرة عبارة عن زوجين مع ثلاثة أولاد. هل التقيت هؤلاء الأشخاص؟ هل كنت على أي اتصال بهم أم لم تعرفهم على الإطلاق؟». كانت إيلنبورغ قد نسيت تماماً قاعدتها بشأن نعم ولا، فنزع روبرت قناعه.

«لم أعرفهم». وضع القناع مجدداً. كان قلق الممرضة يزداد، ووقفت خلف الكرسي المتحرك وهي تحدّق إلى إيلنبورغ وكأنها تطلب منها أن تتوقف فوراً، وتبدو مستعدة لتتدخل في أي ثانية. نزع روبرت قناعه.

«... لقد تَوَفَّوا».

«من؟ هؤلاء الأشخاص؟ من توفي؟». انحنت إيلنبورغ، واقتربت منه وهي تنتظر أن ينزع القناع مجدداً. فوضع يده المرتعشة على قناع الأوكسجين وأبعده عن وجهه مرة أخرى.

«نباتي...».

عرفت إيلنبورغ أنه يواجه صعوبة في الكلام، وكافحت بكل قوتها لتحثّه على المضي قدماً. حدّقت إليه وانتظرت أن يقول المزيد.

أبعد القناع.

«... عديم الفائدة».

سقط القناع من يد روبرت، وأغمض عينيه، وطأطأ رأسه على صدره.

قالت الممرضة بجفاء: «آه، لقد قضيت عليه الآن إلى الأبد». أمسكت القناع، ووضعته على أنف روبرت وفمه بقوة غير ضرورية، في حين كان يجلس ورأسه على صدره، وعيناه مغمضتان وكأنه قد خلد إلى النوم، أو يحتضر حقًّا وفقاً لما رأته إيلنبورغ. نهضت، وشاهدت الممرضة وهي تدفع روبرت إلى سريره، ثمّ ترفعه عن الكرسي المتحرك وتضعه هناك وكأنّه ريشة.

قالت الممرضة، وهي امرأة قوية البنية تبلغ من العمر نحو 50 سنة، وشعرها معقود على شكل كعكة، وترتدي معطفاً وسروالاً وتنتعل حذاء أبيض: «هل تحاولين قتل الرجل المسكين بهذا الهراء؟». حدّقت غاضبة إلى إيلنبورغ، وتمتمت وكأنها تعاتب نفسها: «ما كان يجب أن أسمح بحدوث هذا مطلقاً». قالت لإيلنبورغ بصوتٍ عالٍ وبنبرة اتهامية: «لن يعيش حتى الصباح».

قالت إيلنبورغ من دون أن تدرك تماماً سبب اعتذارها: «آسفة. ظننا أنه يستطيع مساعدتنا بشأن بعض العظام القديمة، وآمل ألاّ تكون حاله سيئة جداً».

لهث: «كان يأتي دائماً... لاحقاً. أخضر... سيدة... أجمة...».

قالت إيلنبورغ: «أجمة؟». فكّرت للحظة، ثم سألته: «هل تعني التوت البري؟».

وضعت الممرضة القناع مجدداً على وجه روبرت، لكن إيلنبورغ ظنت أنها لاحظت إيماءة نحوها.

«من كان؟ هل تعني أنت؟ هل تتذكر أجمة التوت البري؟ هل

ذهبت إلى هناك؟ هل ذهبت إلى الأجمة؟».

هز روبرت رأسه ببطء.

أمرت الممرضة إيلنبورغ التي كانت قد انحنت فوق روبرت، لكن ليس قريباً جداً حتى لا تزيد غضبها: «اخرجي واتركيه وشأنه».

مضت إيلنبورغ قدماً: «هل يمكنك إخباري عن ذلك؟ هل تعرف من كان؟ من كان يذهب إلى أجمة التوت البري؟».

كان روبرت قد أغمض عينيه.

تابعت إيلنبورغ: «لاحقاً؟ ماذا تعني بقولك لاحقاً؟».

فتح روبرت عينيه، ورفع يده العجوز النحيلة ليشير إلى أنه يريد قلماً وورقة. فهزّت الممرضة رأسها، وطلبت منه أن يستريح، فقد عانى بما فيه الكفاية. غير أنّه أمسك يدها ونظر إليها متوسلاً.

قالت الممرضة: «هذا مستحيل». وتوجهت إلى إيلنبورغ بالقول: «اخرجي من هنا من فضلك».

«ألا يجب أن ندعه يقرر؟ إذا مات الليلة...».

قالت الممرضة: «نحن؟». وصرخت: «من نحن؟ هل كنت تعتنين بهؤلاء المرضى طوال 30 سنة؟ اخرجي قبل أن أجعل أحداً يرميك خارجاً».

ألقت إيلنبورغ نظرة إلى الأسفل على روبرت الذي كان قد أغمض عينيه مجدداً وبدا نائماً، ثم نظرت إلى الممرضة، وبدأت تتحرك بتردد نحو الباب. تبعتها الممرضة، وأغلقت الباب خلفها في اللحظة التي أصبحت فيها في الرواق. فكّرت إيلنبورغ في استدعاء سيغوردور أولي ليتناقش مع الممرضة ويخبرها عن أهمية قول روبرت ما يرغب في قوله. لكنها تخلّت عن الفكرة؛ لأن سيغوردور أولي سيزيد من حدّة غضبها.

مشت إيلنبورغ في الرواق، واستطاعت رؤية سيغوردور أولي في المطعم وهو يلتهم موزة، فيما نظرة شديدة التكلّف تعلو وجهه، واتخذت طريقها للانضمام إليه، لكنها توقفت. كان هناك مختلى أو حجرة تلفاز صغيرة في نهاية الرواق، فتراجعت واختبأت خلف شجرة مزروعة في أصيص ضخم تتطاول لتصل إلى السقف، وانتظرت هناك وهي تراقب الباب، مثل لبوءة تختبئ بين الأعشاب.

لم ينقض وقت طويل قبل أن تخرج الممرضة من غرفة روبرت، واجتازت الرواق والمطعم بسرعة إلى الجناح التالي، من دون أن تلاحظ سيغوردور أولي الذي لم يرها بدوره بسبب انشغاله بتناول الموز.

خرجت إيلنبورغ من مخبئها خلف الشجرة، وتسللت على أطراف أصابع قدميها إلى غرفة روبرت الذي كان يستلقي نائماً في سريره، والقناع فوق وجهه كما كانت قد تركته. كانت الستارة مغلقة، لكن ضوء مصباح خفيفاً كان يبدد بعض العتمة. ذهبت إليه، وترددت للحظة، واختلست النظر حولها قبل أن تستجمع قواها وتلمس الرجل العجوز.

لم يتحرك روبرت، فحاولت مجدداً لكنه كان مستغرقاً في النوم. افترضت إيلنبورغ أنه يغط في نومٍ عميق، إن لم يكن ببساطة ميتاً. وعضت أظفارها فيما كانت تتساءل بشأن وخزه بقوة أكبر، أو الاختفاء ونسيان الأمر كله. لم يكن قد قال الكثير، وإنما فقط أن شخصاً كان يتسكع حول الأجمة على التلة؛ سيدة خضراء.

كانت تستدير لتغادر حين فتح روبرت عينيه فجأة. لم تكن إيلنبورغ واثقة أنه تعرّف إليها، لكنه أومأ، وظنّت أنها لاحظت ابتسامة خلف قناع الأوكسجين، وأشار بالحركة نفسها ليطلب ورقة وقلماً،

فبحثت في معطفها عن دفتر ملاحظاتها وقلم، ووضعتهما بين يديه، فبدأ يكتب بيدٍ مرتعشة حروفاً كبيرة. استغرق الأمر منه وقتاً طويلاً، فيما ألقت إيلنبورغ نظرة خائفة نحو الباب، متوقعة دخول الممرضة في أي لحظة، وبدئها بالصّراخ وإطلاق الشتائم. أرادت أن تطلب من روبرت الإسراع في ما يفعله، لكنها لم تجرؤ على الضغط عليه.

عندما أنهى الكتابة، ارتخت يداه الشاحبتان فوق اللحاف، وهما تمسكان بالدفتر والقلم، وأغمض عينيه. أمسكت إيلنبورغ الدفتر، وكانت على وشك أن تقرأ ما كان الرجل العجوز قد كتبه حين بدأت شاشة جهاز مراقبة القلب المتصل به تصدر صوت بيب فجأة. كان الصوت يصم الآذان حين انطلق، وفزعت إيلنبورغ بشدة، ممّا جعلها تقفز إلى الخلف. نظرت نحو الأسفل إلى روبرت للحظة وهي لا تعرف ماذا تفعل، ثم خرجت بسرعة من الغرفة، واجتازت الرواق وصولاً إلى المطعم حيث كان سيغوردور أولي لا يزال جالساً، وقد أنهى تناول الموز. صدح إنذار في مكان ما.

سأل سيغوردرو أولي إيلنبورغ حين جلست بجانبه لاهثة: «هل حصلت على شيء من الرجل العجوز؟». أضاف حين لاحظ أن أنفاسها سريعة وقلبها يخفق بقوة: «مهلاً، هل أنت بخير؟».

قالت إيلنبورغ: «نعم، أنا بخير».

جرى فريق من الأطباء والممرّضات والمساعدين الطّبيين عبر المطعم إلى الرواق باتجاه غرفة روبرت. ظهر بعد ذلك بوقت قصير رجل يرتدي رداءً أبيض، وهو يدفع أمامه جهازاً ظنت إيلنبورغ أنه أداة تدليك قلب، وسار مسرعاً في الرواق أيضاً. راقب سيغوردور أولي الحشد وهو يختفي خلف الزاوية.

تمتمت إيلنبورغ: «أنا؟ لا شيء. أنا! ماذا تعني؟».

سأل سيغوردور أولي: «لماذا تتصببين عرقاً على هذا النحو؟».
«أنا لا أتعرّق».
«ماذا حدث؟ لماذا يجري الجميع؟».
«لا فكرة لدي».
«هل حصلت على شيء منه؟ هل هو الذي يحتضر؟».
قالت إيلنبورغ وهي تنظر حولها: «بالله عليك، حاول أن تظهر بعض الاحترام».
«ما الذي حصلت عليه منه؟».
قالت إيلنبورغ: «لم أرَ ذلك بعد. ألا يجب أن نخرج من هنا؟».
نهضا وخرجا من المطعم، ثم غادرا المستشفى وجلسا في سيارة سيغوردور أولي الذي انطلق بها.
سأل سيغوردور أولي بنفاد صبر: «إذاً، ما الذي حصلت عليه منه؟».
تنهّدت إيلنبورغ: «كتب لي ملاحظة. ذلك الرجل المسكين».
«كتب لك ملاحظة؟».
أخرجت الدفتر من جيبها، وقلّبت صفحاته حتى وجدت الورقة التي كان روبرت قد كتب عليها. كانت هناك كلمة واحدة خطّتها يد الرّجل المحتضر المرتشعة، بخربشة غير مفهومة تقريباً. استغرق الأمر منها بعض الوقت لتحل لغز ما كتبه على دفتر ملاحظاتها، ثم اقتنعت بالرغم من أنها لم تفهم المعنى. حدّقت إلى آخر كلمات روبرت في هذه الحياة الفانية: **ملتوية**.

* * *

كانت البطاطا في ذلك المساء، التي ظن أنها ليست مسلوقة كفاية، وربما كانت على حدٍّ سواء مسلوقة أكثر أو أقل مما يحب، نيئة،

غير مقشرة، مقشّرة على نحو سيئ، مقشّرة كثيراً، ليست مقطوعة إلى نصفين، صلصتها قليلة أو كثيرة، مقلية، غير مقلية، مهروسة، شرائحها سميكة أو رفيعة، حلوة كثيراً أو قليلاً...

لم تستطع أن تفهمه قطّ.

كانـت طريقتـه تلـك أحـد أقوى أسـلحته. وكانت الهجمات تقع دائماً من دون سابق إنذار، وحين لا تتوقعها، ويكون كل شيء على ما يرام. لكنها تشعر بأن هناك شيئاً يزعجه. كان عبقرياً في إبقائها قلقة جداً ولم تشعر بالأمان قطّ. فهي دائماً متوترة في حضوره، ومستعدة لتكون رهن إشارته. كانت تحضّر الطعام في الوقت المناسب، وتجهّز ملابسـه في الصباح، وتسـيطر على الأولاد، تُبعد ميكلينا عن ناظريه، وتخدمه بكل طريقة، بالرغم من معرفتها أنّه لا جدوى من ذلك.

كانت قد تخلّت منذ وقت طويل عن أي أمل بأن تتحسن الأمور، وأضحى منزله سجنها.

بعد الانتهاء من العشاء، حمل طبقه بفظاظة كالمعتاد، ووضعه في حوض غسل الصحون، ثم عاد إلى الطاولة وكأنه في طريقه للخروج من المطبخ، لكنه توقف حيث كانت لا تزال تجلس إلى الطاولة. لم تجرؤ على النظر إليه، ونظرت إلى الصبيين اللذين كانا يجلسان معها، وتابعت تناول وجبتها، وكل عضلة في جسـدها مشـدودة، وظنّت أنه ربمـا سـيغادر مـن دون أن يمسّـها. نظـر الصبيـان إليهـا، ووضعا ببطء شوكتيهما جانباً.

أطبق صمت قاتل على المطبخ.

أمسك برأسها فجأة، وضربه على طبقها الذي انكسر، ثم شدّها من شعرها إلى الأعلى وجذبها إلى الخلف، فأوقعها عن كرسيها على الأرض. أزال أدوات المائدة عن الطاولة، وركل كرسيها إلى الجدار.

شعرت بدوار من أثر السقوط، وبدا أنّ المطبخ كله يدور. حاولت النهوض على قدميها بالرغم من أنها كانت تعرف من التجربة أنّه من الأفضل لها أن تستلقي ساكنة من دون حراك، لكن روحاً مشاكسة داخلها أرادت استفزازه.

صرخ قائلاً: «لا تتحركي أيتها البقرة». وعندما كافحت لتجثو على ركبتيها انحنى فوقها وصاح: «إذاً تريدين النهوض؟». ثمّ شدّها من شعرها، وضرب وجهها بالجدار، وركل ردفيها حتى فقدت كل قوة في ساقيها، فزعقت واستلقت مجدداً على الأرض. سال الدم من أنفها، وسمعته بصعوبة يصرخ في أذنيها.

صاح: «حاولي أن تقفي الآن أيتها الحقيرة القذرة!».

بقيت هذه المرة ساكنة من دون حراك، ورفعت يديها لتحمي رأسها، وهي تنتظر أن تنهمر الركلات عليها. رفع قدمه وضربها بكل قوته على جانبها، فشهقت من الألم المبرّح الذي شعرت به في صدرها، ثم انحنى إلى الأسفل وأمسكها من شعرها، ورفع وجهها إليه، وبصق عليه قبل أن يضرب رأسها بالأرض.

وقال بصوت خافت: «حقيرة قذرة». ثم نهض ونظر إلى الفوضى التي نجمت عن اعتدائه عليها، وصرخ: «انظري إلى الفوضى التي تخلّفينها دائماً، أيتها الحقيرة. نظّفيها الآن وإلا سأقتلك!».

تراجع ببطء عنها وحاول أن يبصق عليها مجدداً، لكن فمه كان جافاً.

قال: «سافلة لعينة، ولا طائل منك. ألا يمكنك أن تفعلي شيئاً على نحو صحيح أبداً، أيتها الحقيرة اللعينة عديمة الفائدة؟ ألن تدركي ذلك يوماً ما؟ ألن تدركي ذلك؟».

لم يكن يهتم إن كان اعتداؤه عليها يترك أثراً، فقد كان يعرف

أن لا أحد سيتدخل، وأن زوارهما قلائل. كانت هناك بضعة شاليهات مبعثرة حول الأرض المنخفضة، لكن القليل من الناس يصعدون إلى التلة، بالرغم من أن الطريق الرئيس بين غرافافوغر وغرافارهولت قريب منهم. لكن، لم يكن أحد يزور تلك الأسرة.

كان المنزل الذي يعيشون فيه عبارة عن شاليه كبير استأجره من رجل في ريكيافيك، ولم يكتمل بناؤه بعد حين فقد المالك اهتمامه به ووافق على تأجيره إيّاه بثمن زهيد إذا تعهد بإنهائه. في البداية، شعر بالحماسة بشأن العمل في المنزل، وكاد ينتهي من تشييده حين تبين له أن المالك لا يهتم بذلك إطلاقاً. وبعد فترة، صار الشاليه بحاجة إلى ترميم. كان مبنياً من ألواح خشبية، ويتألف من حجرة جلوس، ومطبخ مع موقد فحم للطهي، وغرفتين مع موقدي فحم للتدفئة، وهناك ممر بين الغرف. في الصباح، كانوا يجلبون الماء من النبع الموجود بجانب المنزل، ويضعون دلوين كل يوم على الطاولة في المطبخ.

انتقلوا إلى هناك منذ نحو سنة. فبعد الاحتلال البريطاني لأيسلندا، تقاطر الناس إلى ريكيافيك من الريف بحثاً عن عمل، وفقدت الأسرة شقة القبو لأنها لم تعد تتحمل نفقتها، وأصبح السكن مكلفاً، والإيجارات مرتفعة. عندما تولى مسؤولية الشاليه الذي لم يكتمل بناؤه بعد في غرافارهولت وانتقلت الأسرة إلى هناك، بدأ بالبحث عن عمل يناسب وضعه الجديد، فعمل في نقل الفحم إلى المزارع حول ريكيافيك. وكان يمشي كل صباح إلى المنعطف المؤدي إلى غرافارهولت حيث يركب شاحنة الفحم التي تعيده مجدداً في المساء. كانت تظن أحياناً أن السبب الرئيس الذي دفعه إلى مغادرة ريكيافيك هو أن لا يسمع أحد صرخاتها طلباً للمساعدة حين يضربها.

كان أوّل الأشياء التي فعلتها بعد أن انتقلوا إلى التلة هو زرع

أجمة التوت البري. فقد وجدت المكان خالياً، وزرعت الأجمة على الطرف الجنوبي من المنزل، وكان يفترض بها أن تحدد أحد أطراف الحديقـة التـي خططـت لحراثتهـا. أرادت زرع المزيـد، لكنـه ظنَّ أنها مضيعة للوقت ومنعها من القيام بذلك.

استلقت من دون حراك على الأرضية، وهي تنتظر أن يهدأ أو يذهب إلى البلدة للقاء أصدقائه، فقد كان يغادر أحياناً إلى ريكيافيك ولا يعـود حتـى صبـاح اليـوم التالي. كان وجهها يتقد ألماً وشـعرت بحرارة في صدرها مثل تلك التي شعرت بها حين كسر أضلاعها قبل سنتين. كانت تعرف أن السبب ليس البطاطا، أو البقعة التي لاحظها على قميصه المغسـول حديثاً، أو الفسـتان الذي خاطته لنفسـها لكنه ظن أنه سيئ ومزّقه إرباً، أو بكاء الأولاد في الليل الذي كان يلومها عليـه. «أنـت أم ميـؤوس منها! اجعليهم يخرسـون وإلا سـأقتلهم!». كانـت تعـرف أنـه قـادر علـى ذلك، وأن بمقـدوره الوصول إلى ذلك الحد.

اندفـع الولـدان إلـى خـارج المطبخ حين رأياه يضرب والدتهما، لكن ميكلينا بقيت جالسة كالمعتاد؛ لأنه لم يكن بمقدورها أن تتحرك مـن دون مسـاعدة. كانـت هنـاك أريكـة صغيرة فـي المطبخ حيث تنام وتمضي اليوم كلّه أيضاً؛ لأن مراقبتها هناك أسـهل منه في أي مكان آخر. وهي تلتزم الهدوء عادة بعد أن يعود، وعندما يبدأ بضرب والدتها تسحب البطانية فوق رأسها بيدها السليمة؛ وكأنها تحاول إخفاء نفسها.

لـم تـرَ ميكلينـا مـا حـدث، ولـم ترغـب في ذلك. لكنها سـمعته من حيث تجلس تحت البطانية وهو يصرخ، وسـمعت والدتها تزعق ألماً، وارتعشت حين سمعتها تصطدم بالجدار وتسقط على الأرض، فتكوّرت تحت البطانية وبدأت تغنّي في سرّها:

وقفن على الصندوق،
يرتدين جواربهن القصيرة،
ذهبيةٌ خصال شعرهن،
الفتيات في عباءاتهن الجميلة.

عندما توقفت، كان الهدوء قد خيم مجدداً على المطبخ. لم تجرؤ الفتاة لوقت طويل على إبعاد البطانية عنها، فاختلست النظر من تحتها، لكنها لم تره، وشاهدت في آخر الممر البابَ الأمامي مفتوحاً، فعرفت أنه قد غادر المكان. جلست الفتاة، ورأت والدتها مستلقية على الأرض، فأبعدت البطانية عنها، وزحفت من مكان نومها، وتقدمت على الأرض تحت الطاولة إلى أمها التي كانت لا تزال متكورة وهي ساكنة من دون حراك.

دنت ميكلينا من والدتها، وكانت الفتاة نحيلة مثل العصا وضعيفة، ووجدت صعوبة في الزحف على الأرض القاسية. فعادة، عندما كانت تريد أن تنتقل من مكان إلى آخر، كان شقيقاها يحملانها، أو والدتها، لكنّ زوج والدتها لم يفعل ذلك قطّ. كان قد هدّد تكراراً بأن «يقتل البلهاء، أن يخنق ذلك المسخ المستلقي على ذلك السرير المقرّز! تلك المعوقة!».

لم تتحرك الأمّ، غير أنها شعرت بيد ميكلينا تمسُّ ظهرها ثم تربت على رأسها. لم يكن الألم في قفصها الصدري قد توقف بعد، وكان أنفها لا يزال ينزف، ولا تعرف إن كان قد أُغمي عليها. ظنت أنه لا يزال في المطبخ، لكن ذلك كان مستحيلاً بسبب مجيء ميكلينا إليها؛ فهي تخاف من زوج والدتها أكثر من أي شيء آخر في حياتها.

تحرّكت والدتها بحذر شديد وهي تتأوه ألماً، وتمسك الجانب الذي كان قد ركله، وتشعر بأنّه قد كسر أضلاعها، ثم استلقت على

ظهرها ونظرت إلى ميكلينا. كانت الفتاة تذرف الدموع وهي تشعر بالرّعب. وعندما نظرت إلى وجه والدتها الملطخ بالدماء ذُهِلت وانفجرت بالبكاء مجدداً.

تنهّدت الأم: «لا بأس يا ميكلينا. سنكون بخير».

نهضت على قدميها ببطء وصعوبة بالغة، وهي تسند نفسها إلى الطاولة.

«سننجو».

ربتت على خاصرتها، وشعرت بالألم يطعنها مثل سيف.

سألت وهي تنظر نحو ميكلينا التي كانت شبه مستلقية على الأرض: «أين الصبيان؟». أشارت ميكلينا إلى الباب وأصدرت صوتاً يعبّر عن قلق ورعب، فقد كانت والدتها تعاملها دائماً مثل طفل طبيعي. لم يدعُها زوج والدتها مطلقاً إلا بالبلهاء، أو أسوأ. كانت ميكلينا قد أصيبت بالتهاب السحايا حين كانت في الثالثة من عمرها. ولم يتوقع أحد أن تعيش، وبقيت الفتاة طوال أيام في مستشفى لانداكوت الذي تديره الأخوات، ولم يُسمح لوالدتها بالمكوث معها بغض النظر عن توسلاتها وصراخها خارج الجناح. وعندما تلاشت حمّى ميكلينا كانت قد فقدت كل قدرة على تحريك يدها اليمنى، وساقيها، وعضلات وجهها أيضاً. مما جعل وجهها يبدو ملتوياً، وإحدى عينيها نصف مغمضة، وبدا فمها مائلاً، ويسيل منه اللعاب على الدوام.

كان الصبيان يعرفان أنهما لا يستطيعان الدفاع عن والدتهما: فالأصغر في السابعة من عمره، والأكبر في الثانية عشرة. عرفا بحلول ذلك الوقت حالة والدهما الذهنية حين يضربها، وسمعا كل الذم الذي يخرج من فمه، ورأيا الغضب الذي يتملّكه حين يشتمها. لذا، كانا يفران من المكان. فيخرج سيمون الأكبر سنّاً أولاً، وهو يمسك يد

شـقيقه ويأخذه معه أيضاً. كان يســحبه مثل حَمَل خائف ومذعورٍ من أن يصب والدهما جماح غضبه عليه.

سيتمكن يوماً ما من اصطحاب ميكلينا معهما، وسيستطيع يوماً ما الدفاع عن والدته.

هـرب الشـقيقان الخائفـان من المنـزل، واتجها إلى أجمة التوت البـري. كان الوقـت خريفـاً، وكانــت الأجمـة مزهـرة، وأوراقها كثيفة، وفيهـا تـوت أحمـر صغيـر مليء بسـائل انفجر بين أيديهما حين قطفاه لملء علب وجرار كانت والدتهما قد أعطتهما إياها.

رميـا بنفسـيهما علـى الأرض علـى الطـرف الآخـر مـن الأجمة، وهما يصغيان إلى شتائم والدهما وسبابه وصوت الأطباق التي تتحطم وصرخات والدتهما. غطى الفتى الأصغر سنًّا أذنيه، لكن سيمون نظر عبر نافذة المطبخ، وأرغم نفسه على الاستماع إلى صرخاتها.

كان قد توقف عن تغطية أذنيه، وأجبر نفسه على الإصغاء ليفعل ما كان ينوي فعله.

10

لم تكن إلزا تبالغ بشأن القبو في منزل بنيامين، فقد وجده إرلندور مليئاً بالخردة، وبدا المشهد للحظة واحدة مثبطاً للهمة. تساءل عن جدوى استدعاء إيلنبورغ وسيغوردور أولي، لكنه قرر التريث في ذلك. كانت مساحة القبو نحو 90 متراً مربعاً. وكان مقسّماً إلى عدد من الغرف مختلفة المساحات، ومن دون أبواب أو نوافذ، ومليئة بصناديق كثيرة؛ بعضها يحمل لصاقات، لكن معظمها يفتقر إليها، وبعلب كرتونية ضمت سابقاً قوارير شراب ولفائف تبغ، وصناديق خشبية، بكل الأحجام التي يمكن تخيلها؛ مليئة بمجموعة كبيرة من الأمتعة القديمة. كان في القبو أيضاً خزائن وصناديق وحقائب قديمة، ومواد مختلفة تكدّست مع مرور وقت طويل: دراجات هوائية، وآلات لجزّ العشب يعلوها الغبار، ومشواة قديمة.

قالت إلزا حين تبعته إلى الأسفل: «يمكنك أن تبحث بين هذه الأشياء بقدر ما تشاء. إذا كان هناك شيء يمكنني مساعدتك فيه ناديني وحسب». أشفقت قليلاً على ذلك المحقق العابس الذي بدا شارد الذهن نوعاً ما، بأسماله وسترته الصوفية البالية تحت معطفٍ قديم توجد على مرفقيه رقعتان رثّتان. شعرت ببعض الأسى نحوه حين تكلمت معه ونظرت إلى عينيه.

ابتسم إرلندور ابتسامة باهتة وشكرها. وعثر بعد ساعتين على أولى الوثائق من بنيامين كندسن التاجر. أمضى وقتاً صعباً في البحث في القبو نتيجة الافتقار إلى التنظيم، وكانت أشياء قديمة وأخرى أكثر

حداثة مكدّسة معاً في أكوام كبيرة اضطر إلى التأكد منها وتحريكها للتقدّم إلى الأمام. على أيّ حال، كان يتقدم ببطء شديد في المكان، وشعر بحاجة إلى فنجان قهوة ولفافة تبغ، وتساءل إن كان يجب أن يزعج إلزا بذلك أو يخرج ليستريح قليلاً ويعثر على مقهى.

لم يتوقف عن التفكير في إيفا ليند قطّ، وكان يحمل جوّاله معه، ويتوقع اتصالاً من المستشفى في أي لحظة، وضميره يؤنبه بسبب وجوده معها. ربما يجب أن يأخذ إجازة لبضعة أيام؛ ليجلس بجانب ابنته ويتكلم معها كما كان الطبيب قد قال له، وليكون معها بدلاً من أن يتركها وحدها في العناية الفائقة وهي فاقدة الوعي، ومن دون أسرة أو كلمات مواساة. لكنه كان يعرف أنه ليس بمقدوره الجلوس من دون عمل والانتظار بجانب سريرها. كان العمل نوعاً من الخلاص، وهو يحتاج إلى أنْ يشغل ذهنه، ويمنع نفسه من التفكير في الأسوأ الذي لا يمكن تخيّله.

حاول التركيز في أثناء عمله في القبو، ووجد على طاولة قديمة بعض الفواتير من تجار جملة موجهة إلى متجر كندسن. كانت مكتوبة بخط اليد ويصعب فك طلاسمها. لكن، بدا أنها تتضمن تسليم بضائع. عثر على فواتير مشابهة في خزانة المكتب. وكان أوّل انطباعات إرلندور هو أن كندسن قد أدار محلّ بقالة؛ لأن القهوة والسكر مذكوران في الفواتير، مع أرقام بجانبهما.

لم يكن هناك شيء عن العمل في الشاليه خارج ريكيافيك حيث كان يبنى آنذاك حي الألفية.

تغلبت الحاجة إلى لفافة تبغ أخيراً على إرلندور، ووجد باباً في القبو يُفتح على حديقة منسّقة على نحو جميل. كانت الورود قد بدأت تتفتح بعد فصل الشتاء، لكن إرلندور لم يعر ذلك الأمر

اهتماماً خاصاً، ووقف يدخن بشـراهة، وسـرعان ما أنهى لفافتي تبغ.

رنّ الجوّال في جيب معطفه حين كان على وشك العودة إلى القبو، وكان الاتصال من إيلنبورغ.

سألت: «كيف حال إيفا ليند؟».

قـال إرلنـدور باقتضـاب: «لا تـزال فاقدة الوعي». لم يكن يرغب في إجراء أي حديث عن إيفا حتى لو كان قصيراً. سـأل: «هل هناك أي تطوّرات؟».

«تكلمـت مـع ذلـك الرجـل العجوز روبرت الذي يملك شـاليهاً على التلة. لست واثقة تماماً ممّا قاله، لكنه يتذكر شخصاً كان يتجول حول الأجمة».

«حول الأجمة؟».

«بجانب العظام».

«أجمة التوت البري؟ من كان؟».

سـمع إرلنـدور سـيغوردور أولـي وهـو يقول فـي الخلفية: «أظنّ أنّه مات».

«الشخص في الأجمة؟».

قالـت إيلنبـورغ: «لا، روبـرت. لهـذا لن نحصل على شـيء آخر منه».

«ومن كان هناك؟ في الأجمة؟».

قالت إيلنبورغ: «الأمر كله غير واضح. كان هناك شخص اعتاد الذهاب إلى ذلك المكان لاحقاً. وهذا هو كل ما حصلت عليه منه، ثم بدأ يقول شيئاً: سيدة خضراء، وانتهى كل شيء».

«سيدة خضراء؟».

«نعم، خضراء».

كـرّر إرلنـدور: «اعتـاد ولاحقـاً وخضراء. لاحقـاً متى؟ ماذا كان يعني؟».

«كما قلت، لم يكن كلامه مترابطاً. أظن أنها ربما كانت... أظن أنها كانت...». تردّدت إيلنبورغ.

سأل إرلندور: «كانت ماذا؟».

«ملتوية».

«ملتوية؟».

«كانـت تلـك هـي الصفـة الوحيدة التي قالها عن الشـخص. لقد فقد القدرة على الكلام وكتب تلك الكلمة فقط ملتوية، ثم خلد إلى النوم، وأظن أن شيئاً حدث له لأن الفريق الطبي أسرع إليه و...».

تلاشـى صـوت إيلنبـورغ، وأمعـن إرلنـدور التفكيـر فـي كلماتها لبعض الوقت.

«إذاً، يبدو أن سيدة قد اعتادت الذهاب إلى أجمة التوت البري في وقت ما لاحقاً».

قالت إيلنبورغ: «ربما بعد الحرب».

«هل تذكَّر أحداً عاش في المنزل؟».

قالت إيلنبورغ: «أسرة مكونة من زوجين وثلاثة أولاد. لم أستطع الحصول على المزيد منه بشأنهم».

«إذاً، عاش أشخاص هناك فعلاً، بجانب الأجمة؟».

«يبدو ذلك».

«وكانت ملتوية. ما الذي يقصده بقوله ملتوية؟ كم عمر روبرت؟».

«إنه... أو كان... لا أعرف... تجاوز 90».

قال إرلندور وكأنه يكلّم نفسـه: «من المسـتحيل معرفة ما يعنيه بتلـك الكلمـة. امـرأة ملتويـة فـي أجمة التوت البـري. هل يعيش أحد

في شاليه روبرت الآن؟ هل ما زال قائماً؟».

أخبرتـه إيلنبـورغ أنهـا وسـيغوردور أولي قـد تكلما مع المالكين الحاليين في وقت سابق من ذلك اليوم، لكن لم يأتِ أحد على ذكر أي امرأة. فطلب منها إرلندور أن يعودا ويسـألا المالكين مباشـرة إذا كان أي شخص، خاصة امرأة، قد شوهد في أرجاء منطقة أجمة التوت البري، وأن يحاولا أيضاً معرفة عناوين أي أقارب لروبرت؛ ليكتشفا إن كان قـد تكلـم مـن قبـل عن الأسـرة التي تسـكن علـى التلة. وقال إرلندور إنه سـيمضي المزيد من الوقت في البحث في القبو قبل أن يذهب إلى المستشفى ليزور ابنته.

عاد ليتصفّح الأشـياء التي تركها بنيامين، متسـائلاً وهو ينظر في أرجـاء القبـو إن كان الأمـر سيسـتغرق عـدة أيـام للتّأكد من كل ما هو موجود هناك. شـق طريقه بصعوبة عائداً إلى مكتب بنيامين الذي لا يضـم وفقـاً لمـا يعرفـه إلا وثائـق وفواتير تتعلق بمتجره؛ الذي لم يكن إرلندور يتذكره والذي بدا أنه كان في هفرفيسغاتا.

بعـد مـرور سـاعتين تنـاول خلالهمـا فنجاناً من القهـوة مع إلزا، ودخّن لفافتي تبغ أخريين في الحديقة الخلفية، وصل إلى الصندوق الموضـوع علـى الأرض، والمطلـي بلـونٍ رمادي، والذي كان موصداً وفيـه مفتـاح. كان علـى إرلنـدور أن يبـذل جهـداً ليدير المفتاح ويفتح الصندوق. وجد في الداخل المزيد من الوثائق والمغلّفات المتراصّة معاً برباط مطاطي، لكنه لم يعثر على فواتير. كانت هناك بضع صور مع الرسائل؛ بعضها مؤطر، وبعضها الآخر من دون إطار. نظر إرلندور إليها، ولم يعرف أيّا من الأشخاص الذين يظهرون فيها، لكنه افترض أن بنيامين نفسـه يظهر في بعضها. كان أحد الأشـخاص الذين يبدون فـي الصّـورة رجـلاً طويـلاً ووسـيماً، له كرش تبرز قليلاً أمامه، ويقف

خارج متجر. كانت المناسـبة واضحة، فقد كان يتم تثبيت لافتة فوق الباب كُتب عليها: متجر كندسن.

أمعـن إرلنـدور النظـر إلـى مزيد من الصور، ورأى الرجل نفسـه يظهر في بعضها برفقة امرأة شـابة، وكانا يتبسـمان وهما ينظران إلى آلـة التصويـر. كانـت كل الصـور قد التُقطـت في الهواء الطلق وتحت أشعة الشمس دائماً.

وضع إرلندور الصور جانباً، ثم أمسك حزمة المغلّفات، واكتشف أنها تضم رسـائل غرام من بنيامين إلى عروسـه المسـتقبلية، التي كان اسمها سولفيغ. كان بعضها رسائل قصيرة جداً فيها اعترافات بالحب. فـي حيـن أن الرسـائل الأخـرى كانـت أكثـر تفصيـلاً، واحتوت وصفاً لوقائع يومية، وكلها مكتوبة بعواطف جيّاشـة. بدا أن الرسـائل مرتّبة زمنيـاً، وقـرأ إرلنـدور واحـدة منهـا، بالرغـم من أنه فعـل ذلك متردّداً، فقـد شـعر بأنـه يتطفّـل، وغمره خجل شـديد، وكأنـه يقف قرب نافذة ويختلس النظر منها.

حبيبتي،

أشـتاق إليـك كثيـراً يـا حياتي. لقد كنـت أفكّر فيك طوال اليوم، وأعدُّ الدقائق حتى تعودي. إن الحياة من دونك مثل شتاء بارد، فهي رتيبة جداً وخاوية. تخيّلي أنك بعيدة عني منذ أسـبوعين كاملين. لا أعرف حقّاً كيف يمكن أن أتحمّل ذلك.

حبيبك

بنيامين ك.

أعـاد إرلنـدور الرسـالة إلـى مغلّفهـا، وأخـرج رسـالة أخرى من

الحزمة. وكانت الرسالة عبارة عن وصف تفصيليّ لنية التاجر المستقبلية بافتتاح متجر في هفرفيسغاتا. كانت لديه خطط كبيرة للمستقبل، وقد قرأ أنه في مدن كبيرة في أمريكا هناك متاجر ضخمة تبيع كل أنواع السلع والملابس، إضافة إلى الطعام، حيث يختار الناس من الرفوف ما يرغبون في شرائه، ثم يضعونه في عربات يدفعونها على أرضية المتجر.

ذهب إرلندور إلى المستشفى عند حلول المساء تقريباً، وهو ينوي أن يجلس بجانب إيفا ليند. اتصل أولاً بسكارفيدين الذي قال له إن الحفر قائم على قدمٍ وساق، لكنه رفض أن يتوقع متى سيصلون إلى العظام. ولم يكونوا قد وجدوا بعد شيئاً في التربة يشير إلى سبب موت إنسان الألفية.

اتصل إرلندور أيضاً بطبيب إيفا ليند قبل أن ينطلق إليها، وقيل له إن حالتها لم تتغير. وعندما وصل إلى العناية الفائقة، رأى امرأة ترتدي معطفاً بنياً تجلس بجانب سرير ابنته، وحين أدرك من هي كان قد أصبح داخل الغرفة. شعر بتوتر فتوقّف، ثمّ عاد أدراجه ببطء عبر الباب حتى خرج إلى الرواق، ونظر إلى طليقته من مسافة بعيدة.

كان ظهرها باتجاهه، لكنه عرف من تكون. امرأة في مثل عمره تجلس منحنية الظهر، وقد ارتدت ثياب جري بنفسجية فاقعة تحت معطفها البني. كانت تضع منديلاً على أنفها وتتكلم مع إيفا ليند بصوت خافت، لكنه لم يستطع سماع ما كانت تقوله. لاحظ أنها قد صبغت شعرها، لكن منذ بعض الوقت على ما يبدو؛ لأن شريطاً أبيض كان ظاهراً للعيان حيث تفصله قسمين، وتذكر كم تبلغ من العمر الآن، فقد كانت تكبره بثلاث سنوات.

لـم يكـن قـد رآهـا عـن قـرب طوال عقدين. ليـس منذ أن تخلّى عنها وتركها مع الولدين. لم تكن قد تزوجت مجدداً؛ مثل إرلندور، لكنها عاشت مع عدّة رجال، بعضهم أفضل من الآخرين. أخبرته إيفا ليند عنهم حين كبرت وبدأت تلتمس صحبته.

وبالرغم من أن الفتاة كانت متشككة بشأنه في البداية، إلا أنهما وصلا إلى تفاهم معين، وحاول مساعدتها كلما استطاع ذلك. وينطبق الأمر نفسه على علاقته بالفتى الذي كان أكثر بعداً عنه. لم يكن إرلندور على اتصال حقيقي بابنه.

راقـب إرلنـدور طليقتـه وهـو يتراجـع إلـى الخلف فـي الرواق، وتسـاءل إن كان يجب أن ينضم إليها، لكنه لم يسـتطع إرغام نفسـه على القيام بذلك. توقع حدوث مشكلة معها، ولم يرغب في أن يكون المستشفى مسرحاً لها، أو أي مكان آخر. لم يكن يرغب في حدوث مشكلات في حياته إذا كان بمقدوره تفاديها. لم يكونا قد توصلا قطّ إلى تفاهم مناسب في ما يتعلق بعلاقتهما الفاشلة التي أخبرته إيفا ليند أنها تسبب لوالدتها ألماً كبيراً؛ بسبب الطريقة التي كان قد غادر بها.

اسـتدار، ومشـى مبتعداً ببطء في الرواق، وهو يفكر في رسـائل الغـرام التـي عثـر عليهـا فـي قبـو بنيامـين كندسـن. لم يتذكـر إرلندور شـيئاً علـى وجـه الدقـة، وبقـي السـؤال مـن دون جـواب. حين وصل إلى المنزل، ارتمى على الكرسي، وسمح للنوم بأن يطرد ذاك السؤال من ذهنه.

هل كانت هالدورا حبيبته يوماً؟

11

صدر قرار بأن يتولى إرلندور، وسيغوردور أولي، وإيلنبورغ حلّ لغز العظام، كما كانت وسائل الإعلام تدعو تلك القضيّة. لم تكن إدارة الأمن الجنائي تستطيع تخصيص المزيد من المحققين لقضية ليست ذات أولوية، فقد كانت مشغولة بتحقيق شامل عن الممنوعات، وكان ذاك التحقيق يستنفد وقتاً طويلاً وعدداً كبيراً من القوى البشرية. ولم يكن بإمكان إدارة الأمن الجنائيّ تخصيص المزيد من الأشخاص لإجراء بحث تاريخي، كما وصف قائدها هرولفور الأمر. لا سيّما وأنّ أحداً لم يكن واثقاً من أنها قضية جنائية أصلاً.

عرّج إرلندور على المستشفى باكراً في صبيحة اليوم التالي في طريقه إلى العمل، وجلس ساعتين بجانب سرير ابنته التي كانت حالتها مستقرة. لم يكن هناك أثر لوالدتها، فبقي وقتاً طويلاً صامتاً، وهو يراقب وجه ابنته النحيل والضعيف، ويفكّر في الماضي. حاول أن يتذكر الوقت الذي كان قد أمضاه مع ابنته في صغرها. كان عمر إيفا ليند سنتين حين انفصل والداها. ويذكر أنها كانت تنام بينهما في سريرهما، وترفض النوم في مهدها الموجود آنذاك في غرفة نومهما؛ لأن شقتهما صغيرة، وتتألف من غرفة نوم واحدة، وحجرة جلوس، ومطبخ. كانت تتسلق مهدها لتخرج منه، وتنزل على السرير المزدوج وتدفع نفسها بينهما.

تذكرها وهي تقف بجانب باب شقته بعد أن عرفت مكانه. وكانت في سن المراهقة آنذاك. بعد طلاقهما، رفضت هالدورا رفضاً

قاطعاً أن تسمح له برؤية الولدين، وكانت ترشقه بشتى أنواع الشتائم كلما حاول لقاءهما. وشعر أن كل كلمة قالتها صحيحة تماماً، فتوقّف تدريجياً عن الاتصال بهم، ولم يكن قد رأى إيفا ليند طوال ذلك الوقت، ثم ظهرت هناك فجأة، واقفة عند عتبة بابه، وبدت قسماتها مألوفة؛ فقد ورثت منه ملامحها.

قالت بعد أن حدّق إليها وقتاً طويلاً: «ألن تسمح لي بالدخول؟». كانت ترتدي سترة جلدية سوداء، وجينزاً بالياً، وتطلي شفتيها وأظفارها بلونٍ أسود، وتدخن لفافة تبغ، وتزفر الدخان من أنفها.

كانت هناك نظرة طفولية على وجهها الذي احتفظ بنقائه تقريباً.

تردّد متفاجئاً، ثم دعاها إلى الدخول.

قالت حين تجاوزته، وهي تدخن وترمي نفسها على كرسيه: «غضبت أمي حين قلت إنني سآتي لرؤيتك. قالت إنك فاشل؛ وهي تقول ذلك دائماً لي ولسيندري. والدكما فاشل لعين، ثم: أنتما مثله تماماً؛ أنتما فاشلان».

ضحكت إيفا ليند، وبحثت عن منفضة لإطفاء لفافة تبغها، لكنه أخذ العقب منها، وأطفأ السيجارة.

شرع يقول: «لماذا...»، لكنه لم يستطع إنهاء الجملة.

قالت: «أردت فقط أن أراك، وأشاهد كيف تبدو».

سأل: «وكيف أبدو؟».

نظرت إليه.

قالت: «مثل فاشل».

قال: «إذاً، نحن لسنا مختلفين جداً».

حدّقت إليه وقتاً طويلاً، وظنّ أنه لمح ابتسامة على ثغرها.

عندما وصل إرلندور إلى المكتب، جلست إيلنبورغ وسيغوردور أولي معه، وأخبراه أنهما لم يعرفا شيئاً آخر من مالكي شاليه روبرت الحاليين. وكما قال المالكون الجدد، لم يلاحظوا أي امرأة ملتوية في أي مكان على التلة. كانت زوجة روبرت قد توفيت قبل عشر سنوات، ولديهما ولدان توفي أحدهما - الابن - عن عمر ناهز 60 سنة، والأخرى - امرأة - عمرها 70 سنة، تنتظر أن تتصل إيلنبورغ بها.

سأل إرلندور: «وماذا عن روبرت، هل سنحصل على أي شيء منه؟».

قالت إيلنبورغ ونبرة ذنب بادية في صوتها: «توفي روبرت في الليلة الماضية. لقد اكتفى من هذه الحياة، حقًّا. أظن أنه أراد أن يقضي نحبه اليوم. نباتي عجوز عديم الفائدة؛ هذا ما قاله. يا الله! سأكره أن ينتهي بي الأمر في المستشفى على تلك الحال».

قال سيغوردور أولي: «كتب بضع كلمات على دفتر الملاحظات قبل أن يموت بقليل. هي قتلته».

تأوهت إيلنبورغ: «يا لحس الدعابة!».

قال إرلندور وهو يومئ باتجاه سيغوردور أولي: «لن تضطري إلى رؤيته أكثر من ذلك اليوم. سأرسله إلى قبو بنيامين لينبش بعض الأدلة».

قال سيغوردور أولي، وقد تحولت الابتسامة على وجهه إلى تكشيرة: «ماذا تتوقع أن نجد هناك على أيّ حال؟».

«لا بد من أنه قد كتب شيئاً ما إذا أجّر ذلك الشاليه، وهذا أمر مؤكد. نحتاج إلى أسماء الأشخاص الذين عاشوا هناك، ولا يبدو أن مكتب الإحصاء الوطني سيجدها لنا على الأرجح. عندما نحصل على الأسماء يمكن أن نقارنها مع الأسماء المذكورة في سجل المفقودين،

ونتأكد إن كان أحد هؤلاء الأشخاص لا يزال حيًّا. ونحتاج إلى تحليل لتحديد الجنس والعمر عندما يُكشف الهيكل العظمي كله».

قالت إيلنبورغ: «ذكر روبرت ثلاثة أولاد، ولا بد أن واحداً منهم على الأقل لا يزال حيًّا».

قال إرلندور: «حسناً، هذا ما يجب أن نحصل عليه لنمضيَ قدماً، وهو ليس كثيراً: أسرة من خمسة أفراد عاشت في شاليه في غرافارهولت في وقت سابق، في أثناء الحرب أو بعدها. زوجان مع ثلاثة أولاد. إنهم الأشخاص الوحيدون الذين نعرف أنهم عاشوا في المنزل، لكن آخرين ربما سكنوا هناك أيضاً، ولا يبدو أنهم كانوا مسجلين في لوائح القاطنين. لهذا، يمكننا الآن أن نفترض أن أحدهم أو شخصاً قريباً لهم مدفون هناك. وكان هناك شخصٌ على علاقة بهم، أو فلنقل السيدة التي تذكرها روبرت، والتي كانت تصعد إلى هناك...».

أنهت إيلنبورغ الجملة عنه: «دائماً، وكانت ملتوية. هل ملتوية تعني أنها كانت مُقعدة؟».

سأل سيغوردور أولي: «ألم يكن سيكتب مقعدة عندها؟».

سألت إيلنبورغ: «ماذا حدث لذلك المنزل؟ ليس هناك ما يشير إليه على التلة».

قال إرلندور لسيغوردور أولي: «ربما ستكتشف لنا ذلك في قبو بنيامين، أو من ابنة شقيقه التي نسيت تماماً أن أسألها عن ذلك».

قال سيغوردور أولي: «كل ما نحتاج إليه هو أسماء السكان. وعندما نحصل عليها سنقارنها بأسماء الأشخاص المفقودين في ذلك الوقت، وسيظهر كل شيء. أليس ذلك واضحاً؟».

قال إرلندور: «ليس بالضرورة».

«لم لا؟».

«أنت تتكلم عن الأشخاص الذين أُبلغ عن اختفائهم فقط».

«ما حالات الاختفاء الأخرى التي يجب أن أتكلم عنها؟».

«حالات الاختفاء التي لم يُبلّغ عنها. لا يمكن أن نثق بأنّ الجميع يخبرون الشرطة حين يختفي شخص من حياتهم. شخص ينتقل إلى الريف ولا يراه أحد مجدداً أبداً، أو شخص يسافر إلى الخارج ولا يعود مرة أخرى، أو شخص يهرب من البلاد وينسى الجميع أمره بمرور السنين، ثم هناك الرحالة الذين يتجمدون حتى الموت. إذا حصلنا على لائحة بأسماء الأشخاص الذين أُبلغ عن اختفائهم وموتهم في المنطقة في الوقت نفسه، يجب أن نتأكّد منها أيضاً».

قال سيغوردور أولي بنبرة سلطوية كانت قد بدأت تثير أعصاب إرلندور: «أظن أننا نتفق جميعاً على أنها ليست من ذلك النوع من القضايا. يستحيل أن يكون هذا الرجل، أو الشخص الموجود هناك، قد تجمد حتى الموت. كان ذلك عملاً متعمداً، ودفنه شخص ما هناك».

قال إرلندور الذي كان موسوعة متنقّلة عن المحن في البراري: «ذلك بالضبط ما أعنيه. لنقل إن شخصاً ما يرغب في الخروج في رحلة، فيغادر مزرعته في منتصف الشتاء والطقس سيئ. الجميع يحاولون ثنيه عن ذلك، لكنه يتجاهل نصيحتهم، مقتنعاً بأنه سينجح في ذلك. أغرب شيء بشأن الناس الذين يتجمدون حتى الموت هو أنهم لا يصغون أبداً إلى النصيحة؛ كأن الموت يغويهم. ويبدو أن مصيرهم محدد سلفاً، لكنهم يرغبون في أن يتحدّوه. على أيّ حال، يفكر هذا الرجل في أنه سينجح، لكن العاصفة تهب، وهي أسوأ كثيراً مما كان يتخيل؛ فيضلّ سبيله ويضيع. وفي النهاية، تغطيه كسفات الثلج، ويتجمّد حتى الموت، ويكون بحلول ذلك الوقت بعيداً أميالاً

عن الدرب المعروف، ولهذا السبب لا يُعثر على الجثة أبداً، ويقال إنه مفقود».

تبادلت إيلنبورغ وسيغوردور أولي النظرات غير واثقين مما يرمي إليه إرلندور.

«ذلك سيناريو أيسلندي نموذجي لاختفاء أشخاص، ويمكننا شرحه وفهمه لأننا نعيش في هذا البلد، ونعرف كيف يسوء الطقس فجأة، وكيف تكرّر قصة ذلك الرجل نفسها بين الفينة والأخرى من دون أن يشكك أحد فيها. هذه أيسلندا، كما يفكر الناس، ويهزّون رؤوسهم. طبعاً، كان ذلك أوسع انتشاراً في سالف الزمان حين كان الجميع تقريباً يسافرون سيراً على الأقدام. وقد جرى تأليف سلاسل كاملة من الكتب عن هذا الموضوع، ولست الوحيد المهتم به. لقد تغيرت أنماط السفر حقًّا في السنوات الستين أو السبعين الأخيرة، والناس يختفون، وبالرغم من أنك لا تستطيع تقبُّلَ ذلك، إلا أنك تفهم مصيرهم، وليست هناك أرضية صلبة للتعامل مع مثل حالات الاختفاء تلك على أنها قضايا جنائية، أو خاصة بالشرطة».

قال سيغوردور أولي: «ماذا تعني؟».

قالت إيلنبورغ: «ما كان الهدف من كل هذه المحاضرة؟».

«ماذا سيحصل إن لم يخرج بعض هؤلاء الرجال والنساء من المزرعة في المقام الأول؟».

سألت إيلنبورغ: «ما الذي ترمي إليه؟».

«ماذا إن قال الناس إن فلاناً قد خرج إلى المستنقعات، أو مزرعة أخرى، أو ليضع شبكة صيد أسماك في البحيرة ولم يسمع أحد عنه شيئاً مجدداً؟ يبحث بعضهم عنه، ولكن لا يُعثر عليه أبداً، ويقال إنه مفقود».

قال سيغوردور أولي مشككاً في نظريات إرلندور: «إذاً، تتآمر الأسرة كلها لقتل هذا الشخص؟».

«لِمَ لا؟».

أضافت إيلنبورغ: «إذاً، يُطعن أو يُضرب أو يُردى بالرصاص، ويُدفن في الحديقة؟».

قال إرلندور: «إلى أن يصل اليوم الذي تتوسع فيه ريكيافيك كثيراً، ولا يعود بإمكانه أن يرقد بسلام أكثر من ذلك».

نظرت إيلنبورغ وسيغوردور أولي إلى بعضهما ثم إلى إرلندور.

قال إرلندور: «كان لدى بنيامين كندسن خطيبة اختفت في ظروف غامضة، في وقت بناء الشاليه تقريباً، وقيل إنها رمت بنفسها في البحر، وإن بنيامين لم يعد كما كان قبل ذلك. يبدو أنه كان يخطط لإحداث ثورة في تجارة التجزئة في ريكيافيك. لكنه انهار حين اختفت الشابة، وتبخر طموحه في مهده».

قال سيغوردور أولي: «إلا أنها لم تختفِ إطلاقاً وفقاً لنظريتك الجديدة؟».

«آه، بلى لقد اختفت».

«لكنه قتلها».

قال إرلندور: «في الواقع، أجد صعوبة في تخيل ذلك. لقد قرأت بعض الرسائل التي كتبها لها، واستنتجت منها أنه ما كان ليمسّ شعرة من رأسها».

قالت إيلنبورغ وهي قارئة نهمة للقصص الغرامية: «إذاً، الغيرة هي السبب. قتلها بسبب الغيرة. يبدو أن حبه لها كان كبيراً. دفنها هناك ولم يعد إلى المكان قطّ. انتهى».

قال إرلندور: «ما أفكر فيه هو الآتي: ألا يبالغ شابٌ قليلاً إذا

لم يتزوج قطّ بعد أن توفيت حبيبته باكراً؟ حتى إذا انتحرت. أظن أن بنيامين أضحى رجلاً مفطور الفؤاد بعد أن فُقدت. لكن، هل هناك ما هو أكثر من ذلك؟».

«هل يعقل أنه احتفظ بخصلة من شعرها؟». أمعنت إيلنبورغ التفكير في الأمر، وظنّ إرلندور أن ذهنها لا يزال معلقاً بالرّوايات الرومنسية، ثم أضافت: «إذا أحبها إلى ذلك الحد».

كرّر سيغوردور أولي: «خصلة شعر؟».

قال إرلندور الذي كان قد استوعب ما تفكر فيه إيلنبورغ: «إنه بطيء في الفهم».

قال سيغوردور أولي: «ماذا تعنين بقولك إنّه ربّما احتفظ بخصلة شعر؟».

«ستحدد خصلة الشعر تلك هويتها إن لم يكن هناك شيء آخر».

نظر سيغوردور أولي إليه: «من؟ هل تتحدث عن الحمض النووي؟».

قالت إيلنبورغ: «إذاً، هناك السيدة على التلة. سيكون اقتفاء أثرها مفيداً».

قال إرلندور لنفسه على ما يبدو، وهو مستغرق في أفكاره: «السيدة الخضراء».

قال سيغوردور أولي: «إرلندور».

«نعم؟».

«من الواضح أنها لا يمكن أن تكون خضراء».

«سيغوردور أولي».

«نعم؟».

«هل تظن أنني معتوه تماماً؟».

رنّ الهاتف الموضوع على طاولة إرلندور، وكان المتصل سكارفيدين عالم الآثار.

قال سكارفيدين: «لقد وصلنا إلى هناك، وسنُخرج الهيكل العظمي بعد يومين أو نحو ذلك».

صاح إرلندور: «بعد يومين!».

«أو نحو ذلك. لم نعثر على شيء بعد يبدو مثل سلاح. ربما تظن أننا ندقق في التفاصيل كثيراً، لكنني أظن أنه من الأفضل أن ننفذ المهمة على نحو مناسب. هل تريد المجيء وإلقاء نظرة؟».

قال إرلندور: «نعم، كنت في طريقي إليكم».

قال سكارفيدين: «ربما يمكنك شراء بعض الفطائر في طريقك». واستطاع إرلندور أن يرى بعين ذهنه أنيابه الصفراء.

«فطائر؟».

قال سكارفيدين: «فطائر دانماركية».

أغلق إرلندور السماعة بعنف، وطلب من إيلنبورغ أن تنضم إليه في غرافارهولت، ومن سيغوردور أولي أن يذهب إلى قبو بنيامين ليحاول العثور على شيء عن الشاليه الذي بناه التاجر، والذي فقد كل اهتمام به بعد أن تحولت حياته إلى بؤس شديد.

تذكر إرلندور في طريقه إلى غرافارهولت، وهو لا يزال يفكر في الأشخاص الذين اختفوا وضاعوا في عواصف ثلجية، قصة جون أوستمان، الذي تجمّد حتى الموت في بلوندوغيل على الأرجح في العام 1780. لقد عُثر على حصانه وعنقه ممزّق. وكل ما وجد من جون كان إحدى يديه.

كانت داخل قفازٍ صوفي أزرق.

* * *

كان والد سيمون الوحشَ في كل كوابيسه.

بقـي الأمـر علـى تلـك الحال وقتاً طويلاً، وكان يخشـى الوحش أكثر من أي شيء آخر في حياته. وعندما كان يهاجم والدته، فإن كل ما كان سيمون يفكّر فيه هو الدفاع عنها. تخيّل المعركة المحتومة مثل قصة مغامرات يتغلب فيها الفارس على التنين الذي ينفث النار، لكن سيمون لم ينتصر قطّ في أحلامه.

كان الوحـش فـي أحـلام سـيمون يدعـى غريمـور، ولم يكن قطّ والده أو بابا وإنما غريمور فحسب.

كان سـيمون مسـتيقظاً حيـن تعقّـب غريمـور أثرهـم إلـى مهجع مصنع الأسماك في سيغلوفيوردور، وسمعه يهمس لوالدتهم قائلاً إنّه سـيأخذ ميكلينا إلى أعلى الجبل ويقتلها، ورأى الرعب الذي سـيطر على والدته، وكيف بدا أنها فقدت فجأة رباطة جأشها، فألقت نفسها بعنف على رأس السرير وفقدت الوعي، مما جعل غريمور يهدأ. رأى كيف أعادها غريمور إلى وعيها بضرب وجهها مراراً وتكراراً، وشـمّ الفتى رائحة غريمور النتنة، ودفن وجهه في الفراش خائفاً جداً؛ إلى درجة أنه تمنى الموت فوراً.

لم يسمع ما همس لها به غريمور بعد ذلك، وإنما سمع نشيجها فقط. كان مكتوماً مثل صوت حيوان جريح، وممتزجاً بلعنات غريمور. وحين فتح عينيه قليلاً رأى ميكلينا تحدّق إلى الظلام برعب لا يمكن وصفه.

كان سيمون قد توقف عن التضرّع، بالرغم من أن والدته قالت إنه يجب ألا يفقد الإيمان أبداً. وبخلاف قناعته، فقد توقف سيمون عن التكلم مع والدته خلال تضرعاته؛ لأنه استطاع أن يميز من تعبير وجهها أن ما يقوله يزعجها، وعرف أن أحداً لن يسـاعدها في التغلب على

غريمـور. كان غريمـور يهاجـم ميكلينـا أحياناً، «تلك المعوقة اللعينة»، كما يدعوها، فيضربها ويسخر منها. وأحياناً كان يضرب سيمون ويركله أو يلطمه، وفعل ذلك مرة بقوة جعلت الفتى يفقد إحدى أسنانه العليا ويبصق دماً.

كان غريمور مخطئاً بشأن إعاقة ميكلينا. وكان سيمون يشعر بأنها أكثر ذكاءً منهم جميعاً، لكنها لم تقل كلمة قطّ. كان واثقاً أنها تستطيع أن تتكلـم لكنهـا لا ترغـب فـي ذلـك، واثقاً أنهـا قد اختارت الصمت بسبب الطريقة التي كانت تخاف فيها من غريمور؛ مثل الآخرين، وربما أكثـر منهـم؛ لأنـه تحـدث أحيانـاً عن ضرورة قيامهم بإلقائها في مكب نفايات مع ذلك الكرسـي المتحرك الغريب الخاص بها، فهي عديمة الفائـدة علـى أيّ حـال، وقـد سـئم من مراقبتهـا وهي تأكل طعامه من دون أن تفعل شـيئاً في المنزل باسـتثناء أن تكون عبئاً ثقيلاً. قال إنها تجعلهم أضحوكة، الأسرة كلها وهو أيضاً؛ لأنها بلهاء.

كان غريمـور يحـرص علـى أن تسـمعه ميكلينـا حين يتكلم على ذلـك النحـو، ويضحـك على محـاولات والدتها الواهنة لحجب تلك الشـتائم عنها. لم تكن ميكلينا تمانع أن يتشـدّق عنها ويشـتمها، لكنها لـم تـرد أن تعانـي والدتهـا مـن أجلها، وعرف سـيمون ذلك حين نظر إليها. كانت علاقة ميكلينا بسيمون وثيقة دائماً، وأكثر وداً من صلتها بالصغير توماس الذي كان منعزلاً طوال الوقت، ويمثل أحجية.

كانت والدتهم تعرف أن ميكلينا ليست معوقة، وتقوم بأداء تمارين منتظمة معها، ولكن فقط عندما لا يكون غريمور هناك ليراها. ساعدتها في تليين ساقيها، ورفع ذراعيها الضعيفتين اللتين كانتا ملتويتين نحو الداخل ومتيبستين، ودهن جانبها المشلول بمرهم كانت تحضّره من أعشـاب برية تحضرها من التلة. كانت تظن أن ميكلينا ستسـير يوماً

مـا، وتضـع ذراعهـا حولهـا، وتترنح في مشـيتها معها ذهاباً وإياباً على أرضية المنزل، وهي تحفّزها وتشجعها.

كانـت تتكلـم دائمـاً مـع ميكلينا مثـل أي طفل آخر عادي موفور الصحـة، وتطلـب مـن سـيمون وتوماس فعل الشـيء نفسـه، وتجعلها تشـارك فـي كل مـا يفعلونـه حيـن يكون غريمور خارج المنزل. كانت الأم والابنـة تفهمـان بعضهمـا، وأخواهـا يفهمانهـا أيضاً، ويفهمان كل حركة وكل تعبير يظهر على وجهها. لم تكن الكلمات ضرورية، حتى إذا كانت ميكلينا تعرفها، إلا أنها لم تستخدمها قطّ، وقد علّمتها والدتها أن تقرأ. والشـيء الوحيد الذي كانت تسـتمتع به أكثر من حملها إلى الخـارج لتسـتلقي تحـت أشـعة الشـمس هـو القـراءة، أو أن يقـرأ لها أحدهم.

بدأت الكلمات تخرج من فمها في أحد الأيّام؛ في الصيف الذي أعقب اندلاع الحرب العالمية وقيام الجيش البريطاني بإنشاء معسكر له على التلة، حين كان سيمون يحملها إلى المنزل بعد استلقائها تحت أشـعة الشـمس. كانت نشـيطة على نحو اسـتثنائي في أثناء النهار، تهز أذنيها وتفتح فمها وتمد لسـانها. كان سـيمون على وشـك أن يضعها علـى الأريكـة فـي المطبـخ لأن الليـل بـدأ يخيم والطقس يبرد، حين أصدرت ميكلينا فجأة صوتاً جعل والدتها تفزع وتُسقط من يدها طبقاً إلى حوض الغسـيل، حيث انكسـر. فاسـتدارت متناسـية الرعب الذي تشعر به عادة بعد ارتكابها عملاً أخرق كهذا، وحدّقت إلى ميكلينا.

كرّرت ميكلينا: «ما-ما».

شهقت الأم: «ميكلينا!».

صرخت ميكلينا وهي تهز رأسها ابتهاجاً بإنجازها: «ما-ما».

مشت والدتهم ببطء نحوها، وكأنها لا تصدّق أذنيها، ثم نظرت

إلى ابنتها وفتحت فمها، وظن سيمون أنه يستطيع رؤية دموع تملأ عينيها.

قالت ميكلينا: «ماما». وأخذتها والدتها من بين ذراعي سيمون، ووضعتها ببطء ورفق على سريرها وهي تربت على رأسها. لم يكن سيمون قد رأى والدتهم تبكي من قبل، بغض النظر عمّا كان غريمور يفعله لها، فهي لم تذرف الدموع قطّ؛ بل كانت ترتعش ألماً، أو تصرخ طلباً للمساعدة، أو تتوسل إليه ليتوقّف، أو تتحمّل ضرباته بصمت، لكن سيمون لم يرها تبكي قطّ من قبل، فوضع ذراعه حولها ظناً منه أنها منزعجة، لكنها طلبت منه أن يطمئن. كان ذلك أفضل شيء يمكن أن يحدث على الإطلاق في حياتها، وعرف أنها لا تبكي بسبب حال ميكلينا فقط، وإنما بسبب إنجازها أيضاً الذي جعلها أكثر سعادة مما كانت قد سمحت لنفسها بأن تشعر به سابقاً.

كان ذلك قبل سنتين، وقد زادت ميكلينا تدريجياً حصيلة مفرداتها، وصار بإمكانها أن تقول جملاً كاملة، فيصبح وجهها بلون الشمندر نتيجة الجهد الذي تبذله. كانت تمد لسانها، وتهز رأسها إلى الأمام والخلف بحركات قوية حتى يُخيّل إليهم أنه سيسقط عن جسدها الذابل. لم يعرف غريمور أن بمقدورها أن تتكلم، ورفضت ميكلينا قول أي شيء في حضوره، وأخفت والدتهم الأمر عنه؛ لأنها لم تحاول قطّ أن تلفت انتباهه إلى الفتاة، ولا حتى في مثل تلك اللحظات البهيجة. تظاهروا أن شيئاً لم يحدث أو يتغير، وسمع سيمون عدّة مرات والدته وهي تذكر بحرص شديد أمام غريمور أن عليهم الحصول على مساعدة من أجل ميكلينا، لأنّها قد تصبح أكثر حركة وقوة بمرور الوقت، ويبدو أن لديها القدرة على التعلم. كانت تقرأ وتتعلم الكتابة بيدها السليمة.

قـال غريمـور: «إنهـا معوقـة. ولا تفكّـري أبـداً فـي أنها أكثر من ذلك. وتوقفي عن الحديث معي بشأنها».

وهكـذا توقفـت عـن ذكرهـا أمامـه؛ لأنها تطيـع كل كلمة يقولها غريمور. ولم تحظَ ميكلينا بأي مسـاعدة على الإطلاق إلا تلك التي حصلت عليها من والدتهم، ومن سيمون وتوماس حين كانا يحملانها إلى الخارج، ويضعانها تحت أشعة الشمس، ثم يلعبان معها.

تفـادى سـيمون والـده قـدر المسـتطاع، لكنـه كان مرغمـاً علـى الخروج معه من وقت إلى آخر. وعندما كبر الفتى أصبح أكثر فائدة لغريمور الذي أخذه معه إلى ريكيافيك، وجعله يحمل مؤناً إلى التلة. كانت الرحلة إلى البلدة تستغرق ساعتين، نزولاً إلى غرافارفوغر، ثم اجتياز الجسر فوق إيليدار، والالتفاف حول مقاطعتي سوند ولوغارنز. وأحياناً، كانا يسـلكان الدرب صعوداً على السـفح إلى هاليتي، وعبر سـوغاميري، فيبقـى سـيمون بعيـداً أربـع خطـوات أو خمسـاً خلـف غريمور، الذي لم يتكلم معه قطّ أو يعيره أدنى اهتمام إلاّ حين يحمّله كل المؤن ويأمره بنقلها إلى المنزل. كانت رحلة العودة تستغرق بين ثلاث سـاعات وأربع، بناءً على الحمولة التي يجب على سـيمون أن ينقلها، ويبقى غريمور أحياناً في البلدة ولا يعود إلى التلة لبضعة أيام.

كان الفرح يسود المنزل حين يحدث ذلك.

في رحلاته إلى ريكيافيك، اكتشـف سـيمون سـمة في غريمور اسـتغرق بعـض الوقـت حتّـى اسـتوعبها، ولـم يفهمهـا تمامـاً قطّ. في المنـزل، كان غريمـور فظـاً وعنيفـاً، والتكلـمُ معه بغيضاً، وكلامه بذيئاً عندما يتحدث إليهم، وكان قاسـياً بالطريقة التي يقلل فيها من شـأن أولاده ووالدتهم، ويجعلهم يلبّون كل رغباته واحتياجاته من دون أي تأخيـر. لكـن، فـي تعاملـه مـع الآخريـن، بدا أن الوحـش يمزق جلده

ويصبح إنساناً تقريباً. وفي أول رحلة قام بها سيمون إلى البلدة، توقع أن يتصـرف غريمـور علـى النحـو الـذي يتصرف بـه دائماً في المنزل، وأن يشتمه أو يكيل له اللكمات. خاف الفتى من حصول ذلك، لكنه لم يحدث قطّ. بل على العكس، أراد غريمور فجأة إسـعاد الجميع، وتحدث بمرح إلى التاجر، وانحنى وثرثر مع أشخاص دخلوا المتجر، وخاطبهـم ملتزمـاً آداب السـلوك، بـل ابتسـم لهـم، وصافحهـم أيضاً. وأحياناً، عندما كان غريمور يلتقي أشخاصاً يعرفهم كان يقهقه؛ ليست تلـك الضحكـة الغريبـة والجافـة والخشـنة التـي كان يطلقها بين الفينة والأخرى حين يشـتم زوجته. وعندما كان بعض الأشـخاص يشـيرون إلـى سـيمون، كان غريمـور يضـع يـده على رأس الفتى ويقول: «نعم، إنـه ابنـي. وقـد أصبـح كبيـراً». وكان سـيمون ينحني فـي البداية وكأنه يتوقع ضربة، فيمزح غريمور بشأن ذلك.

استغرق الأمر من سيمون وقتاً طويلاً ليستوعب تلك الازدواجية المبهمة في شخصيّة غريمور. فتصرفات والده الجديدة لم تكن مفهومة بالنسـبة إليه. فكيف يسـتطيع غريمور أن يكون شـخصاً متوحّشـاً في المنزل، وآخر مختلفاً تماماً في اللحظة التي يغادر فيها بيته؟! لم يدرك سـيمون كيف يسـتطيع أن يكون متملقاً وخانعاً ومهذباً، فيما هو في المنزل بمثابة أداة للتعذيب. عندما ناقش سيمون ذلك مع والدته هزّت رأسها متعبة، وطلبت منه كالعادة أن يحترس من غريمور، وأن يحرص على عدم استفزازه. وسواء أكان سيمون أو توماس أو ميكلينا من يزعج غريمور، أو حدث شيء ما حين كان بعيداً جعله يستشيط غضباً، فقد كان دائماً يضرب والدتهم.

كانت تمرّ شهور أحياناً بين اعتداء وآخر. وفي بعض الأوقات، تمرّ سنة كاملة، لكنها لم تتوقف قطّ. وكانت أحياناً تتكرّر بوتيرة أسرع،

خلال أسابيع. واختلفت شدّة غضبه، فقد كان يوجه لها أحياناً ضربة واحـدة، فـي حيـن يستشـيط غضبـاً أحياناً أخـرى ويلقي والدتهم على الأرض ويركلها من دون رحمة.

لم يكن العنف الذي يتعرّض له أفراد الأسـرة فقط، فقد كانت اللغة التي يسـتخدمها مثل سـوط يضرب الوجه، كالإهانات الجارحة بشأن ميكلينا - تلك البلهاء المعوقة - والتقريع المتهكم الذي يعانيه توماس بسـبب عدم قدرته على التوقف عن التبول في السـرير ليلاً، وحيـن يتصـرف سـيمون كوغد كسـول، وكلما اضطـرت والدتهم إلى سماع إهاناته. وحاولوا سدّ آذانهم.

لم يكن غريمور يكترث إن كان أولاده يشـاهدونه وهو يضرب والدتهم أو يذلها بكلمات تطعنها مثل الخناجر.

لـم يكـن يعيرهـم أي اهتمـام فـي معظم الوقـت. ويتصرف عادة وكأنهم غير موجودين، ويلعب بين الفينة والأخرى الورق مع الصبيين ويسمح لتوماس بأن يفوز. وأحياناً، كانوا يمشون جميعاً أيام الأحد إلى ريكيافيك ويشتري الحلويات للصبيين، ونادراً ما كان يسمح لميكلينا بمرافقتهم. وعندما يحصل ذلك، كان غريمور يرتّب أمر القيام بالرحلة على متن شاحنة الفحم حتى لا يضطروا إلى حملها نزولاً من التلة. في تلك الرحلات - التي كانت قليلة ومتباعدة - شـعر سـيمون أن والده إنسان تقريباً، وأنه أب تقريباً.

في المناسبات النادرة التي كان سيمون يرى فيها والده شخصاً آخـر غيـر طاغيـة، بـدا لـه غامضـاً ومبهماً. وفي إحـدى المرّات، كان غريمـور يجلـس إلـى طاولـة المطبـخ، وهـو يشـرب القهوة، ويشـاهد توماس يلعب على الأرضية، فضرب سطح الطاولة براحة كفه، وطلب من سـيمون الذي كان على وشـك أن ينسـل إلى خارج المطبخ، أن

يحضر له فنجاناً آخر. وقال حين سكب له سيمون القهوة:

«يجعلني التفكير في ذلك أغضب».

توقف سيمون وهو يمسك إبريق القهوة بكلتا يديه، ووقف ساكناً بجانبه.

قال غريمور وهو لا يزال يضرب سطح الطاولة: «يجعلني أغضب».

تراجع سيمون ببطء إلى الخلف، ووضع الإبريق على صفيحة الموقد.

قال غريمور وهو ينظر إلى توماس الذي كان يلعب عند الباب: «يجعلني التفكير في أنني لم أكن أكبر منه كثيراً أستشيط غضباً».

لم يكن سيمون قد تخيل قطّ والده أصغر سناً مما كان عليه، أو مختلفاً. وفجأة، أصبح طفلاً مثل توماس، وظهر له جانب جديد تماماً من شخصية والده.

«أنت وتوماس صديقان، أليس كذلك؟».

أومأ سيمون.

كرّر: «أليس كذلك؟». وقال سيمون: «نعم».

تابع والده ضرب الطاولة.

«كنا صديقين أيضاً».

ثم أطبق الصمت.

قال غريمور أخيراً: «تلك المرأة. لقد أُرسلت إلى هناك، في عمر توماس تقريباً، وأمضيت سنوات».

أطبق الصمت مجدداً.

«وزوجها».

توقف عن حك الطاولة بيده وشدّ قبضته.

«الوغد اللعين. ذلك الوغد اللعين الأحمق».

تراجع سيمون ببطء، ثم بدا أن والده قد استعاد هدوءه.

قال: «لا أفهم ذلك، ولا يمكنني السيطرة عليه».

أنهى قهوته، ثم وقف، وذهب إلى الحمام، وأغلق الباب خلفه. وفي طريقه، حمل توماس عن الأرض وأخذه معه.

أحس سيمون بتغيّر والدته بانقضاء السنين. وعندما كبر وأصبح راشداً اكتسب شعوراً بالمسؤولية. لم يكن ذلك التغيير سريعاً كما حدث حين تحوّل غريمور فجأة وأصبح إنساناً تقريباً، بل على العكس، تغيرت والدته تدريجياً وبهدوء؛ بانقضاء مدة طويلة استغرقت سنوات عديدة، وأدرك المعنى الكامن خلف ذلك. كان يشعر على نحو متزايد بأن هذا التغيير الذي يطرأ عليها خطر، وأنه ليس أقل خطورة من غريمور نفسه، وأنها ستكون مسؤوليته من دون شك أن يتدخل قبل فوات الأوان. كانت ميكلينا في غاية الضعف، وتوماس صغيراً جداً، ولا أحد غيره يستطيع مساعدتها.

عانى سيمون مشكلة في فهم ذلك التغيير أو معناه، لكنه أصبح أكثر إدراكاً له بحلول الوقت الذي صرخت فيه ميكلينا أولى كلماتها؛ فقد كان تقدمها يسعد والدتها كثيراً. بدا للحظة أن كل همومها قد زالت، فابتسمت وعانقت الفتاة والصبيين، وفي الأسابيع والشهور التالية ساعدت ميكلينا في تعلّم الكلام، مبتهجة بأدنى تقدم لها.

لكن، لم يمض وقت طويل قبل أن تعود والدتهم إلى روتينها القديم؛ وكأن الهم الذي زال عنها قد عاد بقوة أكبر من ذي قبل. أحياناً كانت تجلس على طرف السرير، وهي تحدق ساعات إلى الخواء، بعد أن تنظف كل ذرّة غبار في المنزل الصغير. كانت

تحملق ببؤس صامت، وبعينين نصف مغمضتين، وتعبير حزين جداً يبدو على وجهها، وهي تشعر بأنها وحيدة في العالم. مرةً، بعد أن لكمها غريمور على وجهها وخرج من المنزل، وجدها سيمون تحمل سكينَ تقطيعِ اللحم وراحةُ كفها إلى الأعلى، وتمرّر النصل ببطء على معصمها، لكنها عندما لاحظته ابتسمت ابتسامة باهتة، وأعادت السكين إلى الدرج.

سأل سيمون: «ماذا تفعلين بتلك السكين؟».

«أتأكّد من أنها حادة. يجب أن تكون السكاكين حادة دائماً».

قال سيمون: «إنه مختلف تماماً في البلدة، وليس شريراً هناك».

«أعرف».

«إنه سعيد هناك، ويبتسم».

«نعم».

«لماذا لا يكون على تلك الحال في المنزل؟ معنا؟».

«لا أعرف. لا يشعر بأنه على ما يرام».

«أتمنى لو كان مختلفاً. أتمنى أن يموت».

نظرت أمّه إليه.

«لا تقل شيئاً كهذا. لا تتكلم مثله. يجب ألاّ تفكر على ذلك النحو. لست مثله، ولن تكون كذلك أبداً؛ أنت أو توماس. أبداً. هل تسمع؟ أمنعك من التفكير هكذا. يجب أن تمتنع عن ذلك».

نظر سيمون إلى والدته.

قال: «أخبريني عن والد ميكلينا». كان سيمون قد سمعها أحياناً تتكلم عنه مع ميكلينا، وحاول أن يتخيل كيف سيبدو عالمها لو أنه لم يمت ويتركها خلفه. وتخيل نفسه ابن ذلك الرجل، في أسرة لا يكون فيها الوالد وحشاً، وإنما صديقاً ورفيقاً يحب أبناءه.

قالت والدته بنبرة اتهام في صوتها: «لقد مات، وانتهى الأمر».

قال سيمون: «لكنه كان مختلفاً، وأنت ستكونين مختلفة لو كان حيًّا».

«لو أنه لم يمت؟ لو أن ميكلينا لم تمرض؟ لو أنني لم ألتقِ والدك؟ ما الفائدة من التفكير في هذا؟».

«لماذا هو شرير جداً؟».

سألها ذلك السّؤال مراراً، فكانت تجيبه أحياناً، في حين لا تقول شيئاً في أحيان أخرى. وكأنها هي نفسها قد بحثت عن جواب لذلك السؤال طوال سنوات من دون أن تعثر عليه. وحين لم تكن تجيبه، كانت تكتفي بالتّحديق خلفه، وهي تشعر بأنها وحيدة في العالم؛ وكأنّه ليس هناك شيء مهم تقوله أو تفعله.

«لا أعرف، وكل ما أعرفه هو أن اللوم لا يقع علينا، وذلك ليس خطأنا، وإنما هو شيء داخله. ألقيت باللوم على نفسي في البداية، وحاولت أن أكتشف ما أفعله على نحو خاطئ ويجعله يغضب، وحاولت تغييره، لكنني لم أعرف قطّ ماهيته، ولم يُحدث أي شيء فعلته فرقاً. توقفت عن لوم نفسي قبل وقت طويل، ولا أريد أن تفكر أنت أو توماس أو ميكلينا في أن طريقة تصرفه تلك نتيجة خطأ ارتكبتموه؛ حتى حين يشتمكم ويسيء معاملتكم. هذا ليس خطأكم».

نظرت إلى سيمون.

«يصبُّ القوة القليلة التي يمتلكها علينا، ولا ينوي التوقف عن ذلك. لن يتوقف عن ذلك أبداً».

نظر سيمون إلى الدرج الذي توجد فيه سكاكين تقطيع اللحم.

«هل يوجد شيء يمكننا فعله؟».

«لا».

«ماذا كنت ستفعلين بالسكين؟».

«أخبرتك أنني كنت أتأكّد من حدّتها؛ لأنه يجب أن تكون السكاكين حادّة».

سامح سيمون والدته على كذبها؛ لأنه عرف أنها تحاول - كالمعتاد - أن تحميه وتحفظه، وأن تتأكّد من ألاّ تؤثر حياتهم الرهيبة كأسرة فيه بطريقة سلبية.

عندما عاد غريمور إلى المنزل في ذلك المساء، أسودَ متسخاً بسبب العمل في الفحم، كان مزاجه جيداً على نحو استثنائي، وبدأ يتكلم مع والدتهم عن شيء سمعه في ريكيافيك. جلس على كرسي مطبخ، وطلب منها أن تجلب له بعض القهوة، وقال إن اسمها ذُكر في العمل، وبالرغم من أنه لم يكن يعرف السبب، إلا أن العاملين في الفحم كانوا يتكلمون عنها ويدّعون أنها واحدة منهن؛ إحدى الفتيات اللواتي ولدن في مصنع الغاز.

ظلّت مديرة ظهرها إلى غريمور، ولم تنبس بكلمة. كان سيمون يجلس إلى الطاولة، وتوماس وميكلينا في الخارج.

«في مصنع الغاز؟».

أطلق غريمور ضحكة أشبه بقرقرة بشعة. وكان يسعل أحياناً بلغماً أسود من غبار الفحم، ويظهر لون أسود حول عينيه وفمه وأذنيه.

صرخ: «في شعائر معمل الغاز اللعين!».

قالت برقّة: «ذلك ليس صحيحاً». وتفاجأ سيمون لأنه قلّما كان يسمعها تجادل في أي شيء يقوله غريمور، وحدّق إلى والدته فسرت قشعريرة في جسده.

«لقد أقاموا علاقات، وأسرفوا في تناول الشراب لأنهم ظنّوا أن نهاية العالم قريبة، وهكذا ولدتِ أنت أيتها الحثالة».

قالت بحزمٍ أكبر من ذي قبل، ولكن دون أن ترفع بصرها عمّا كانت تفعله في المغسلة: «إنها كذبة». كانت لا تزال تدير ظهرها إلى غريمور، ورأسها منحنٍ فوق صدرها، وكتفاها الصغيرتان مقوّستان إلى الأعلى، وكأنها تريد الاختباء بينهما.

كان غريمور قد توقف عن الضحك.

«هل تنعتينني بالكاذب؟».

قالت: «لا، لكن ذلك ليس صحيحاً. إنه سوء فهم».

نهض غريمور على قدميه، وقلّد صوتها ساخراً: «إنّه سوء فهم».

«أعرف متى بني مصنع الغاز، وقد ولدت قبل ذلك».

«ذلك ليس ما سمعته. سمعت أن والدتك كانت غانية، وأنّ والدك كان متشرداً، ورمياك في سلة النفايات حين ولدت».

كان الدرج مفتوحاً، وحدّقت إليه، ورأى سيمون أنها تحملق إلى سكين التقطيع الكبيرة. نظرت إلى سيمون ثم إلى السكين مجدداً، وظن للمرة الأولى أنها تستطيع استخدامها.

12

كان سكارفيدين قد رتّب أمر نصب خيمة بيضاء كبيرة فوق موقع الحفر. وعندما دخلها إرلندور وابتعد عن أشعة شمس الربيع رأى التقدم البطيء على نحو لا يصدّق الذي حققوه. كانوا قد حدّدوا منطقة تبلغ مساحتها عشرة أمتار مربعة بجانب الأساسات، وكان الهيكل العظمي مدفوناً في إحدى زواياها، والذراع لا تزال بارزة نحو الأعلى كما كانت سابقاً. وكان هناك رجلان يجثمان بجانبها وهما يحملان فرشاتين وملعقتين في أيديهما، ويرفعان التراب ويضعانه في أوعية.

سأل إرلندور حين جاء سكارفيدين للترحيب به: «أليس القيام بالأمر بهذه الطريقة مجهداً جداً؟ لن تنتهي من الأمر إطلاقاً إن تابعت العمل بهذه الطريقة».

قال سكارفيدين متكلفاً كما هي حاله دائماً، وفخوراً لأنّ أساليبه تؤتي أُكلها: «يجب أن تتوخى الحرص الشديد في عملية الحفر». وأضاف: «وأنت من بين كل الناس يجب أن تدرك ذلك».

«ألا تستخدمون هذا التدريب الميداني؟».

«التدريب الميداني؟».

«العلماء الآثار؟ أليس هذا هو الصف الذي تعلّمونه في الجامعة؟».

«اسمع يا إرلندور، نحن نعمل بطريقة منهجية، ولا توجد طريقة أخرى للقيام بذلك، صدّقني».

قال إرلندور: «نعم، ربما لا حاجة إلى السرعة».

قال سكارفيدين وهو يمرر لسانه فوق أنيابه: «سنصل إلى هناك في النهاية».

قال إرلندور: «أخبروني أن مختص علم الأمراض في إسبانيا، ولا يُتوقع أن يعود قبل بضعة أيام، لهذا لدينا متسع من الوقت كما أفترض».

سألت إيلنبورغ: «من قد يكون مدفوناً هناك؟».

قال سكارفيدين: «لا يمكننا معرفة إن كان ذكراً أم أنثى، شاباً أم عجوزاً. وربما ليست مهمتنا أن نفعل ذلك، لكنني لا أظن أن هناك أدنى شك في أنها كانت جريمة».

سأل إرلندور: «هل يعقل أنها امرأة شابة حامل؟».

قال سكارفيدين: «سنعرف ذلك قريباً».

قال إرلندور: «قريباً؟ ليس إن مضينا قدماً بهذا المعدّل».

قال سكارفيدين: «الصبر فضيلة، تذكَّر ذلك».

كان إرلندور سيخبره أين يضع فضيلته لو لم تقاطعه إيلنبورغ.

قالت فجأة: «لا يشترط أن تكون الجريمة مرتبطة بهذا المكان». كانت قد وافقت على معظم ما قاله سيغوردور أولي قبل يوم، حين بدأ ينتقد إرلندور لانشغاله الشديد بإحساسه الأول بشأن العظام: إن الشخص المدفون هناك قد عاش على التلة، وفي أحد الشاليهات أيضاً. وبرأي سيغوردور أولي؛ من الغباء التركيز على منزل كان قائماً هناك وأشخاص عاشوا أو لم يعيشوا فيه. كان إرلندور في المستشفى حين أدلى سيغوردور أولي بدلوه، وقرّرت إيلنبورغ أن تسمع آراء إرلندور في ما يتعلق بذلك.

قالت: «ربما يكون قد قُتل غربي البلدة مثلاً، ونُقل إلى هنا. لا

يمكننا أن نكون واثقين أن الجريمة قد اقتُرفت حقًّا على التلة. كنت أناقش هذا الأمر مع سيغوردور أولي أمس».

بحث إرلندور عميقاً في جيوب معطفه حتى وجد ولاعته وعلبة لفائف التبغ، ورمقه سكارفيدين بنظرة ازدراء.

زمجر: «لا تدخّن داخل الخيمة».

قال إرلندور لإيلنبورغ: «لنخرج من هنا. لا نريد أن نجعل الفضيلة تفقد صبرها».

غادرا الخيمة، وأشعل إرلندور لفافة تبغ.

قال: «أنت محقة طبعاً. ليس مؤكداً أبداً أن الجريمة - إذا كانت هناك جريمة - قد اقتُرفت هنا. ووفقاً لما أراه»، تابع وهو ينفخ سحابة من الدخان: «لدينا ثلاث نظريات مقبولة على حدّ سواء. أولاً، إنها خطيبة بنيامين كندسن التي حملت، ثم اختفت، وظنّ الجميع أنها قد رمت بنفسها في البحر. ولسبب ما، ربما تكون الغيرة كما تقولين، هي التي دفعته إلى قتل الفتاة، وإخفاء جثتها هنا بجانب شاليهه، ولم يعد الرجل نفسه قطّ بعد ذلك. ثانياً، قُتل شخص في ريكيافيك، أو حتى في كيفلافيك، أو أكرانز في ما يخص هذه القضية، في أي مكان حول المدينة، ثمّ نُقل إلى هنا، ودُفن ونُسي. ثالثاً، هناك احتمال بأنّ أشخاصاً عاشوا على التلة اقترفوا جريمة، ودفنوا الجثة عند عتبة بابهم لأنه لم يكن لديهم مكان آخر يذهبون إليه. ربما كان رحّالة، أو زائراً، وربما أحد البريطانيين الذين جاءوا إلى هنا في الحرب، وبنوا الثكنة على الطرف الآخر من التلة، أو أحد الأمريكيين الذين استلموا الموقع منهم، أو ربما أحد أفراد الأسرة».

ألقى إرلندور عقب لفافة التبغ بجانب قدميه، وداس عليه.

«شخصياً، أنا أفضّل النظرية الأخيرة ولا أعرف السبب. ستكون

النظرية بشأن خطيبة بنيامين الأسهل، إذا استطعنا ربط حمضها النووي بالهيكل العظمي. وستكون الثالثة الأقسى؛ لأننا نتكلم عن شخص اختفى، ولم يبلّغ عنه قطّ، في منطقة كبيرة مأهولة بالسكان قبل مدة طويلة جداً. الخيار مفتوح».

قالت إيلنبورغ: «إذا عثرنا على رفاة جنين مع الهيكل العظمي، ألن نكون قد حصلنا على الجواب تقريباً؟».

قال إرلندور: «سيكون ذلك حلاً مناسباً جدًّا كما قلت. هل كان الحمل موثّقاً؟».

«ماذا تعني؟».

«هل نحن متأكدون من ذلك حقًّا؟».

«هل تقول إن بنيامين ربما كان يكذب؟ وأنّها لم تكن حاملاً؟».

«لا أعرف. ربما كانت حاملاً، ولكن، ليس منه بالضرورة».

«خانته؟».

«يمكن أن نخمّن قدر ما نشاء قبل أن يقدّم لنا مختصو علم الآثار أولئك شيئاً».

تنهّدت إيلنبورغ متسائلة عن العظام في التراب: «ما الذي قد يكون حدث لذلك الشخص؟».

قال إرلندور: «ربما استحق ذلك».

«ماذا؟».

«ذلك الشخص. لنأمل ذلك على أيّ حال. لنأمل ألا يكون ضحية بريئة».

تحولت أفكاره إلى إيفا ليند. هل كانت تستحق الاستلقاء في العناية الفائقة، أقرب إلى الحياة من الموت؟ هل كان ذلك خطأه؟ هل يمكن إلقاء اللوم على أحد سواها؟ ألم تكن الحالة التي أصبحت عليها

من صنع يديها؟ ألم يكن إدمانها على الممنوعات شأنها الخاص؟ أم كان لـه دور فـي ذلـك؟ كانـت مقتنعـة أن له يداً في ذلك، وقد أخبرته ذلك حين شعرت بأنه غير منصف بحقها.

صرخـت مـرة فـي وجهـه: «مـا كان يجـب أن تهجرنـا مطلقاً. لا بـأس، أنـت تنظـر إلـي بـازدراء، لكنك لسـت أفضل مني. أنت فاشـل بالقدر نفسه!».

قال: «لا أنظر إليك بازدراء». لكنها لم تصغِ إليه.

صرخـت: «أنـت تنظـر إلي بـازدراء وكأنني نفايات؛ وكأنك أكثر أهميـة منـي، أو أذكـى أو أفضـل. وكأنـك أفضـل منـي ومن أمي ومن سيندري! تركتنا وراءك، ثم تجاهلتنا؛ وكأنك... كأنك صاحب سلطة ونفوذ».

«حاولت...».

«لـم تحـاول شـيئاً! مـاذا حاولت؟ لا شـيء. اللعنـة. هربت مثل لص».

قـال: «لـم أنظـر إليكـم بـازدراء قـطّ. هذا خطـأ، ولا أفهم لماذا تقولين هذا الكلام».

«أوه، بلى، أنت تفهم، ولهذا السبب غادرت؛ لأنك عادي جداً، عادي لعين لم تستطع أن تتحمّلنا. اسأل أمي! إنها تعرف، وتقول إنه خطؤك. كل شيء كان خطأك، بما فيه الحالة التي وصلت إليها أيضاً. ما ردّك على ذلك يا صاحب السلطة والنفوذ؟».

«ليس كل ما تقوله والدتك صحيحاً. إنها غاضبة وتشعر بالمرارة و...».

«غاضبـة وتشـعر بالمـرارة! لـو أنـك تعرف فقـط كم هي غاضبة وتشـعر بالمـرارة وتكرهـك أنـت وولديـك؛ لأنّ تـركك لهـا لـم يكن

خطأها. كان ذلك خطأنا، أنا وسيندري. ألا تفهم ذلك، أيها الأبله اللعين. ألا تفهم ذلك أيها الأبله اللعين...».

«إرلندور؟».

«ماذا؟».

«هل أنت بخير؟».

«أنا بخير. على أحسن ما يرام».

«سأعرّج على ابنة روبرت». لوّحت إيلنبورغ بيدها أمام وجهه وكأنه نعسان. «هل ستذهب إلى السفارة البريطانية؟».

«ماذا؟». عاد إرلندور إلى كامل وعيه، وقال شارداً: «نعم، لنفعل ذلك بتلك الطريقة. لنفعله بتلك الطريقة. وهناك شيء آخر يا إيلنبورغ؟».

«ماذا؟».

«اجعلي طبيب المقاطعة يعود إلى هنا ويلقي نظرة على العظام بعد إخراجها. لا يعرف سكارفيدين قفاه من مرفقه، وهو يذكرني على نحو متزايد بوحش من الأخوين غريم».

13

قبل أن يذهب إرلندور إلى السفارة البريطانية، قاد سيارته إلى مقاطعة فوغار، وركنها على بعد مسافة قصيرة من شقة القبو التي كانت إيفا ليند قد عاشت فيها سابقاً؛ حيث بدأ البحث عنها. عادت أفكاره إلى الطفلة التي وجدها في الشقة، والتي تحمل آثار إطفاء لفائف تبغ على جسدها. كان يعرف أنها أُخذت بعيداً عن والدتها، وتتلقى رعاية جيدة، وأن الرجل الذي كانت تعيش معه هو والدها. كشف تحقيق سريع أن الأم كانت قد ذهبت مرتين إلى قسم الحوادث والطوارئ في السنة الماضية؛ مرة نتيجة كسر في الذراع، وفي المرة الأخرى كانت مصابة بجروح متعددة ادّعت أنها نجمت عن حادث مروري.

أظهر تحقيق بسيط آخر أن شريك المرأة لديه سجل جنائي؛ لكن ليس بسبب العنف، وأنه ينتظر صدور حكم بحقّه بتهمة السرقة وتهريب الممنوعات، وأنّه دخل السجن مرة نتيجة ارتكاب جُنَح بسيطة، منها محاولة سرقة متجر لم يكتب لها النجاح.

جلس إرلندور في سيارته لبعض الوقت وهو يراقب باب الشقة. أحجم عن التدخين، وكان على وشك أن يبتعد حين فُتح الباب. خرج رجل، يحجبه دخان لفافة تبغ رماها في الحديقة الأمامية. كان متوسط الطول، وقوي البنية. شعره أسود طويل، ويرتدي ملابس سوداء من أعلى رأسه إلى أخمص قدميه. مظهره يطابق الوصف في تقارير الشرطة.

عندما اختفى الرجل خلف الزاوية، قاد إرلندور سيارته مبتعداً ببطء.

عند الباب، رحّبت ابنة روبرت بإيلنبورغ التي كانت قد اتصلت بها سابقاً. كانت المرأة التي تُدعى هاربا محتجزة في كرسي متحرك. قدماهـا مشـلولتان وتفتقـران إلـى الحياة، لكـن جذعها وذراعيها قوية. دُهشت إيلنبورغ نوعاً ما لكنها لم تقل شيئاً، وابتسمت هاربا ودعتها إلى الداخل، وتركت الباب مفتوحاً، فدخلت إيلنبورغ وأغلقته خلفها. كانت الشقة صغيرة لكنّها مريحة، ومشيّدة لمالكتها خاصة.

قالت إيلنبورغ وهي تتبع هاربا إلى حجرة الجلوس: «آسفة بشأن والدك».

قالت المرأة الجالسـة على الكرسـي المتحرك: «شـكراً لك. كان طاعناً في السن، وآمل ألا أعيش تلك المدة الطويلة. لا شيء أكرهه أكثر من أن ينتهي بي الأمر كمريضة في مصحّ ما وأنا أنتظر الموت، وأذوب شيئاً فشيئاً».

قالـت إيلنبـورغ: «نجـري تحقيقـاً عن أشـخاص ربما يكونون قد عاشوا في شاليه في غرافارهولت، على الطرف الشمالي، ليس بعيداً جداً عن الشاليه الخاص بكم، في زمن الحرب أو نحو ذلك. تكلمنا مع والدك قبل وقت قصير من وفاته، وأخبرنا أنه يعرف شيئاً عن الأسرة التي عاشت هناك، ولكنّه لسوء الحظ لم يستطع إخبارنا المزيد».

فكّرت إيلنبورغ في القناع على وجه روبرت، وأنفاسه المجهدة، ويديه الشاحبتين.

قالت هاربا وهي تدفع إلى الخلف الشعر الذي كان قد نزل فوق جبينها: «ذكرت العثور على بعض العظام، تلك التي تتناقلها الأخبار».

«نعم، عثرنا على هيكل عظمي هناك، ونحن نحاول اكتشاف من قد يكون. هل تتذكرين الأسرة التي تكلم والدك عنها؟».

قالت هاربا: «كنت في السـابعة من العمر حين وصلت الحرب

إلى أيسلندا. أتذكر الجنود في ريكيافيك. عشنا في وسط البلدة، لكن لـم أعـرف مـا كان يجـري آنـذاك. كانوا علـى التلة أيضاً، على الطرف الجنوبي. بنوا ثكنات ومستودعاً فيه شق طويل تبرز منه فوهة مدفع. كان كل شيء مثيراً، وطلب منّا والدانا أن نبتعد عنه؛ أعني أنا وشقيقي. أتذكر على نحو مبهم السياج حوله، المشيّد من أسلاك شائكة. لم نذهب في ذلك الاتجاه كثيراً، وأمضينا وقتاً طويلاً في الشاليه الذي بناه والدي، في الصيف على الأغلب. لذا، عرفنا الجيران قليلاً».

«قال والدك إن ثلاثة أولاد كانوا في ذلك المنزل، وربما كانوا في مثل عمرك». ألقت إيلنبورغ نظرة نحو الأسفل؛ إلى كرسي هاربا المتحرك، ثم تابعت قائلة: «ربما لم تكوني تخرجين من المنزل».

قالت هاربا وهي تطقطق مفاصلها: «أوه، بالتأكيد كنت أفعل. حصل هذا لاحقًا، نتيجة حادث سيارة، حين كان عمري 30 سنة. لا أتذكر أي أولاد على التلة، ولكنني أتذكّر أولاداً في شاليهات أخرى، لكن ليس هناك في الأعلى».

«تنمو بعض أجمات التوت البري قرب موقع المنزل القديم؛ حيث وجدنا العظام. ذكر والدك سيدة كانت تذهب إلى هناك، لاحقًا كما أظن. ذهبت إلى هناك كثيراً... أظن أنه قال ذلك على أيّ حال... ترتدي على الأرجح ملابس خضراء، وهي ملتوية».

«ملتوية؟».

«ذلك ما قاله، أو ربّما يجب أن أقول كتبه».

أخرجت إيلنبورغ الملاحظة التي كان روبرت قد كتبها وأعطتها إيّاها.

تابعت إيلنبورغ: «حدث ذلك على ما يبدو حين كان لا يزال يملك الشاليه. أفهم أنكم بعتموه في وقت ما بعد العام 1970».

قالت هاربا: «عام 1972».

«هل لاحظت تلك السيدة؟».

«لا. لم أسمع أبي يتكلم عنها مطلقاً. آسفة لأنني لا أستطيع مساعدتك، لكنني لم أرَ قطّ تلك السيدة، ولا أعرف شيئاً عنها، بالرغم من أنني أتذكر أشخاصاً كانوا يعيشون في المكان الذي تشيرين إليه».

«هل يمكن أن تتخيلي ما كان والدك يعنيه بهذه الكلمة؟ ملتوية؟».

«ما تعنيه؟ كان يقول دائماً ما يعنيه، ولا شيء أكثر. كان رجلاً دقيقاً جداً، وصالحاً، وطيباً معي بعد الحادث الذي تعرضت له، وحين هجرني زوجي، بقي معي ثلاث سنوات بعد الحادث، ثم اختفى».

ظنّت إيلنبورغ أنها لاحظت ابتسامة. لكن، لم تكن هناك ابتسامة على وجهها.

رحّب المسؤول من السفارة البريطانية بإرلندور بلطف ولباقة بالغين جعلا إرلندور يكاد يشكره بانحناءة، وقال الرجل إنه أمين سر. كان يرتدي بذلة أنيقة، وينتعل حذاءً جلدياً أسود. كان طويلاً ونحيلاً على نحو غير معتاد، ويتكلم اللغة الأيسلندية الفصحى مما أسعد إرلندور كثيراً. فهو يتحدث الإنكليزية على نحو سيئ ولا يفهم إلا القليل منها. تنهد ارتياحاً حين أدرك أنه إذا كان أحدهما يريد أن يمنح انطباعاً متكلفاً في أثناء حديثهما، فسيكون أمين السر.

كان المكتب أنيقاً مثل أمين السر نفسه، وفكّر إرلندور في مكان عمله الذي يبدو دائماً وكأنّ قنبلة قد أصابته. طلب منه أمين السر - الذي قال: «ادعني جيم فحسب» - أن يجلس.

قال جيم: «أحب الطريقة التي تتعاملون بها على نحو غير رسمي هنا في أيسلندا».

سـأل إرلندور وهو غير واثق تماماً لماذا يتصرف كسـيدة عجوز في حفل شاي: «هل عشت هنا وقتاً طويلاً؟».

أومأ جيم: «نعم، منذ نحو 20 سنة. شكراً لسؤالك. وبالمصادفة، فـإن الحـرب العالميـة الثانيـة تثيـر اهتماماً خاصاً لـديّ، أعني الحرب العالمية الثانية في أيسلندا. حصلت على ماجستير في هذا الموضوع من كلية الاقتصاد في لندن. عندما اتصلت بشأن تلك الثكنات ظننت أن بمقدوري مساعدتك».

«أنت تجيد اللغة الأيسلنديّة».

«شكراً لك، زوجتي أيسلندية».

سأل إرلندور وهو يدخل صلب الموضوع: «إذاً، ماذا عن تلك الثكنات؟».

«حسناً، لم يكن لدي متسع من الوقت، لكنني وجدت حقًّا بعض تقارير السـفارة عن المعسـكر الذي بنيناه في أثناء الحرب. قد نحتاج إلـى طلـب مزيـد مـن المعلومـات، لكن تقدير ذلك يعود إليك. كانت هناك بضع ثكنات في ما يعرف الآن بملعب غولف غرافارهولت».

رفع جيم بعض الأوراق عن الطاولة وتصفّحها.

«كان هنـاك أيضـاً - مـاذا تدعونـه؟ - تحصيـن، أو ملجـأ؟ برج، ومدفع ضخم، وفصيلة من الكتيبة الإسكتلندية الثانية عشرة تعمل على المدفع، لكنني لم أكتشف بعد من كان في الثكنات التي تبدو لي مثل مخازن. لست واثقاً من سبب وجودها على التلة. لكن، كانت هناك ثكنات وملاجئ في كل مكان هناك؛ على الطريق إلى موسفلسدالور، في كولافيوردور وهفالفيوردور».

«نتساءل عن شخص مفقود من التلة، كما أخبرتك عبر الهاتف. هل تعرف إن كان أحد الجنود هناك قد فُقد أو اختفى».

«هل تظن أن الهيكل العظمي الذي وجدتموه ربما يكون لجندي بريطاني؟».

«قد لا يكون ذلك مرجحاً، لكننا نظن أن الجثة قد دُفنت في أثناء الحرب. وإذا كان البريطانيون في المنطقة، فستكون فكرة جيدة أن نتمكن من تنحيتهم جانباً على الأقل».

«سأتأكّد من ذلك من أجلك. لكنني لا أعرف الوقت الذي يحتفظون فيه بمثل تلك السجلات. أظن أن الأمريكيين سيطروا على المعسكر مثل كل شيء آخر حين غادرنا في العام 1941. أُرسلت معظم قواتنا إلى دول أخرى، لكن ليس كلها».

«إذاً، أدار الأمريكيون ذلك المعسكر؟».

«سأتأكّد من ذلك أيضاً. يمكن أن أتكلم مع السفارة الأمريكية بشأن ذلك، وأرى ما لديهم، وسيوفر ذلك عليك العناء».

«كانت لديكم شرطة عسكرية هنا».

«بالضبط، وقد يكون ذلك أفضل مكان أبدأ منه. سيستغرق الأمر بضعة أيام، وربما أسابيع».

قال إرلندور، وهو يفكر في سكارفيدين: «لدينا متسع من الوقت».

شعر سيغوردور أولي بملل كبير بعد البحث في مقتنيات بنيامين وقتاً طويلاً. كانت إلزا قد رحّبت به عند الباب الأمامي، وقادته إلى القبو في الأسفل، وتركته هناك. وقد أمضى أربع ساعات في تفتيش الخزائن، والأدراج، وعدد كبير جداً من الصناديق، من دون أن يعرف

ما يبحث عنه بالضبط. كانت بيرغثورا تشغل تفكيره، وتساءل إن كانت ستظهر الإثارة نفسها التي كانت قد أبدتها في الأسابيع القليلة الماضية حين يعود إلى المنزل، وعقد العزم على أن يسألها مباشرة إن كان هناك أي سبب معين لرغبتها المفاجئة تجاهه، وإن كان ذلك مرتبطاً برغبتها في إنجاب طفل. لكن ذلك السؤال - كما يعرف - سيعني طرح قضية أخرى كانا قد ناقشاها أحياناً من دون الوصول إلى أي نتيجة: ألم يحن الوقت للزواج؛ بكل المراسم والإجراءات المعتادة؟

كان ذلك هو السؤال الذي يتقد على شفتيها بين القبلات المحمومة التي تُمطره بها. كان لا يزال عليه أن يحزم أمره بشأن تلك المسألة؛ ولهذا تفادى الجواب دائماً. كانت حياتهما معاً تسير على ما يرام، وحبهما يزدهر، فلماذا يفسدان ذلك بالزواج؟ كل تلك الفوضى، وحفلة عزوبية، والمشي في الممر، وكل أولئك الضيوف، وأشياء لا توصف. لم تكن بيرغثورا تريد أيًّا من هراء الاحتفال المدني، وتكلمت عن ألعاب نارية وذكريات جميلة تبقيها دافئة في شيخوختها. كانت المشكلة شائكة، وقد أُنيط به حلها، لكن لم تكن لديه أي فكرة عمّا يريده، بغض النظر عن رفضه الزواجَ الكنسي، وعدم رغبته في إيذاء مشاعر بيرغثورا أيضاً.

مثل إرلندور، عندما قرأ سيغوردور أولي الرسائل شعر بحب بنيامين الكبير لخطيبته، وشغفه بالشابة التي كانت قد اختفت من شوارع ريكيافيك يوماً ما وقيل إنها قد رمت بنفسها في البحر. عزيزتي، حبيبتي، أنا أشتاق إليك.

كل ذلك الحب، كما فكّر سيغوردور أولي.

هل كان بمقدوره أن يقتل؟

تصفح عدداً كبيراً من الأوراق التي تخص متجر كندسن، وكان

سيغوردور أولي قد تخلّى عن كل أمل في أن يعثر على شيء مفيد حين سحب ملاحظة من خزانة ملفات قديمة وقرأ:

هوسكولدور ثورارينسون

دفع إيجار منزل غرافارهولت سلفاً.

8 كرونات.

موقّعة بنيامين كندسن.

كان إرلندور يغادر السفارة حين رنّ جواله.

قال سيغوردور أولي: «وجدت مستأجراً، على ما أظن».

قال إرلندور: «لأي شيء؟».

«للشاليه. أنا في طريقي إلى خارج قبو بنيامين. لم أر قطّ مثل تلك الفوضى اللعينة في حياتي. وجدت ملاحظة تشير إلى أن هوسكولدور ثورارينسون دفع إيجار منزل غرافارهولت».

«هوسكولدور؟».

«نعم، هوسكولدور».

«ما تاريخ الملاحظة؟».

«لا يوجد تاريخ، أو سنة. في الواقع، إنها مجرد فاتورة من متجر كندسن، وإيصال الإيجار مكتوب على ظهرها. ووجدت أيضاً فواتير لما قد يكون مواد بناء للشاليه، وكلها موجهة إلى المتجر ويعود تاريخها إلى العام 1938. ربما يكون قد بدأ ببناء الشاليه في ذلك الوقت، أو كان يعمل على ذلك».

«ما السنة التي قلنا إن خطيبته قد اختفت فيها؟».

«انتظر لحظة، لقد كتبت ذلك». انتظر إرلندور حين كان سيغوردور أولي يتأكد من الأمر، فهو يسجل ملاحظات في أثناء اللقاءات؛ وهي عادة لم يستطع إرلندور أن يكتسبها قطّ. استطاع سماع سيغوردور

أولي وهو يقلّب أوراقه قبل أن يعود إلى الهاتف.

«اختفت في العام 1940، في الربيع».

«إذاً، كان بنيامين يبني الشاليه في ذلك الوقت، ثم توقف وأجّره عوضاً عن ذلك».

«وهوسكولدور أحد المستأجرين».

«هل اكتشفت شيئاً آخر بشأن شخصية هوسكولدور هذا؟».

«لا، ليس بعد». وسأل سيغوردرو أولي وهو يأمل بالهروب من القبو: «ألا يجب أن نبدأ معه؟».

قال إرلندور: «سأتولّى ذلك». وأضاف: «انظر إذا كنت تستطيع العثور على أي شيء إضافي بشأنه أو بشأن أي شخص آخر بين كلّ تلك الفوضى. إذا كانت هناك ملاحظة واحدة، فقد يكون هناك المزيد منها». وشعر سيغوردور أولي بالانزعاج.

14

جلس إرلندور بجانب سرير إيفا ليند لبعض الوقت بعد مغادرته السفارة، وقلّب في ذهنه ما يريد الحديث عنه. لكن، لم تكن لديه أي فكرة عمّا يقوله لها، بالرغم من أنه قام بعدّة محاولات من دون جدوى. ومنذ أن ذكر الطبيب أنه سيكون مفيداً أن يتحدث إليها، كان قد تساءل مراراً عمّا يقوله، ولكنه لم يصل إلى أي نتيجة.

بدأ بالحديث عن الطقس، ولكنه سرعان ما توقف عن ذلك، ثم وصف سيغوردور أولي وأخبرها كم كان يبدو متعباً في الآونة الأخيرة، لكن لم يكن هناك شيء آخر يقوله عنه. حاول إيجاد شيء يقوله عن إيلنبورغ، لكنه تخلّى عن تلك الفكرة أيضاً، ثم أخبرها عن خطيبة بنيامين كندسن التي يُفترض أنها قد أغرقت نفسها، وعن رسائل الغرام التي عثر عليها في قبو التاجر.

أخبر إيفا ليند أنه قد رأى والدتها تجلس بجانب سريرها، ثم أطبق الصمت عليه.

كانت إيفا ليند قد سألته مرة في أثناء زيارتها له: «ما خطبك أنت وأمي؟ لماذا لا تتكلمان مع بعضكما؟».

كان سيندري سنير قد جاء معها، لكنه لم يمكث طويلاً، وتركهما معاً حين حلّ الظلام. حدث ذلك في كانون الثاني، وكانت أغاني الميلاد تصدح من المذياع الذي أوقفه إرلندور عن العمل، لكن إيفا ليند أعادت تشغيله قائلة إنها تريد الاستماع إليها. كانت حاملاً منذ عدة شهور، وتتعافى من إدمانها في ذلك الوقت، وبدأت تتحدث كما

هي عادتها حين تجلس معه عن الأسرة التي لم تحظ بها قطّ. لم يتكلم سيندري سنير عن ذلك قطّ، ولا عن والدته أو شقيقته أو كل ما حدث، وقد التزم الصمت، وبدا انطوائياً حين تكلم إرلندور معه. لم يكن يهتمّ بوالده، مما مثّل فرقاً بين ابنته وأخيها. أرادت إيفا ليند أن تعرف والدها، ولم تمتنع عن تحميله مسؤولية ما جرى.

قال إرلندور: «والدتك؟ ألا يمكننا إيقاف ضوضاء الميلاد تلك؟».

كان يحاول كسب الوقت، فسؤال إيفا عن الماضي يضعه في ورطة دائماً. لم يكن يعرف الأجوبة بشأن زواجهما قصير الأجل، والولدين اللذين أنجباهما، ولماذا كان قد هجرهم. لم تكن لديه أجوبة عن كل استفساراتها؛ مما كان يثير غضبها أحياناً. فقد كان صبرها ينفد بسرعة في ما يتعلق بأسرتها.

قالت إيفا ليند: «لا، أريد سماع أغاني الميلاد». وبقي بينغ كروسبي يحلم بميلاد أبيض. «لم أسمعها قطّ تقول شيئاً جيداً عنك من قبل. لكن، لا بد من أنها قد رأت شيئاً فيك آنذاك؛ في البداية حين التقيتما. ماذا كان؟».

«هل سألتها؟».

«نعم».

«وماذا قالت؟».

«لا شيء. وهذا يعني أنها كانت ستقول شيئاً إيجابياً عنك لكنها لم تستطع فعل ذلك. لم تتحمل فكرة أن يكون هناك شيء جيد فيك. ما كان السبب؟ لماذا وصلت الأمور بينكما إلى ذلك الحد؟».

قال إرلندور وهو يعني ذلك: «لا أعرف». حاول أن يكون صادقاً. «التقينا في حفل رقص. لا أدري. لم يكن الأمر مخططاً له، إنما حدث فحسب».

«ماذا كان يجول في ذهنك؟».

لم يجب إرلندور، وفكّر في الأولاد الذين لم يعرفوا آباءهم قطّ، أو يكتشفوا من هم حقًّا، ثم يدخل هؤلاء حياتهم حين يقطعون نصف دربهم في الحياة تقريباً، ولا تكون لديهم أدنى فكرة عنهم. يعرفونهم كوالد ووالدة وسلطة وحماية فقط، ولا يكتشفون أبداً أسرارهم المشتركة والمنفصلة، مما يجعل الوالدين غريبين بالنسبة إلى الأولاد مثل أي شخص آخر التقاه الأولاد في حياتهم. أمعن التفكير في الطريقة التي يبعد فيها الوالدان أولادهم عنهما حتى لا يبقى بينهم إلا السلوك المهذب المكتسب، والإخلاص المزيف الذي ينبع من تجربة مشتركة، وليس من حب حقيقي.

«ماذا كان يجول في ذهنك؟». فتحت أسئلة إيفا ليند جروحاً باستمرار.

قال إرلندور محافظاً على مسافة بينه وبينها، كما كان قد فعل دائماً: «لا أعرف». شعرت بذلك، وربما تصرفت بتلك الطريقة؛ لترى رد الفعل ذلك، وتحصل على تأكيد إضافي آخر، وتدرك كم هو بعيد عنها وكم هي بعيدة عن فهمه.

«لا بد من أنك قد رأيت شيئاً فيها».

كيف يمكن أن تفهم في حين أنه هو نفسه لم يفهم أحياناً؟

كرّر: «التقينا في حفل رقص. لم أكن أتوقع أي مستقبل في العلاقة بيننا».

«وبعدها غادرت فحسب».

قال إرلندور: «لم أغادر فحسب. لم يكن الأمر هكذا. لكن في النهاية غادرت وانتهى كل شيء. لم نفعل... لا أعرف. ربما ليست هناك طريقة مناسبة، وإذا كانت موجودة، فإننا لم نجدها».

قالت إيفا ليند: «لكن الأمر لم ينته».

قال إرلندور: «لا». أصغى إلى بينغ كروسبي عبر المذياع، وشاهد عبر النافذة كسفات الثلج الكبيرة وهي تهبط إلى الأرض. نظر إلى ابنته، ورأى الأقراط المثبّتة في حاجبيها، والزر المعدني في أنفها، وحذاءها العسكري الذي رفعته على الطاولة الصغيرة، والأوساخ تحت أظفارها، والبطن العاري الظاهر أسفل قميصها الأسود، والذي كان قد بدأ ينتفخ آنذاك.

قالت: «إنّه لا ينتهي أبداً».

كان هوسكولدور ثورارينسون يعيش في شقة في قبو منزل ابنته الأنيق والمستقل في أربير، ويمنح انطباعاً بأنّه سعيد بمصيره. كان رجلاً ضئيل الجسم ورشيقاً. شعره أبيض، ولحيته فضية حول فمه الصغير، ويرتدي قميص عمل مقلّماً، وسروالاً مخملياً بنيّاً فاتحاً. عرفت إيلنبورغ مكانه، فلم يكن هناك أشخاص كثر في السجل الوطني يُدعون هوسكولدور وتجاوزوا سن التقاعد. اتصلت بمعظمهم؛ الذين كانوا يعيشون في أيسلندا، وأخبرها هوسكولدور ذاك من أربير أنه قد استأجر المنزل من بنيامين كندسن، الرجل المسكين العجوز العزيز، وتذكر ذلك بوضوح بالرغم من أنه لم يمض وقتاً طويلاً في الشاليه على التلة.

جلس إرلندور وإيلنبورغ في غرفة معيشته، وكان قد حضّر قهوة، وتكلموا عن أشياء عديدة، وأخبرهم أنه ولد وترعرع في ريكيافيك، ثم بدأ يتذمر بشأن قيام هؤلاء المحافظين اللعينين بالتضييق على المتقاعدين وكأنهم حفنة من العاطلين عن العمل الذين لا يعيلون أنفسهم، فقرّر إرلندور أن يوقف سيل أحاديث الرجل العجوز.

«لماذا انتقلت إلى التلة؟ ألم تكن مكاناً ريفياً بالنسبة إلى شخص من ريكيافيك؟».

قال هوسكولدور وهو يسكب القهوة في فنجانيهما: «بالتأكيد كانت كذلك. لكن، لم يكن هناك بديل، ليس لي. لم يكن بمقدور أحد العثور على منزل في أي مكان من ريكيافيك في ذلك الوقت، وتكدّس الناس في غرف صغيرة في أثناء الحرب. جاء كل الفلاحين فجأة إلى المدينة، وكسبوا نقوداً بدلاً من تحصيل أجورهم على شكل وعاء مليء باللبن، أو قارورة شراب، وناموا في خيم إذا اضطروا إلى ذلك. حلّقت أسعار المساكن عالياً فانتقلت إلى التلة. ما تلك العظام التي عثرتم عليها هناك؟».

سألت إيلنبورغ: «متى انتقلت إلى التلة؟».

«لا بد من أن ذلك قد حدث في سنة 1943 كما أظن، أو سنة 1944. أظن أن الوقت كان خريفاً، في منتصف السنة».

«كم عشت هناك؟».

«بقيت هناك نحو سنة، حتى الخريف التالي».

«هل عشت وحدك؟».

«مع زوجتي، العزيزة إلي العجوز. لقد توفيت».

«متى توفيت؟».

«قبل ثلاث سنوات. هل تظنين أنني دفنتها في أعلى التلة؟ هل أبدو من ذلك النوع يا عزيزتي؟».

قالت إيلنبورغ من دون أن ترد على ملاحظته: «لا يمكننا العثور على سجلات أي شخص عاش في ذلك المنزل. لم نجد سجلاّت لك أو لغيرك. لم تسجّل أنك سكنت هناك».

«لا أتذكر كيف كان الأمر، فنحن لم نسجل عنوان سكننا قطّ. كنا

«لا، لم نزرعها. كانت هناك حين انتقلنا إلى المكان».

سأل إرلندور: «هل يمكن أن تتخيل لمن تعود العظام التي وجدناها مدفونة هناك؟».

«هل أنت هنا لهذا السبب حقّاً؟ لتكتشف إن كنت قد قتلت شخصاً؟».

قال إرلندور: «نظن أن جثة إنسان قد دُفنت هناك في وقت ما في أثناء الحرب أو نحو ذلك، لكنك لست موضع شبهة في جريمة، على الإطلاق. هل تكلمت مرة مع بنيامين بشأن الأشخاص الذين عاشوا في الشاليه قبلكما؟».

قال هوسكولدور: «فعلت ذلك بمحض المصادفة مرة حين كنت أدفع الإيجار، ومدحت المستأجرين السابقين بسبب نظافة البيت، لكنه لم يبدُ مهتماً بذلك. كان رجلاً غامضاً. فقد زوجته، التي رمت بنفسها في البحر، كما سمعت».

«خطيبته فهما لم يكونا متزوجين. هل تتذكر الجنود البريطانيين الذين عسكروا على التلة؟ أو الأمريكيين بالأحرى، في وقت لاحق من الحرب؟».

«كان المكان يعج بالبريطانيين بعد الاحتلال في العام 1940. لقد شيّدوا ثكنات على الطرف الآخر من التلة، وكان لديهم مدفع للدفاع عن ريكيافيك ضد أي هجوم. لقد ظننت أن تلك دعابة، لكن إلي طلبت مني ألاّ أسخر من ذلك، ثم غادر البريطانيون وجاء الأمريكيون مكانهم. كانوا يعسكرون على التلة حين انتقلت إلى هناك، وقد غادر البريطانيون قبل سنوات».

«هل عرفت أحداً منهم؟».

«بالكاد، فقد كانوا منغلقين على أنفسهم. لم تكن رائحتهم كريهة

على هوسكولدور، الذي عرف أنه حظي بانتباه المحقق الكامل آنذاك.

قال هوسكولدور: «كان أمراً مثيراً جدًّا للاهتمام، كن واثقاً من ذلك».

لم تكن الشرطة لتترك ذلك المكان خالية الوفاض من دون أن تحصل على شيء من هوسكولدور، الذي ارتشف قهوته مجدداً، مستغرقاً الوقت الذي يحتاج إليه.

فكّرت إيلنبورغ: يا للهول! ألن يدخل الرجل العجوز صلب الموضوع؟ كانت قد اكتفت من الأشخاص المسنين الذين يموتون بين يديها أو يتكلمون بتكلّف.

«ظن بنيامين أن زوجها يضربها».

كرّر إرلندور: «يضربها؟».

«ماذا يدعونه هذه الأيام؟ أهو عنف منزلي؟».

قال إرلندور: «كان يضرب زوجته؟».

«ذلك ما قاله بنيامين. كان أحد أولئك الأشخاص الذين يضربون زوجاتهم وأولادهم أيضاً. لم أرفع إصبعاً على إلي قطّ».

«هل أخبرك عن أسمائهم؟».

«لا. وإذا فعل ذلك فقد نسيتها منذ وقت طويل. لكنه أخبرني شيئاً آخر لا زلت أفكّر فيه بين الحين والآخر. قال إن والدتها، أي أم زوجة الرجل، حملت بها في مصنع الغاز القديم في رودارارستيغور، بجانب هلمور. على الأقل هذا ما قيل، تماماً كما قيل إن بنيامين قد قتل زوجته، أعني خطيبته».

«بنيامين؟ مصنع الغاز؟ ما الذي تتكلم عنه؟». كان إرلندور قد فقد صبره تماماً. «هل قال الناس إن بنيامين قد قتل خطيبته؟».

«ظن بعضهم ذلك في ذلك الوقت. وهذا ما قاله بنفسه».

15

كانت إيلنبورغ قد عرفت مكان شـقيقة خطيبة بنيامين في وقت باكر ذلك اليوم. وعندما تركت وإرلندور هوسكولدور أخبرته أنها تريد التحـدث إليهـا، فأومـأ إرلنـدور قائلاً إنه سـيذهب إلى المكتبة الوطنية ليحـاول العثـور علـى مقـالات صحفية عـن مذنّب هالي. ومثل معظم الأشـخاص الذين يعرفون كل شـيء، تبين أن هوسـكولدور لم يكن يعـرف الكثيـر عمّـا حـدث حقًّـا. كان قد أفاض في الأحاديث حتى لم يعد إرلندور يطيق الاستماع إليه، فاستأذن بالانصراف بجفاء.

سـألها إرلنـدور حيـن عـادا إلـى السـيارة: «مـا رأيـك بمـا قالـه هوسكولدور؟».

قالـت إيلنبـورغ: «حادثـة مصنـع الغاز غير معقولة. سـيكون أمراً مثيـراً للاهتمـام رؤيـة مـا تسـتطيع العثور عليه بشـأنها. لكن بالطبع ما قاله عن الأقاويل صحيح تماماً؛ فنحن نشعر بسعادة بالغة لدى سرد قصص عن أشخاص آخرين. لكن الإشاعات لا تفيدنا في شيء، ولا توضّح إن كان بنيامين هو القاتل فعلاً، وأنت تعرف ذلك».

«نعم. لكن، ما تلك العبارة مجدداً؟ لا دخان من دون نار؟».

تمتمت إيلنبورغ: «إنّها مجرّد عبارات. سأسأل شقيقتها. أخبرني شيئاً آخر، كيف حال إيفا ليند؟».

«إنها ترقد في السرير، وتبدو مستغرقة في نوم عميق. طلب مني الطبيب أن أتحدث إليها».

«تتحدث إليها؟».

التجزئـة تحققـت فعـلاً قبـل سـنوات، بالرغم من أنه لم يعش ليسـتفد منها. كان لطيفاً مع الناس العاديين، ولم تكن خادماته ينادينه سيدي. لقد توقف الناس عن ذلك الآن، ولـم تعد هناك كياسة، أو خادمات».

مسـحت بـارا غبـاراً مفترضـاً عـن الطاولـة الصغيـرة. لاحظـت إيلنبـورغ بعـض اللوحـات الضخمـة فـي نهاية الغرفة؛ صـوراً منفصلة لبـارا وزوجهـا الـذي كان يبـدو كئيبـاً جداً ومرهقاً، وشـارداً، في حين بدت تكشـيرة متملّقة على وجه بارا الصارم. ولم يسـع إيلنبورغ إلا أن تفكر في أنها قد خرجت منتصرة من هذا الزواج، وأشفقت على الرجل في اللوحة.

قالت بارا: «لكن، إذا كنت تظنين أنه قتل شـقيقتي، فسـتكونين مخطئة تماماً. تلك العظام التي قلت إنها وُجدت بجانب الشاليه ليست لها».

«لـماذا أنت واثقة جداً من ذلك؟».

«أعـرف ذلـك فحسـب. مـا كان بنياميـن ليـؤذي ذبابـة قطّ، ذلك الجبان الكريه. كان حالماً كما قلت، واتضح ذلك حين اختفت، فقد انهار الرجل، وتوقف عن الاهتمام بعمله، وأحجم عن الاشتراك في نشاطات اجتماعية، وتخلى عن كل شيء، ولم يتغلب على ذلك قطّ. أعادت إليه والدتي رسائل الحب التي بعثها إلى شقيقتي، وقالت بعد أن قرأت بعضها إنها جميلة».

«هل كنت وشقيقتك مقرّبتين؟».

«لا، لا يمكنني قول ذلك، فقد كنت أصغر منها كثيراً. لم تكن تبـدو راشـدة فـي ذكرياتـي الأولـى عنها، وكثيراً مـا قالت والدتي إنها كانت مثل والدنا؛ فهي غريبة الأطوار وحسّاسة، ومكتئبة. قضى والدي نحبه بالطريقة نفسها».

قالـت إيلنبـورغ: «عرفـت أن النـاس قالـوا إنها رمت بنفسـها في البحر».

«نعم، اهتم الناس كثيراً بتلك القصة. بحثوا عنها في كل أرجاء ريكيافيك، وشـارك عشـرات الأشـخاص في عملية البحث، لكنهم لم يجدوا شيئاً؛ ولو شعرة. نقلت والدتي الخبر إلي، وقالت إن شقيقتي قد غادرت المكان في ذلك الصباح، وإنها قد ذهبت للتسوق وزارت أماكن قليلة؛ لأنه لم تكن هناك متاجر كثيرة في تلك الأيام، لكنها لم تشـترِ شـيئاً. التقت بنيامين في متجره، وخرجت من هناك، ولم يرها أحد قطّ مجدداً. أخبر الشـرطة، وأخبرنا، أنهما تشـاجرا، ولهذا ألقى باللوم على نفسه بشأن ما حدث ولم يتقبّل الأمر على الإطلاق».

«إذاً، لماذا الحديث عن البحر؟».

«ظن بعض الناس أنهم قد رأوا امرأة تتجه نحو الشـاطئ حيث تقع تريغفاغاتا اليوم. كانت ترتدي معطفاً مثل شـقيقتي، وتبدو بمثل طولها. هذا كل شيء».

«ما الذي تشاجرا بشأنه؟».

«مسـألة تافهة لها علاقة بحفل الزفاف؛ الاسـتعدادات. أو على الأقل هذا ما قاله بنيامين».

«ألا تظنين أنه كان شيئاً آخر؟».

«ليست لدي أي فكرة».

«ألا تظنيـن أنّـه مـن المحتمـل أن يكـون الهيـكل العظمـي الذي وجدناه على التلة عائداً لها؟».

«هـذا مسـتحيل، لا. ليـس لـدي أسـاس لذلـك الادعـاء بالطبع، ولا يمكنني إثباته، لكنني أجد الأمر مسـتبعداً. لا يمكنني ببسـاطة أن أتخيله».

قالت إيلنبورغ بارتباك: «لا. لديّ سؤال واحد فقط ثم سأغادر».
قالت بارا بنفاد صبر: «حسناً، ما هو؟».
«قلت إن شقيقتك كانت ترتدي معطفاً في اليوم الذي اختفت فيه».
«إذاً؟».
«ما نوع المعطف؟».
«ما نوعه؟ إنّه معطف عادي أعطتها والدتي إيّاه».
«أعني ما لونه؟ هل تعرفين؟».
«لماذا تسألين؟».
قالت إيلنبورغ وهي لا تريد أن تخوض في الشرح: «أشعر بالفضول».
«لا أتذكر».
قالت إيلنبورغ: «لا، بالطبع لا. أفهم ذلك. شكراً لك، وآسفة على إزعاجك».
«لكن والدتي قالت إنه كان أخضر اللّون».

* * *

تغيرت أشياء كثيرة على مرّ تلك السنوات الغريبة.

كان توماس قد توقف عن التبوّل في سريره وإثارة غضب والده. وبدأ غريمور يظهر اهتماماً أكبر بالفتى الأصغر بطريقة لم يفهمها سيمون الذي ظنّ أن غريمور ربّما يكون قد تغير بعد وصول الجنود، أو ربما كان توماس يتغير.

لم تتكلم والدة سيمون قطّ عن مصنع الغاز الذي كان غريمور قد أزعجها كثيراً بشأنه، إلى أن سئم في نهاية المطاف. اعتاد وصفها بالساقطة الصغيرة، ودعوتها برأس الغاز، والحديث عن خزان الغاز

مسنين كخادمة منزلية. وعندما أصبحت في سن البلوغ ذهبت للعمل لمصلحة التاجر. كانت تلك حياتها كلها قبل أن تلتقي غريمور، وكثيراً ما اشتاقت إلى أن يكون لديها والدان أو مكان تدعوه بيتاً، وأسرة مع أبناء أعمام وعمّات، وعمات وأعمام، وأجداد وإخوة؛ وقد مرّت بين الطفولة والرشد بمرحلة من التساؤل عمّن تكون ومن هما والداها. ولم تعرف أين تبحث عن الأجوبة.

تخيّلت أنهما قد توفيا في حادث، وكان في ذلك مواساة لها؛ لأنها لم تتحمّل فكرة أنهما قد هجرا ابنتهما. تخيّلت أنهما قد أنقذا حياتها وتوفيا في أثناء ذلك، وأنهما ضحيا بحياتيهما من أجلها. كانت تراهما دائماً في الضوء كبطلين يكافحان من أجل حياتيهما وحياتها. لم يكن بمقدورها أن تتخيل أن والديها حيّان، فذاك شيء لم يكن عقلها يتقبّله.

عندما التقت الصياد، والد ميكلينا، طلبت منه مساعدتها في البحث عن جواب، واتصلا بعدد من المكاتب من دون أن يعرفا شيئاً عنها، باستثناء أنها يتيمة، وأنّ اسمي والديها غير مذكورين في قيدها في السجل الوطني، وشهادة ميلادها مفقودة. اتصلت والصياد بالأسرة التي عاشت لديها مع كل الأولاد الآخرين، وتكلما مع المرأة التي كانت والدتها بالتنشئة منذ وقت طويل. لكن، لم تكن لديها أجوبة أيضاً. قالت: «دفعوا لنا المال لكي نربّيك ونهتمّ بك. وكنا بحاجة إلى المال». لكنها لم تستفسر قطّ عن خلفية الفتاة.

كانت قد تخلّت منذ وقت طويل عن التساؤل عن والديها، إلى أن جاء غريمور إلى المنزل وهو يدّعي أنه قد اكتشف من هما وكيف جاءت إلى العالم. ورأت سعادة خبيثة على وجهه حين تكلم عن الحفل الصاخب في معمل الغاز.

إلـى أعلـى التلـة، ويضعانهـا علـى الطحالب، ويجعلانهـا ترى ما كان الجنـود ينبونـه، ويدلانهـا علـى الفوهة التي تبرز من المسـتودع. كانت ميكلينا تجلس صامتة، وتنظر إلى كل ما حولها، وتستغرق في التأمل. وكان سيمون يشعر بأنّها تخاف مما تراه: الجنود والمدفع الضخم.

كان كل الجنـود يرتـدون بـذلات كاكيـة اللـون ويضعون أحزمة، وينتعلـون أحذيـة سـوداء ثقيلـة ترتفـع حتـى تصـل إلـى ربلة السـاق. وكان بعضهـم يعتمـرون خـوذات، ويحملـون بندقيّـات أو مسدّسـات يضعونهـا فـي أقربتهـم. وفـي الطقس الدافئ، كانوا يخلعون سـتراتهم وقمصانهم ويستلقون عراة الصدر تحت أشعة الشمس. كانت تجري أحيانـاً تدريبـات عسـكرية علـى التلـة، حيـث يتمـدد الجنـود متوارين عن الأنظار، أو يخرجون من أماكن اختبائهم، ويرمون أنفسـهم على الأرض، ويطلقون النار من أسـلحتهم. كانت الضوضاء والموسـيقى تخرجان من المعسـكر في الليل؛ إذ يشـغّل الجنود أحياناً آلة تصدح بموسيقى قوية وغناء سيئ، وفي أحيان أخرى ينشدون في الليل أناشيد مـن بلدهـم الأم الـذي كان سـيمون يعـرف أنّـه يدعـى بريطانيا، وقال غريمور إنها إمبراطورية.

أخبرا والدتهما بكل ما كان يجري على الطرف الآخر من التلة، لكنهـا لـم تعـر الأمـر اهتماماً كبيـراً. أخذاها مرة معهما إلى قمة التلة، فنظرت وقتاً طويلاً إلى المعسكر البريطاني، ثم تكلمت حين عادت إلى المنـزل عـن الإزعـاج والخطر الموجودين هناك، ومنعت الصبيين من الذهاب إلى حيث يوجد الجنود؛ لأنهما لا يعرفان أبداً ما قد يحدث مع رجال يحملون أسلحة. ولم ترد أن يتعرض أي منهما للأذى.

مـرّ الوقـت، وامتـلأ المعسـكر يومـاً بالأمريكييـن، وغـادر كل البريطانيين تقريباً. قال غريمور إنهم أُرسلوا بعيداً ليلقوا حتفهم، لكن

الإطـلاق، فتحهـا وسـمح لهـم جميعـاً بأن يتذوقوا مـا فيها، وأخبرهم أن الأمريكييـن يمضغونهـا طـوال الوقـت، مثـل أبقـار تجتر عشـباً. لم يكن ابتلاعها مسموحاً، ويجب بصقها بعد مضي بعض الوقت خارج الفم، وأخذ واحدة جديدة. مضغ سيمون وتوماس - حتى ميكلينا التي كانت تُمنح قطعة وردية زكية الرائحة لتمضغها - كل قطعة استطاعوا الحصول عليها وبصقوها ثم أخذوا غيرها.

قال غريمور: «إنها لبان».

سـرعان مـا تعلـم غريمـور أن يتواصـل مـع الجنـود بالإنكليزية، وأن يصادقهـم. كان يدعوهـم أحيانـاً خـارج أوقـات خدمتهـم إلـى منزلـه، وعندهـا تضطـر ميكلينـا إلـى أن تحبس نفسـها في غرفة المؤن الصغيرة، ويمشـط الصبيان شـعرهما، وترتدي والدتهم فسـتاناً، وتظهر على نحو لائق أمامهم. كان الجنود يتصرفون بتهذيب: إذ كانوا يحيّيون الأسرة مصافحة، ويعرّفون عن أنفسهم، ثمّ يقدمون الحلوى للولدين، وبعد ذلك يجلسـون ويشـربون، ثم يغادرون في سـيارتهم الجيب إلى ريكيافيك فيطبق الصمت مجدداً على كل شـيء في الشـاليه الذي لا يزوره أحد أبداً بخلاف ذلك.

كان الجنـود يذهبـون عـادة إلى ريكيافيك مباشـرة، ويعودون في الليـل وهـم يغنـون، وتتـردد أصـداء صرخاتهم وصياحهـم فوق التلة. وتعالـت مـرة أو مرتيـن أصـوات إطـلاق نار من البنـادق، ولكن ليس من المدفع؛ لأن ذلك سيعني كما قال غريمور، «أن النازيين اللعينين موجـودون فـي ريكيافيـك وسـيقتلوننا جميعاً فـي ثوانٍ». كان غريمور يذهـب غالبـاً لتمضيـة الليـل فـي البلدة مع الجنـود، ويعود وهو يغني أغاني أمريكية. لم يكن سيمون قد سمع غريمور يغني قطّ قبل ذلك الصيف.

مشـرّدين، وقد أبدى آخرون اسـتعدادهم ليدفعوا أكثر منا، ثم سـمعت عن شـاليه بنيامين وتكلمت معه. كان مسـتأجروه قد انتقلوا منه للتو آنذاك، وقد أشفق علي».

«هل تعرف من كان مستأجروه الذين كانوا قبلك؟».

«لا، لكنني أتذكر أن المكان كان نظيفاً حين انتقلنا إليه». أنهى هوسكولدور فنجان قهوته، ثم ملأه مجدداً وتناول رشفة. «كان نظيفاً ومرتّباً».

«ماذا تعني بقولك إنّه نظيف ومرتّب؟».

«حسـناً، أتذكـر أن إلـي علّقـت علـى ذلك خاصـة، وأحبته. كان كل شـيء نظيفـاً ولامعـاً ولا يمكـن رؤيـة ذرة غبـار؛ وكأننا انتقلنا إلى فندق. لا يعني ذلك أننا لم نكن مرتّبين، لكن ذلك المكان كان أنيقاً على نحو استثنائي. من الواضح أن سيدة المنزل كانت تجيد عملها، كما قالت إلي».

سـأل إرلنـدور الـذي التـزم الصمت حتى ذلـك الوقت: «إذاً، لم ترَ قطّ أيّ علامات تشير إلى عنف أو شيء من هذا القبيل؟ بقع دم على الجدران مثلاً».

نظرت إيلنبورغ إليه. هل كان يزعج الرجل العجوز؟

«دم؟ على الجدران؟ لا، لم يكن هناك دم».

«كل شيء مرتّب إذاً؟».

«كان كل شيء على ما يرام، بالتأكيد».

«هل رأيت أي أجمة بجانب المنزل حين كنت هناك؟».

«كانـت هنـاك بضـع أجمات توت بـري، نعم. أتذكرها بوضوح؛ لأنها كانت مليئة بالثمار في ذلك الخريف، وصنعنا منها مربّى التوت».

«ألم تزرعها أنت أو زوجتك إلي؟».

مثل البريطانيين، كما قالت إلي، فهم أكثر نظافة وذكاءً وترتيباً. كانوا أكثر أناقة منهم، كما في الأفلام: كلارك كيبل أو كاري غرانت».

كان كاري غرانت بريطانياً كما ظن إرلندور، لكنه لم يزعج نفسه بتصحيح المعلومة للرجل، ولاحظ أن إيلنبورغ تجاهلت ذلك أيضاً.

تابع هوسكولدور كلامه: «بنوا ثكنات أفضل أيضاً، وكانت أحسن كثيراً من ثكنات البريطانيين. فرش الأمريكيون الأرضيات بالإسمنت، ولم يستخدموا ألواحاً خشبية متعفنة كما فعل البريطانيون، فأضحت الثكنات أماكن أفضل كثيراً للعيش فيها. لقد أصبح كل ما مسّه الأمريكيون أفضل وأكثر أناقة».

سأل إرلندور: «هل تعرف من استأجر الشاليه حين انتقلت مع إلي منه؟».

«نعم، أريناهم المكان. كان يعمل في مزرعة في غوفونز، ولديه زوجة وولدان وكلب. إنهم أشخاص رائعون، لكنني لا أتذكر بتاتاً أسماءهم».

«هل تعرف شيئاً عن الأشخاص الذين عاشوا هناك قبلكما، الذين تركوا المكان في أبهى حلّة؟».

«أعرف ما أخبرني إياه بنيامين فقط حين بدأت أتكلم عن حالة الترتيب والنظافة التي وجدنا المنزل عليها، وأن معاييرنا أنا وإلي قد ارتفعت إلى ذلك المستوى».

أصغى إرلندور السمع وشدّت إيلنبورغ قامتها على كرسيها، لكن هوسكولدور لم يقل شيئاً.

قال إرلندور: «نعم؟».

«ما قاله؟ كان عن الزوجة». صمت هوسكولدور مجدداً وارتشف قهوته. انتظر إرلندور بنفاد صبر أن ينهي قصته، ولم يكن تشوّقه خافياً

«ظنّوا أنه قتلها؟».

«الناس ظنوا أنه قد فعل لها شيئاً. لم يقل إنه قتلها، ولم يخبرني قطّ ذلك. لم أعرفه جيداً، لكنه كان واثقاً من أن الناس يشتبهون فيه، وأتذكر بعض الكلام عن الغيرة».

«أقاويل؟».

«كلها أقاويل بالطبع، فنحن نعيش عليها، ونحيا على قول أشياء بشعة عن أشخاص آخرين».

«انتظر لحظة، ما الذي جرى في مصنع الغاز؟».

«تلك أفضل إشاعة على الإطلاق. ألم تسمع بها؟ ظن الناس أن نهاية العالم وشيكة؛ لهذا أقاموا حفلة صاخبة طوال الليل في مصنع الغاز. ولد عدّة أطفال بعد ذلك، وكانت تلك المرأة واحدة منهن، أو هذا ما ظنه بنيامين».

نظر إرلندور إلى إيلنبورغ، ثم إلى هوسكولدور.

«هل تمازحني؟».

هزّ سوكولدور رأسه.

«كان ذلك بسبب المذنّب الذي ظنّ الناس أنه سيصطدم بالأرض».

«أي مذنّب؟».

«مذنّب هالي بالطبع!». كاد الرجل الذي يعرف كل شيء أن يصرخ غاضباً من جهل إرلندور. «مذنّب هالي! ظنّ الناس أن الأرض ستصطدم به وتفنى!».

«يظن أنه بمقدورها أن تسمع الأصوات في غيبوبتها، وأن ذلك مفيد لها».

«إذاً، ما الذي تكلمت معها بشأنه؟».

قال إرلندور: «ليس الكثير. فليست لدي فكرة عمّا يجب أن أقوله».

كانت شقيقة خطيبة بنيامين قد سمعت الإشاعات، لكنها أنكرت بشكل قاطع أن تكون أي منها حقيقية. كان اسمها بارا، وكانت أصغر كثيراً من شقيقتها التي اختفت، وتعيش في منزل مستقل كبير في غرافارفوغر، ومتزوجة من تاجر جملة ثري وترفل في رغد العيش، الذي يظهر واضحاً من خلال الأثاث الفاخر، والجواهر غالية الثمن التي تضعها، وترفّعها عن المحققة التي كانت تجلس آنذاك في غرفة معيشتها. ظنّت إيلنبورغ، التي كانت قد أوضحت عبر الهاتف ما تريد التحدث عنه، أن تلك المرأة لم تضطر قطّ إلى القلق بشأن المال، وأنها حصلت دائماً على كل ما تريده، ولم تتعامل قطّ مع أحد ليس من مستواها، وتخلّت على الأرجح عن الاهتمام بأي شيء منذ وقت طويل. انتابها شعور بأن تلك هي الحياة التي كانت بانتظار شقيقة بارا، في الوقت الذي اختفت فيه.

«كانت شقيقتي مغرمة جداً ببنيامين، وهو شيء لم أفهمه قطّ. لم يكن يبدو لي شخصاً مناسباً، بالرغم من أنه لم يكن يفتقر إلى النسب الرفيع. آل كندسن أقدم أسرة في ريكيافيك، لكنه لم يكن من النوع المثير».

ابتسمت إيلنبورغ، فهي لم تعرف معنى ذلك، ولاحظت بارا الأمر.

«كان حالماً، ولم يكن واقعياً قطّ. وأحلامه الكبيرة عن تجارة

قالت إيلنبورغ: «الطريقة نفسها؟».

قالت بارا بتذمر: «نعم، بالطريقة نفسها. لقد انتحر». نطقت الكلمات بانفصال تام. «لكنه لم يختف مثلها. آه، لا. لقد شنق نفسه في غرفة الطعام، من خطّاف الثريا، على مرأى الجميع. لقد أظهر مدى اهتمامه بالأسرة بتلك الطريقة».

قالت إيلنبورغ لمجرّد أن تقول شيئاً: «لا بد من أن ذلك كان صعباً عليك». حدّقت بارا إلى إيلنبورغ بنظرة اتهامية من حيث كانت تجلس قبالتها؛ وكأنها تلومها على تذكيرها بكلّ ذلك.

«كان الأمر أصعب على شقيقتي، فقد كانا مقرّبين جداً. يترك ذلك أثره في الناس، وهذا ما فعله بتلك الفتاة العزيزة».

كان هناك أثر تعاطف في صوتها للحظة.

«هل كان...؟».

قالت بارا: «وقع ذلك قبل سنوات من اختفائها». وعرفت إيلنبورغ أنها كانت تخفي شيئاً، وأنها تدرّبت على رواية تلك القصة الخالية من كل المشاعر. لكن، ربما كانت المرأة ببساطة على تلك الحال: متسلّطة، وقاسية القلب، ومتبلّدة الأحاسيس.

تابعت بارا: «عاملها بنيامين على نحو جيد. كتب لها رسائل غرام، وذلك النوع من الأشياء. في تلك الأيام، كان الناس في ريكيافيك يخرجون في نزهات طويلة حين يكونون مخطوبين، ويعد ذلك تودداً عادياً جدًّا. التقيا في فندق بورغ الذي كان مكاناً مرموقاً في تلك الأيام، واتصلا ببعضهما، وخرجا في نزهات، وسافرا معاً، وتطور الأمر كما يحدث مع أيّ شابّ وفتاة في كل مكان. تقدم لخطبتها وكان حفل الزفاف بعد أسبوعين فقط، كما أخمّن، حين اختفت».

«هل تعرفين أي شيء عن المستأجرين في شاليه بنيامين في غرافارهولت؟ ربما هم أشخاص كانوا هناك في أثناء الحرب؟ أسرة من خمسة أفراد على الأرجح، زوجان وثلاثة أولاد. هل يذكرك ذلك بشيء؟».

«لا، لكنني أعرف أن أشخاصاً عاشوا في ذلك الشاليه طوال الحرب؛ بسبب النقص في المساكن».

«هل لديك تذكار من شقيقتك؟ مثل خصلة شعر تحتفظين بها في علبة صغيرة ربما؟».

«لا. لكن بنيامين لديه خصلة من شعرها، فقد رأيتها تقصّها من أجله. طلب منها تذكاراً في أحد فصول الصيف حين ذهبت شقيقتي شمالاً إلى فليوت لمدّة أسبوعين لتزور بعض الأقارب».

عندما استقلّت إيلنبورغ سيارتها اتصلت بسيغوردور أولي الذي كان في طريقه إلى خارج قبو بنيامين بعد يوم طويل وممل، وطلبت منه إبقاء عينيه مفتوحتين بحثاً عن خصلة شعر من خطيبة بنيامين. وقالت له إنها ربما تكون داخل علبة صغيرة وجميلة. سمعت سيغوردور أولي يتأوه.

قالت إيلنبورغ: «بالله عليك، يمكننا إثبات أنها هي إذا وجدنا خصلة الشعر. الأمر بتلك البساطة».

أنهت المكالمة، وكانت على وشك أن تقود سيارتها مبتعدة حين خطرت لها فجأة فكرة، فأوقفت عمل المحرك. بعد التفكير قليلاً، والعض بعصبية على شفتها السفلية، قرّرت أن تتصرف.

عندما فتحت بارا الباب، دهشت لدى رؤيتها إيلنبورغ مجدداً.

سألت: «هل نسيت شيئاً؟».

الكبير والحفل الصاخب في الليلة التي كان يفترض أن تفنى الأرض فيها وتتحطّم إلى فتات بعد اصطدامها بالمذنّب. وبالرغم من أنه لم يكن يفهم الكثير مما يقوله والده، إلا أن سيمون لاحظ أن ذلك يزعج والدته، وعرف أن كلماته تؤذيها؛ وكأنه يوسعها ضرباً.

عندما ذهب مرة إلى البلدة مع والده، تجاوزا مصنع الغاز سيراً على الأقدام، وأشار غريمور إلى الخزان الكبير، وضحك قائلاً إنه المكان الذي جاءت منه والدته، ثم انفجر ضاحكاً. كان مصنع الغاز أحد أكبر المباني في ريكيافيك، ووجد سيمون الأمر مزعجاً، وقرر أن يسأل والدته عن المبنى وخزان الغاز الكبير الذي أثار فضوله.

قالت: «لا تصغِ إلى الهراء الذي يقوله. لا بد من أنك تعرف الآن الطريقة التي يتشدّق بها، ويجب ألاّ تصدّق ما يقوله، ولا حتى كلمة واحدة منه».

«ماذا حدث في مصنع الغاز؟».

«لا شيء وفقاً لما أعرفه. إنه يختلق كل ذلك، ولا أعرف من أين جاء بتلك القصة».

«لكن، أين أملكِ وأبوك؟».

نظرت إلى ولدها بصمت، فقد كافحت مع أسئلته طوال حياتها، وقد ألقى ابنها ببراءة ذلك الحِمْل عليها، لكنها لم تكن تعرف ما تقوله له. لم تكن قد عرفت والديها قطّ. وعندما كانت أصغر سناً سألت عنهما، لكنها لم تحرز أي تقدم. كانت أولى ذكرياتها عن وجودها في أسرة كثيرة الأولاد في ريكيافيك. وعندما كبرت قيل لها إنها ليست شقيقة أحد أو ابنة أحد، وإن المجلس قد دفع تكاليف وجودها هناك. فكّرت ملياً في تلك الكلمات، لكنها لم تكتشف معناها حتى وقت متأخر جدًّا. أُخذت يوماً ما من المنزل، وذهبت للعيش مع زوجين

خطـرت فـي ذهنهـا كل تلـك الأفـكار حين نظرت إلى سـيمون، وبدت للحظة واحدة على وشك أن تخبره شيئاً مهماً قبل أن تطلب منه فجأة أن يتوقف عن طرح تلك الأسئلة التي لا تنتهي.

كانـت الحـرب تسـتعر فـي معظـم بقاع العالـم، وقد وصلت إلى الطرف الآخر من التلة حيث شيّدت قوات الاحتلال البريطانية مباني على شكل أرغفة خبز، تدعوها ثكنات، وهي كلمة لم يفهمها سيمون. كان يفترض أن يكون داخل الثكنات شـيء يحمل اسـماً مبهماً آخر: مستودع.

كان سـيمون يجـري أحيانـاً إلـى قمـة التلة مع توماس لمشـاهدة الجنـود الذيـن نقلـوا إلـى الأعلـى ألواحاً خشـبية، وعوارض سـقفية، وحديـداً مضلّعـاً، ومـوادَّ لبنـاء أسـيجة، وبكرات من أسـلاك شـائكة، وأكياس إسـمنت، وآلة لمزج الإسـمنت، وجرّافة لتسـوية الأرض من أجل بناء الثكنات. وبنى هؤلاء مستودعاً يطل على غرافارهولت. ورأى الأخوان يوماً البريطانيين وهم يجلبون مدفعاً ضخماً إلى أعلى التلة. جرى تثبيته في المستودع، وبقيت فوهته العملاقة تبرز عدّة أمتار إلى الخارج عبر شـق، وجاهزة لنسـف العدو إلى أشـلاء. كانوا يدافعون عن أيسلندا ضدّ الألمان الذين كانوا قد بدأوا الحرب وقتلوا كل من وضعوا أيديهم عليه، حتى الفتية الصغار مثل سيمون وتوماس.

أقام الجنود السياج حول ما تبين لاحقاً أنها ثماني ثكنات، والتي بنيت في وقت قصير جداً، ووضعوا بوابة ولافتات كتب عليها باللغة الأيسـلنديّة: ممنـوع الدخـول منعـاً باتـاً. كان هناك دائماً جندي يحمل بندقية على أهبة الاسـتعداد في موقع الحراسـة عند البوابة. وتجاهل الجنـود الصبييـن اللذيـن حرصـا علـى البقاء على مسـافة بعيداً عنهم. وعندمـا يكـون الطقـس جيداً، كان سـيمون وتومـاس يحملان أختهما

الأمريكيين سيمضون وقتاً طيباً في أيسلندا، من دون أن يهتموا بالعالم.

توقف غريمور عن نقل الفحم، وبدأ بالعمل لمصلحة الأمريكيين على التلة؛ بسبب توفر أجور جيدة، وعمل في المعسكر. كان قد مشى يوماً إلى أعلى التلة وطلب عملاً في المستودع، وحصل بسهولة على وظيفة في مخازن الإمداد والمطعم العسكري، وتغير الطعام في منزلهم نحو الأفضل بعد ذلك. فقد جلب غريمور علبة حمراء مع مفتاح على طرفها، وفتح الغطاء بالمفتاح وقلب العلبة رأساً على عقب، فانزلقت منها إلى الطبق قطعة من لحم وردي اللون مغطاة بهلام شفاف، وتمايلت أمامهم، وكان مذاقها مالحاً ولذيذاً.

قال غريمور: «فخذ ذبيحة من أمريكا».

لم يكن سيمون قد تذوق شيئاً شهياً مثلها في حياته.

في البداية، لم يتساءل كيف وجد الطعام الجديد طريقه إلى مائدتهم، لكنه لاحظ لاحقاً نظرة القلق على وجه والدته حين أحضر غريمور معه مرة صندوقاً مملوءاً بالعلب التي خبأها في المنزل. كان غريمور يذهب أحياناً إلى ريكيافيك وهو يحمل كيساً مملوءاً بتلك العلب وسلع أخرى لا يعرفها سيمون. وعندما يعود، كان يعدُّ مالاً على الطاولة، ورآه سيمون سعيداً بطريقة لم يشهدها من قبل. توقف غريمور عن معاملة والدته بالسوء، والتكلم معها عن مصنع الغاز، وضرب توماس على رأسه.

ومع مرور الوقت، امتلأ المنزل بالسلع: لفائف تبغ أمريكية، وطعام معلّب لذيذ، وفاكهة، حتى جوارب نسائية مصنوعة من النايلون قالت والدتهم إن كل النساء في ريكيافيك يتشوّقن إلى اقتنائها.

لم يبقَ أي منها في منزلهم وقتاً طويلاً. جلب غريمور معه مرة رزمة صغيرة تفوح منها أروع رائحة كان سيمون قد شمّها على

وشهد سيمون مرة شيئاً غريباً.

مشى أحد الجنود الأمريكيين يوماً على التلة وهو يحمل قصبة صيد، ثمّ وقف على شاطئ بحيرة رينيسفاتن واصطاد سمكة سلمون، ثم نزل عن التلة حاملاً قصبته، وصفّر في أثناء توجّهه إلى بحيرة هافرافتان، حيث أمضى معظم النهار. كان يوماً صيفياً جميلاً فتجوّل حول البحيرة، وألقى صنارته في الماء حيث شعر بحاجة إلى ذلك. وعوضاً عن صيد الأسماك بحماسة، بدا أنه يستمتع فحسب بوجوده على شاطئ البحيرة في طقس صافٍ. جلس ودخن واستمتع بالشمس.

بدا أنه قد اكتفى عند الساعة الثالثة تقريباً. فأمسك قصبة الصيد، وكيساً يحتوي أسماك السلمون الثلاث التي كان قد اصطادها في ذلك اليوم، ومشى بهدوء كالمعتاد من البحيرة صعوداً على التلة. ولكن، بدلاً من تجاوز المنزل، توقف وقال شيئاً غير مفهوم لسيمون، الذي كان يراقب عن كثب حركاته ويقف آنذاك قرب الباب الأمامي.

سأل الأمريكي المبتسم بالإنكليزية: «هل والداك في الداخل؟». ونظر إلى داخل المنزل. كان الباب يبقى مفتوحاً دائماً في الطقس الجيد، وقد حمل توماس ميكلينا إلى البقعة المشمسة خلف المنزل، واستلقى هناك قربها، فيما كانت والدتهم في الداخل، تقوم بأعمال المنزل.

لم يفهم سيمون الجندي.

قال الجندي: «أنت لا تفهمني؟ اسمي ديف، وأنا أمريكي».

فهم سيمون أن اسمه ديف، وأومأ له. أمسك ديف الكيس أمام الفتى، ثم وضعه على الأرض، وفتحه، وأخرج أسماك السلمون الثلاث ووضعها بجانبه.

«أريدك أن تأخذ هذه. هل تفهم؟ خذها، ستكون رائعة من دون شك».

حدّق سيمون إلى ديف، من دون أن يفهم ما يعنيه، فابتسم ديف، ولمعت أسنانه البيضاء. كان قصيراً ونحيلاً. عظام وجهه ناتئة، وشعره الكثيف الداكن ممشط إلى أحد الجانبين.

سأل: «هل والدتك في الداخل؟ أو والدك؟». نظر إليه سيمون من دون أي انفعال. ففكّ ديف زر جيب قميصه، وأخرج دفتر ملاحظات أسود، وقلّبه إلى الصفحة التي يريدها، ومشى إلى سيمون، وأشار إلى جملة مكتوبة على الدفتر.

سأل: «هل تجيد القراءة؟».

قرأ سيمون الجملة التي كان ديف يشير إليها، واستطاع فهمها لأنها مكتوبة باللغة الأيسلنديّة. لكن، وراءها كان هناك كلام أجنبيّ لم يتمكن من فهمه. قرأ ديف الجملة الأيسلندية بصوتٍ عالٍ، وبحرص قدر المستطاع.

قال: «إغ هيتي ديف». وكرّر مجدداً بالإنكليزية: «اسمي ديف»، وأشار مرة أخرى، ثم أعطى سيمون الدفتر، فقرأ هذا الأخير بصوتٍ عالٍ.

وقال مبتسماً: «اسمي... سيمون». اتسعت ابتسامة ديف أكثر، وعثر على جملة أخرى وأراها للفتى.

قرأ سيمون: «كيف حالك يا آنسة؟».

«نعم. لكن ليس يا آنسة، وإنما كيف حالك فقط». ضحك ديف، لكن سيمون لم يفهم. وجد ديف كلمة أخرى وأراها لسيمون الذي قرأ بصوتٍ عالٍ: «أمي». وأشار إليه ديف بإيماءة من رأسه.

سأل بأيسلندية: «أين هي؟». وفهم سيمون أنه كان يسأل عن والدته، فأومأ إلى ديف أن يتبعه واصطحبه إلى المطبخ حيث كانت والدته تجلس إلى الطاولة وهي ترتق الجوارب. ابتسمت حين رأت

سيمون يدخل. لكن، عندما شاهدت ديف خلفه تجمّدت ابتسامتها، وألقت الجورب من يدها وقفزت واقفة على قدميها، مما جعل الكرسي يقع على الأرض. تقدم ديف، الذي دُهش من ذلك، خطوة إلى الأمام وهو يلوح بذراعيه.

قال: «آسف، أرجوك أنا آسف جدًّا. لم أرغب في أن أخيفك، رجاءً».

اندفعت والدة سيمون إلى مغسلة المطبخ وحدّقت إليها؛ وكأنها لا تجرؤ على رفع بصرها إلى الأعلى.

قالت: «أخرجه من فضلك يا سيمون».

قال ديف: «أرجوك، سأرحل. لا بأس. أنا آسف. سأذهب. أرجوك، أنا...».

كرّرت والدته: «أخرجه يا سيمون».

محتاراً من رد فعلها، نظر سيمون إليهما بالتناوب، ورأى ديف وهو يخرج من المطبخ إلى الساحة.

قالت وهي تستدير إلى سيمون: «لماذا فعلت ذلك بي؟ لماذا أحضرت رجلاً إلى هنا. لماذا فعلت ذلك؟».

قال سيمون: «آسف، ظننت أنّه لا بأس في ذلك. اسمه ديف».

«ماذا أراد؟».

قال سيمون: «أراد أن يعطينا أسماكه، تلك التي اصطادها من البحيرة. ظننت أنّه لا بأس في ذلك. أراد فقط أن يعطينا بعض الأسماك».

«يا للهول! يا لها من صدمة! يا الله، أنا مصدومة! يجب ألاّ تفعل ذلك مجدداً؛ أبداً. أين ميكلينا وتوماس؟».

«في الخارج».

«هل هما بخير؟».

«بخير؟ نعم، أرادت ميكلينا أن تجلس تحت أشعة الشمس».

كـرّرت وهـي تخـرج لتتفقـد ميكلينا: «يجـب ألاّ تفعل ذلك أبداً مجدداً. هل تسمع؟ أبداً».

مشـت حـول زاويـة المنـزل، ورأت الجنـدي يقف قرب توماس وميكلينا، وهو يحدّق إلى الأسفل؛ إلى الفتاة محتاراً. افتعلت ميكلينا حركـة بوجههـا، ومـدّت عنقهـا لتـرى مـن يقف فوقهما، ولـم تسـتطع رؤية وجه الجندي لأن الشمس كانت خلف رأسه. نظر الجندي إلى والدتها، ثم أعاد بصره إلى ميكلينا التي كانت تتململ على العشب.

قـال ديـف متلعثمـاً: «أنـا...»، ثـم قال: «لم أكن أعرف. آسـف، حقًّا. هذا ليس من شأني. أنا آسف».

ثم استدار وأسرع مبتعداً، وراقبوه وهو يختفي ببطء على التلة.

سـألت الوالدة؛ وهي تجثم بجانب ميكلينا وتوماس: «هل أنتما بخيـر؟». كانـت أكثـر هـدوءاً آنـذاك بعـد أن غادر الجنـدي الذي كان واضحاً أنه لا يريد إلحاق أي أذى بهم. حملت ميكلينا إلى المنزل، ووضعتها على الأريكة في المطبخ، ودخل سيمون وتوماس خلفها.

قال سيمون: «ديف ليس سيئاً. إنه مختلف».

قالت والدتهم من دون أي انفعال: «هل اسمه ديف؟». كرّرت: «ديف». وسألت، وهي توجه السؤال إلى نفسها أكثر من أي شخص آخر: «ألا يعني ذلك ديفيد بالأيسلندية؟». وحدث ذلك عندئذ، وظن سيمون أنه شيء غريب جداً.

لقد ابتسمت والدته.

كان توماس غامضاً، وقليل الكلام، وعصبياً قليلاً، وخجولاً، ومن

النوع الصامت دائماً. في الشتاء السابق، بدا أن غريمور لاحظ فيه شيئاً أثار اهتمامه أكثر من سيمون، ولهذا أخذ يعتني بتوماس ويأخذه إلى الغرفة أخرى. وعندما سأل سيمون شقيقه عمّا كانا يتكلّمان عنه لم يقل توماس شيئاً، لكن سيمون أصر وتملّقه ليقول له إنهما كانا يتكلمان عن ميكلينا.

سأل سيمون: «ما الذي كان يقوله لك عن ميكلينا؟».

قال توماس: «لا شيء».

قال سيمون: «بلى، فعل ذلك. ماذا؟».

قال توماس وهو ينظر إليه محرجاً، وكأنه يحاول إخفاء شيء عن شقيقه: «لا شيء».

«أخبرني».

«لا أرغب في ذلك. لا أريد أن يتكلم معي. لا أريد منه أن يفعل ذلك».

«لا تريد منه أن يتكلم معك؟ إذاً، تعني أنك لا تريد أن يقول الأشياء التي يقولها؟ هل هذا ما تعنيه؟».

قال توماس: «لا أريد شيئاً، وهذا كل شيء. وتوقف أنت عن الحديث إليّ أيضاً».

مرّت الأسابيع والشهور وأظهر غريمور تفضيله ابنَه الأصغر بطرائق شتّى. وبالرغم من أن سيمون لم يكن قطّ طرفاً في حديثهما، إلا أنه اكتشف ما كانا يفعلانه في إحدى الأمسيات مع قرب انتهاء الصيف. كان غريمور يستعد لنقل بعض السلع من المستودع إلى ريكيافيك، وينتظر جندياً يدعى مايك سيساعده في ذلك، وكانت لديه سيارة جيب تحت تصرفه فخططا لملْئها سلعاً وبيعها في البلدة. كانت والدة الأولاد تطهو الطعام الذي كان من المستودع أيضاً، وميكلينا

تستلقي في سريرها.

لاحـظ سـيمون غريمـور يدفـع تومـاس باتجـاه ميكلينا، ويهمس فـي أذنـه، ويبتسـم بالطريقـة التـي يفعـل بهـا ذلك حيـن يوجّه إهانات إلى الصبيين. ولاحظت والدتهم شيئاً، لكن سيمون لم تكن لديه أي فكـرة حقيقيـة عمّـا يجـري حتى ذهب توماس إلى ميكلينا مدفوعاً من قبل غريمور، وقال:

«ساقطة».

ثم عاد إلى غريمور الذي ضحك وربت على رأسه.

نظر سيمون باتجاه المغسلة، حيث كانت والدته واقفة. وبالرغم مـن أنهـا سـمعت ذلـك، إلا أنهـا لـم تتحرك أو تُظهـر أي رد فعل في البداية؛ وكأنها تتضرع لتتجاهل الأمر، باستثناء أنه رآها تحمل سكيناً في يدها، وتقشّر بطاطا، ومفاصلها تبيض حين شدّت قبضتها عليها. ثم استدارت ببطء والسكين في يدها وحدّقت إلى غريمور.

قالت بصوت يرتعش: «ذلك شيء يجب ألاّ تفعله أبداً».

نظر غريمور إليها وتجمّدت الابتسامة على وجهه.

قال غريمور: «أنا؟! ماذا تقصدين؟ لم أفعل شـيئاً. كان الغلام، ابني توماس من قال ذلك».

اقتربت والدتهم خطوة من غريمور وهي لا تزال تحمل السكين وقالت:

«دع توماس وشأنه».

نهض غريمور.

«هل ستفعلين شيئاً بتلك السكين؟».

قالت: «لا تفعل ذلك به». وشعر سيمون أنها قد بدأت تتراجع، ثم سمع سيارة جيب تتوقف خارج المنزل.

صرخ سيمون: «إنه هنا. لقد وصل مايك».

نظر غريمور عبر نافذة المطبخ إلى الخارج، ثم أعاد بصره إلى والدتهم، وخفّ التوتر قليلاً. وضعت والدتهم السكين جانباً، وظهر مايك عند الباب، فابتسم غريمور.

تلك الليلة، عندما عاد غريمور إلى المنزل، ضرب والدتهم حتى فقدت وعيها. وفي اليوم التالي، كانت عينها سوداء، وكانت تمشي وهي تعرج. سمعوا الآهات حين كان غريمور يلكمها، وتكوّر توماس في سرير سيمون، ونظر إلى شقيقه في ظلام الليل مصدوماً، وتمتم لنفسه باستمرار وكأن ذلك يمكن أن يمحو ما قد حدث.

«... آسف، لم أعنِ ذلك، آسف، آسف، آسف...».

16

فتحت إلز الباب لسيغوردور أولي، ودعته للانضمام إليها لتناول كأسٍ من الشاي. وبينما كان يراقب إلزا في المطبخ، فكّر في بيرغثورا، فقد تجادلا في ذلك الصباح قبل أن يذهب إلى العمل. وبعد أن رفض محاولاتها الغزلية، بدأ يصف على نحو أخرق مخاوفه، إلى أن غضبت بيرغثورا حقًّا.

قالت: «آه، مهلاً دقيقة. إذاً، ليس من المفترض أن نتزوج أبداً؟ هل هذه خطتك؟ هل الفكرة هي أن نعيش معاً من دون شيء يربطنا على الورق، ويكون أولادنا غير شرعيين؟ إلى الأبد».

«غير شرعيين؟».

«نعم».

«هل تفكّرين في حفل الزفاف الكبير مجدداً؟».

«أعتذر إن كان الأمر يزعجك».

«هل تريدين حقًّا السير على الممر؟ وارتداء فستان الزفاف، وحمل باقة ورود في يدك و...».

«أنت تزدري الفكرة، أليس كذلك؟».

قال سيغوردور أولي: «وماذا بشأن الأولاد على أيّ حال؟». وندم فوراً على ذلك حين رأى وجه بيرغثورا يتجهم.

«ألا تريد إنجاب أولاد يوماً ما؟».

قال سيغوردور أولي: «نعم، لا، نعم. أعني نحن لم نناقش ذلك بعد. أظن أننا يجب أن نناقش الأمر. لا يمكن أن تقرري من تلقاء

نفسك إن كنا سننجب أولاداً أم لا. هذا ليس عدلاً. وهذا ليس ما أريده. ليس الآن، وليس فوراً».

قالت بيرغثورا: «سيحين الوقت المناسب؛ أو هكذا آمل. كلانا نبلغ من العمر 35 سنة، ولن يطول الأمر قبل أن يفوت الأوان. كلما حاولت أن أتكلم عن ذلك تغيّر الموضوع، ولا تريد أن تناقشه. فأنت لا تريد أن تناقش أمر إنجاب الأولاد، أو الزواج، أو أي شيء آخر. لا تريد شيئاً. أنت تصبح سيئاً مثل ذلك الأحمق العجوز إرلندور».

«ماذا!». كان سيغوردور أولي مشدوهاً. «ماذا تعنين بقولك هذا؟».

لكن بيرغثورا كانت قد انطلقت آنذاك إلى العمل، وتركته مع رؤية رهيبة للمستقبل.

لاحظت إلزا أن أفكار سيغوردور أولي في مكان آخر؛ إذ جلس في مطبخها وهو يحدّق إلى الأسفل؛ إلى كأسه.

قالت بهدوء: «هل تريد المزيد من الشاي؟».

قال سيغوردور أولي: «لا، شكراً. أرادت إيلنبورغ، المحقّقة التي تعمل في هذه القضية معي، أن أسألك إذا كنتِ تعرفين إن كان عمك بنيامين قد احتفظ بخصلة من شعر خطيبته، ربما في علبة صغيرة أو جرّة أو شيء من هذا القبيل».

أمعنت إلزا التفكير في الأمر.

قالت: «لا، لا أتذكر خصلة شعر، لكنني لا أعرف تماماً ماذا يوجد في الأسفل».

«تقول إيلنبورغ إنه يجب أن تكون هناك خصلة شعر، فقد أخبرتها شقيقة الخطيبة أمس أن أختها قد أعطت بنيامين خصلة شعر حين ذهبت في رحلة إلى مكان ما، كما أظن».

«لم أسمع قطّ من قبل بشأن حصوله على خصلة من شعرها، أو شعر أحد آخر في ما يخص تلك المسألة. أسرتي ليست رومانسية على وجه الخصوص، ولم تكن كذلك إطلاقاً».

«هل هناك أي مقتنيات لها في القبو؟ أقصد الخطيبة؟».

سألت إلزا بدلاً من الرد على سؤاله: «لماذا تريد خصلة من شعرها؟». علت نظرة فضولية وجهها، وجعلت سيغوردور أولي يتردد، فلم يكن يعرف ما الذي أخبرها إيّاه إرلندور. غير أنّها وفّرت عليه عناء الإجابة عن السؤال حين قالت:

«يمكنكم إثبات أنها هي المدفونة في التلة، إذا كان لديكم شيء منها. يمكنكم إجراء اختبار الحمض النووي الريبي للتّأكّد إن كانت هي. وإذا صح الأمر، فستدّعون أن عمي قد قتلها وتركها هناك. هل تلك هي الفكرة؟».

قال سيغوردور أولي وهو يحاول أن يتفادى بأي ثمن إثارة غضب إلزا على النطاق الذي كان قد حدث مع بيرغثورا قبل ساعة ونصف: «نحن نحقق فحسب في كل الاحتمالات». لم يكن ذلك اليوم قد شهد بداية جيدة جداً؛ بالتأكيد لا.

«جاء المحقق الآخر إلى هنا، ذلك الشخص الحزين، وأشار إلى أن بنيامين كان مسؤولاً عن موت خطيبته. أنا لا أفهم ذلك! أنتم تظنون أن بنيامين يستطيع قتل تلك الشابة. لماذا سيفعل ذلك؟ ما الحافز الذي قد يدفعه إلى ذلك؟ لا شيء على الإطلاق».

قال سيغوردور أولي ليجعلها تهدأ: «لا، بالطبع لا. لكن، يجب أن نعرف لمن تلك العظام. وحتى الآن ليس لدينا معلومات نحقق فيها إلا حقيقة أن بنيامين كان يمتلك المنزل، وأنّ خطيبته قد اختفت. لا بد من أنك قد شعرت بالفضول أيضاً بهذا الشأن، وتريدين أن

تعرفي لمن تلك العظام».

قالت إلزا بصوتٍ أكثر هدوءاً آنذاك: «لست واثقة أنني أريد ذلك».

قال: «لكن، يمكنني متابعة البحث في القبو، أليس كذلك؟».

«نعم، طبعاً. لا يمكنني إيقافك عن فعل ذلك».

أنهى شرب الشاي، ونزل إلى القبو، وهو لا يزال يفكر في بيرغثورا التي لم يحتفظ بخصلة من شعرها في علبة صغيرة، أو يشعر أنه بحاجة إلى أي شيء يذكره بها، ولا حتى صورتها في محفظته، مثل صور الزوجة والأولاد التي يحملها بعض الرجال الذين يعرفهم. انتابه شعور سيئ، وكان بحاجة إلى مناقشة الأمر مع بيرغثورا وإيضاح كل شيء.

لم يكن يريد أن يصبح مثل إرلندور على الإطلاق.

بحث سيغوردور أولي في مقتنيات بنيامين كندسن حتى الظهر، ثم خرج من المكان إلى مطعم وجبات سريعة. اشترى شطيرة لحم، وتناولها على مهل، وقرأ الصحيفة في أثناء تناوله فنجاناً من القهوة. وعند الساعة الثانية تقريباً، اتجه عائداً إلى القبو وهو يلعن إرلندور على عناده. لم يكن قد عثر على أي دليل يشير إلى سبب اختفاء خطيبة بنيامين، أو أي بيّنة تشير إلى المستأجرين في زمن الحرب باستثناء هوسكولدور. ولم يجد خصلة الشعر التي كانت إيلنبورغ مقتنعة تماماً بشأنها بعد قراءة كل تلك الرسائل الغرامية. كان ذلك ثاني أيام سيغوردور أولي في القبو، وقد أوشك على إنهاء عمله.

كانت إلزا تقف عند الباب حين عاد، ودعته إلى الدخول. حاول العثور على عذر لرفض الدعوة، لكنه لم يكن سريعاً بما فيه الكفاية

ليفعل ذلك من دون أن يبدو فظاً، ولهذا تبع إلزا إلى حجرة الجلوس.

سألت: «هل وجدت شيئاً في الأسفل؟». وعرف سيغوردور أولي أن الهدف من السؤال الذي يبدو القصد منه المساعدة، كان في الواقع محاولة لاستخلاص معلومات منه. ولم يخطر في باله أنها قد تكون وحيدة، وهو الانطباع الذي ترسّخ عند إرلندور بعد دقائق فقط من دخوله منزلها الكئيب.

قال سيغوردور أولي وهو يرتشف الشاي: «لم أجد خصلة الشعر تلك على أيّ حال». كانت تنتظره، فنظر إليها متسائلاً.

قالت: «لا، هل أنت متزوج؟ آسفة، طبعاً هذا ليس من شأني».

قال سيغوردور أولي على نحو أخرق: «لا، ذلك... نعم، لا، لست متزوجاً لكنني أعيش مع حبيبتي».

«هل لديكما أولاد؟».

قال سيغوردور أولي: «لا، لا يوجد أولاد. ليس بعد».

«لمَ لا؟».

«عفواً؟».

«لماذا لم تنجبا أي أولاد؟».

ماذا يجري هنا؟ فكّر سيغوردور أولي وهو يرتشف الشاي ليكسب الوقت.

«بسبب الضغط كما أفترض. نحن مشغولان جداً بالعمل طوال الوقت. وكلانا لدينا وظيفة تتطلب جهداً ووقتاً. حسناً، ليس هناك وقت».

«لا وقت للأولاد؟ هل لديكما حقًّا شيء أفضل تفعلانه في وقتكما؟ ماذا تعمل حبيبتك؟».

قال سيغوردور أولي: «إنها شريكة في مؤسسة حواسيب». وعقد

العزم على أن يشكرها على الشاي ويقول إن عليه أن يذهب. لم يخطط للخضوع لاستجواب بشأن حياته الخاصة من قبل سيدة عجوز أنيقة اكتسبت بكل وضوح عادات غريبة نتيجة عيشها وحيدة، بالطريقة التي تحيا فيها نساء مثلها في نهاية المطاف؛ حتى ينتهي بهن الأمر وهنّ يتطفّلن على الحياة الخاصة لكل شخص.

سألت إلزا: «هل هي امرأة جيدة؟».

قال سيغوردور أولي وهو على وشك أن يصبح وقحاً: «اسمها بيرغثورا، وهي امرأة رائعة». ثمّ ابتسم وسألها: «لماذا...؟».

قالت إلزا: «لم أحظ بأسرة قطّ من قبل، أو أنجب أولاداً، أو أتزوج لأحقق ذلك. لا أكترث بهذا الأمر، لكنني كنت سأحب أن يكون لديّ أولاد، الذين كانت أعمارهم ستصبح 30 سنة ربما. في العقد الثالث من عمرهم. أفكر أحياناً في ذلك. كبروا، وأنجبوا أولادهم. لا أعرف حقّاً ما حدث. يصبح المرء فجأة في منتصف العمر. أنا طبيبة، ولم تكن نساء كثيرات يدرسن الطب حين التحقت بالجامعة. كنت مثلك، ليس لدي وقت من أجل حياة خاصة بي. ما تفعله الآن ليس حياتك الخاصة، وإنما مجرد عمل».

«نعم، حسناً، أفترض أنني يجب...».

تابعت إلزا: «لم يحظ بنيامين بأسرة أيضاً. كان ذلك كل ما أراده؛ أسرة مع تلك الشابة».

وقفت إلزا وكذلك فعل سيغوردور أولي. توقع أن تودّعه، لكنّها عوضاً عن ذلك ذهبت إلى خزانة كبيرة من خشب السنديان، فيها بابان زجاجيان جميلان وأدراج مزخرفة، وفتحت أحدها، ثمّ أخرجت علبة حلي صينية صغيرة، ورفعت الغطاء، وأخرجت منها قلادة فضّيّة ذات سلسلة رفيعة.

قالت: «احتفظ فعلاً بخصلة من شعرها. وهناك صورة لها في العلبة أيضاً. كان اسمها سولفيغ». ظهر على وجه إلزا أثر ابتسامة. «كانت بؤبؤ عين بنيامين. لا أظن أنها هي المدفونة في التلة، فتلك فكرة لا يمكن تخيّلها، وستعني أن بنيامين قد ألحق الأذى بها. لم يفعل ذلك، ولم يكن بمقدوره القيام بذلك. وأنا مقتنعة بما أقوله، وستثبت خصلة الشعر هذا».

أعطت سيغوردور أولي القلادة الفضّيّة، فجلس مجدداً، وفتحها بحرص، ورأى خصلة صغيرة من شعر أسود فوق صورة المرأة التي أُخذت منها. نقل الشعر من دون أن يلمسه إلى غطاء القلادة ليستطيع رؤية الصورة، التي أظهرت الوجه الرقيق لفتاة في العشرين من عمرها، شعرها داكن، وحاجباها مقوسان وجميلان فوق عينين كبيرتين تحدّقان خلسة إلى العدسات. كانت شفتاها توحيان بالعزم، وذقنها صغير، ووجهها نحيل وجميل. إنّها سولفيغ خطيبة بنيامين.

قالت إلزا: «اعذرني رجاءً على إخفائي ذلك. لقد أمعنت التفكير في الأمر، ولم أستطع التخلص من خصلة الشعر تلك، بغض النظر عمّا سيظهره التحقيق».

«لماذا أخفيتها؟».

«كنت بحاجة إلى التفكير في الأمر ملياً».

«نعم، لكن حتى...».

«لقد أصبت بصدمة حين بدأ زميلك، إرلندور، أليس كذلك؟ يلمّح إلى أنها ربما تكون المدفونة هناك. لكن، حين أمعنت التفكير في الأمر...». هزّت إلزا كتفيها وكأنها أذعنت للأمر.

قال سيغوردور أولي: «حتى إذا جاء فحص الحمض النووي الريبيّ إيجابياً، فذلك لا يعني بالضرورة أن بنيامين قد قتلها، فالتحليل

لن يعطي أي أجوبة عن ذلك. وإذا كانت خطيبته في أعلى التلة، فقد يكون هناك سبب آخر غير بنيامين...».

قاطعته إلزا.

«هي... ماذا يقولون هذه الأيام... من أنهت علاقتهما. فسخت خطبتهما على الأرجح عبارة قديمة؛ حين كان الناس يخطبون. فعلَت ذلك في اليوم الذي اختفت فيه، ولم يكشف بنيامين الأمر إلا بعد وقت طويل. أخبر والدتي على فراش موته، ولقد أخبرتني بذلك لاحقاً. لكنني لم أقل ذلك لأحد قطّ من قبل، وكنت سآخذ السر معي إلى قبري لو أنكم لم تجدوا تلك العظام. هل تعرفون إن كانت لذكر أم أنثى؟».

قال سيغوردور أولي: «ليس بعد، لا. هل قال شيئاً عن سبب فسخها خطبتهما؟ لماذا تركته؟».

شعر بأن إلزا تتردّد، ونظرا إلى عيني بعضهما بعضاً، وعرف أنها قد أفضت بالكثير ولم يعد بمقدورها أن تتراجع الآن. شعر بأنها تريد أن تخبره بما تعرفه، وكأنها تحمل عبئاً ثقيلاً وحان الوقت للتّخلّص منه أخيراً بعد كل تلك السنوات.

قالت: «لم يكن طفله».

«ليس طفل بنيامين؟».

«لا».

«لم تكن حاملاً منه؟».

«لا».

«طفل من كان إذاً؟».

قالت إلزا: «يجب أن تفهم أن الزمن كان مختلفاً حينها. تقوم النساء اليوم بعمليّات الإجهاض وكأنهن يذهبن إلى طبيب أسنان.

ولـم يعد للزواج معنى خاص حتى إذا كان الناس يرغبون في إنجاب أولاد. إنهم يعيشـون معاً، وينفصلون، ثم يبدأون بالعيش مع شـخص آخر، ثم ينجبون المزيد من الأولاد، وينفصلون مجدداً. لم يكن الأمر على هذه الحال، ليس في تلك الأيام. كان إنجاب طفل خارج إطار الزوجيـة أمـراً لا يمكـن أن تفكـر فيـه النسـاء، فهـو يلصـق بهنّ العار، فيصبحـن منبـوذات مـع أولادهـن. كان النـاس من دون رحمة، وكانوا يدعونهن ساقطات».

قال سيغوردور أولي: «لقد فهمت». وتحول ذهنه إلى بيرغثورا، واتضح له تدريجياً لماذا كانت إلزا تسأل عن حياته الخاصة.

تابعـت إلـزا: «كان بنياميـن مسـتعداً للـزواج منها، أو على الأقل هذا ما أخبر والدتي إيّاه لاحقاً. لم ترغب سولفيغ في ذلك، وأرادت أن تفسـخ خطبتهمـا، وأخبرتـه بقرارهـا بكل وضـوح؛ فجأة ومن دون سابق إنذار».

«من كان الأب إذاً؟».

«عندما تركت بنيامين طلبتْ منه أن يسامحها لأنها تهجره، لكنه لم يفعل فقد كان بحاجة إلى مزيد من الوقت».

«واختفت؟».

«لـم يرهـا أحـد قـطّ مجـدداً بعـد أن ودّعتـه. وعندما لم تعد إلى البيت في ذلك المساء، بدأوا بالبحث عنها، واشترك بنيامين بحماسة في عملية البحث، لكنهم لم يعثروا عليها مطلقاً».

سأل سيغوردور أولي مجدداً: «ماذا عن والد الطفل؟ من كان؟».

«لـم تخبـر بنياميـن عـن هويّتـه، وغـادرت مـن دون أن تقول له. ذلـك مـا قالـه لوالدتـي علـى الأقـل. إذا كان يعـرف، فهـو بالتأكيد لـم يخبرها قطّ».

«من قد يكون؟».

كرّرت إلزا: «من قد يكون؟ لا يهم من قد يكون. الشيء الوحيد المهم هو من كان».

«هل تقصدين أن ذاك الوالد كان متورطاً في اختفائها؟».

سألت إلزا: «ما رأيك؟».

«ألم تشتبهي أنتِ وأمك في أحد؟».

«لا، لا أحد. وكذلك بنيامين، وفقاً لما أعرفه».

«هل يعقل أنه اختلق القصة كلها؟».

«لست واثقة من ذلك. لكنني لا أظن أن بنيامين قال كذبة واحدة في حياته».

«أعني لإبعاد الشبهة عن نفسه».

«لا أظن أنه كان موضع شبهة. وقد مرّ وقت طويل قبل أن يخبر والدتي بكل ما جرى. حدث ذلك قبل موته بقليل».

«لم يتوقف عن التفكير فيها قطّ».

«ذلك ما قالته والدتي».

فكّر سيغوردور أولي قليلاً، ثم سألها:

«هل يعقل أن يكون العار قد دفعها إلى الانتحار؟».

«بالتأكيد. لم تخن بنيامين فقط، وإنما كانت حاملاً، ورفضت الإفصاح عن هويّة والد الطفل».

«تكلمت إيلنبورغ، المرأة التي أعمل معها، مع شقيقتها التي قالت إن والدهما قد انتحر بشنق نفسه. كان ذلك قاسياً على سولفيغ لأنهما كانا مقرّبين جداً».

«قاسياً على سولفيغ؟».

«نعم».

«ذلك غريب!».

«كيف؟».

«لقد شنق نفسه فعلاً، لكن ذلك ما كان ليزعج سولفيغ إطلاقاً».

«ماذا تقصدين؟».

«قالوا إن ما دفعه إلى ذلك هو الحزن».

«الحزن؟».

«نعم، ذلك هو الانطباع الذي تكوّن لدي».

«الحزن على ماذا؟».

قالت إلزا: «على اختفاء ابنته. لقد شنق نفسه بعد أن اختفت».

17

وجد إرلندور أخيراً شيئاً يتكلم مع ابنته بشأنه. كان قد أجرى أبحاثاً كثيرة في المكتبة الوطنية، وجمع معلومات من صحف ومجلات نُشرت في ريكيافيك في العام 1910، في السنة التي مرّ فيها مذنّب هالي بجوار الأرض بذيله المليء بالسيانيد كما يفترض. حصل على إذن خاص ليتصفّح الصحف بدلاً من استعراضها عبر قارئ الأفلام المصغرة، وأحب إمعان النظر في الصحف والمجلات القديمة، وسماعها وهي تخشخش، وشمّ رائحة الورق المصفر، والشعور بالوقت الذي حُفظت فيه من خلال صفحاتها الرقيقة آنذاك، وإلى الأبد.

كان المساء قد حل حين جلس بجانب سرير إيفا ليند وبدأ يخبرها عن اكتشاف الهيكل العظمي في غرافارهولت، وكيف أن المختصين بعلم الآثار حدّدوا مناطق صغيرة فوق موقع العظام. وأخبرها عن سكارفيدين وأنيابه التي تمنعه من إغلاق فمه تماماً. وتكلم معها عن أجمة التوت البري، ووصف روبرت الغريب للسيدة الملتوية التي ترتدي ملابس خضراء، وعن بينامين كندسن وخطيبته التي اختفت في أحد الأيّام، والتأثير الذي أحدثه اختفاؤها في حبيبها الشاب، وعن هوسكولدور الذي كان قد استأجر الشاليه في أثناء الحرب، وعن ذكر بنيامين المرأة التي عاشت على التلة وقيل إن والدتها قد حملت بها في مصنع الغاز في الليلة التي ظن الجميع فيها أن العالم سيفنى.

قال إرلندور: «حدث ذلك في السنة التي توفي مارك توين فيها».

كان مذنّب هالي يتجه نحو الأرض بسرعة لا يتصوّرها عقل، وذيله مليء بغازات سامة. وظنّ الناس أنه حتى إذا نجت الأرض من التحطم إلى فتات نتيجة الاصطدام به، فإنها ستمر عبر ذيله وستفنى كل الحياة عليها. وتخيل أولئك الذين خشوا الأسوأ أن تبيدهم النار والأحماض الكيميائية. دبّ الذعر في نفوس الناس، ليس في أيسلندا وحدها، وإنما في كل أنحاء العالم. وفي النمسا وتريست (مدينة إيطالية) ودلماتيا (منطقة كرواتية)، باع الناس كل ما يمتلكونه بثمن بخس، ليسرفوا في الشراب في المدة القصيرة التي ظنّوا أنهم سيعيشونها. وفي سويسرا، أضحت مدارس تعليم الكياسة للشابات خاوية؛ لأن الأسر ظنّت أنها يجب أن تبقى معاً حين يدمّر المذنّب الأرض. وتلقى رجال الدين تعليمات بأن يتكلموا عن الفلك بمعايير علمانية لتهدئة روع الناس.

في ريكيافيك، قيل إن النساء لزمن بيوتهنّ مع أسرهنّ خوفاً. وظنّ كثيرون فعلاً أن «الربيع كان بارداً في تلك السنة بسبب المذنّب»، وفقاً لصياغة إحدى الصحف، وتكلم المسنّون عن مدى سوء حالة الطقس في المرّة الأخيرة التي اقترب فيها المذنّب من الأرض.

كان الغاز يعدُّ المفتاح إلى المستقبل في ريكيافيك في ذلك الوقت، ويجري استخدام مصابيح الغاز على نطاق واسع في المدينة. لكن ليس شاملاً ليكوّن إضاءة شوارع مناسبة، وقد أضاء الناس منازلهم بالغاز أيضاً. كانت الخطوة التالية التي خُطط لها هي إنشاء مصانع غاز حديثة في ضواحي البلدة؛ لتلبية كل احتياجات السكان من الغاز في العقود الآتية. وتفاوض عمدة ريكيافيك مع شركة ألمانية، ووصل المهندس كارل فرانك آنذاك إلى أيسلندا من بريمن، وبدأ مع فريق من الخبراء بإنشاء أول مصنع غاز، الذي افتُتح في خريف عام 1910.

كان الخزّان نفسه جهازاً ضخماً يتسع لنحو 1500 متر مكعب، ويعرف باسم جرّة الجرس؛ لأنه يطفو على الماء، ويرتفع أو ينخفض وفقاً لكمية الغاز فيه. ونظراً إلى أن الناس لم يروا مثل ذلك الشيء قطّ من قبل، فقد تقاطروا لمشاهدة عمليّة بنائه.

عندما شارف بناء الخزّان على نهايته، احتشدت مجموعة من الأشخاص داخله في ليلة 18 أيار، فقد ظنوا أنه المكان الوحيد في أيسلندا الذي يوفر أي أمل بالحماية من غازات المذنّب السامة. وسرعان ما انتشر الخبر عن حفل يقام في الخزان، واندفع الناس إليه ليشاركوا في ليلة من الاحتفال الصاخب قبل ارتطام المذّنب بالأرض.

انتشرت قصص ما جرى في الخزّان في تلك الليلة مثل النار في الهشيم في الأيام القليلة التالية. وزُعم أن المحتفلين السكارى استمروا في اللهو حتى الفجر، إلى أن أصبح واضحاً أن الأرض لن تفنى نتيجة اصطدامها بمذنّب هالي، أو بسبب الغازات الموجودة في ذيله.

سرت شائعات بأنّ عدداً من النساء حملن بأطفالهن في الخزان في تلك الليلة. وتساءل إرلندور إن كانت إحداهنّ قد لقيت حتفها في غرافارهولت بعد سنوات عديدة ودُفنت هناك.

قال إرلندور لإيفا ليند وهو غير واثق إن كانت تسمعه أم لا: «لا يزال مكتب مدير مصنع الغاز قائماً. لكن باستثناء ذلك اختفى كل أثر للمصنع نفسه. وفي النهاية، تبين أن مصدر طاقة المستقبل هو الكهرباء، لا الغاز. كان مصنع الغاز في رودرارستيغور، حيث محطة حافلات هلمور الآن، ولا يزال يؤدي وظيفة مفيدة بالرغم من أنه شيء من الماضي. ففي الصقيع القارس، والطقس السيئ، يدخله المشرّدون ليدّفئوا أنفسهم بجانب الحرّاقات، خاصة في الليل، ويصبح الخزّان غالباً مكتظاً في أحلك أوقات الشتاء».

لم تتحرك إيفا ليند حين كان إرلندور يسرد قصته. ولم يتوقع أن تفعل ذلك؛ لأنه لم يكن ينتظر أموراً خارجة عن المألوف.

تابع وهو يبتسم من غرابة الموقف: «بني مصنع الغاز فوق قطعة من الأرض تدعى إلسوميراربلتور، والتي بقيت من دون تطوير لسنوات طويلة بعد هدم مصنع الغاز ونقل الخزّان. ثم شُيّد مبنى مكاتب في الموقع، قبالة محطة الحافلات. وهو يضم الآن مقر قيادة ريكيافيك، ومكتبي فيه، بالضبط حيث كان الخزّان قائماً في ما مضى».

توقف إرلندور قليلاً.

جلس إرلندور صامتاً وهو ينظر إلى ابنته، وتساءل إن كان ذلك يعني أي شيء؛ أن يتحدث إليها في حين أنها لا تسمع أيّ كلمة ينطقها. عادت أفكاره إلى ما قاله الطبيب، وشعر ببعض الراحة من حديثه إلى ابنته بتلك الطريقة، فقلّما كان يستطيع التكلم معها بهدوء ورويّة. كان التوتر بينهما قد لوّن علاقتهما، ولم تسنح لهما الفرصة دائماً للجلوس معاً وإجراء حوار هادئ.

لكنهما كانا قليلاً ما يتحدّثان معاً. ابتسم إرلندور ساخراً، فقد كان يتكلم لكنها لم تكن تصغي إليه.

لم يكن شيء قد تغير بينهما في هذا المجال.

ربما لم يكن ذلك ما ترغب في سماعه؛ أي اكتشاف الهيكل العظمي، ومصنع الغاز، والمذنّب، والحفل الصاخب. ربما أرادت منه أن يتكلم عن شيء مختلف تماماً: عنه، عنهم.

وقف إرلندور، ثم انحنى إلى الأسفل، وقبّلها على جبينها وغادر الغرفة.

18

كان إدوارد هنتر ضابطاً مع القوات الأمريكية في أيسلندا في زمن الحرب، وأحد أفراد الجيش القلائل الذين لم يغادروا المكان حين حلّ السلام. كان جيم، أمين السر في السفارة البريطانية، قد عثر عليه من دون صعوبة تُذكر بوساطة السفارة الأمريكية، في أثناء بحثه عن أفراد من قوات الاحتلال البريطانية والأمريكية. لكن، وفقاً لوزارة الداخلية في لندن، كان قلّة منهم لا يزالون أحياء. خسر معظم الجنود البريطانيين الذين ذهبوا إلى أيسلندا حياتهم في معارك في شمالي أفريقيا وإيطاليا أو على الجبهة الغربية، في غزو النورماندي في العام 1944. لم يذهب إلا قلّة من الأمريكيين الذين وُجدوا في أيسلندا إلى المعركة لاحقاً، وبقي معظمهم فيها حتى نهاية الحرب، واستقر عدد منهم هناك. فقد تزوجوا نساء أيسلنديات، وأصبحوا في النهاية مواطنين أيسلنديين. كان أحدهم إدوارد هنتر.

تلقى إرلندور اتصالاً من جيم في وقت باكر من الصباح، قال له فيه:

«تكلمت مع السفارة الأمريكية وأرشدوني إلى هذا الرجل هنتر، فتحدّثت إليه بنفسي لأوفّر عليك العناء. آمل أن يكون ذلك مناسباً».

قال إرلندور: «شكراً لك».

«يعيش في كوبافوغور».

«هل يعيش هناك منذ الحرب؟».

«لسوء الحظ لا أعرف ذلك».

قال إرلندور وهو يفرك عينيه ليطرد النعاس منهما: «لكنه لا يزال يعيش هناك، أي هنتر ذاك، أليس كذلك؟».

لم يكن قد نام جيداً في الليل، لكنه غفا ورأى كوابيسَ.

قال جيم: «نعم، إنّه يعيش هناك الآن». واعتذر لأنه أيقظ إرلندور، ظناً منه أن كل الأيسلنديين يستيقظون باكراً، فهو نفسه يفعل ذلك؛ لأن ضوء النهار الربيعي الدائم لا يرحمه.

«مهلاً إذاً، هل هو متزوج من أيسلندية؟».

قال جيم مجدداً بلكنته الإنكليزية وكأنه لم يسمع السؤال: «لقد تكلمت معه، وهو يتوقع اتصالك. خدم العقيد هنتر لبعض الوقت في الشرطة العسكرية في ريكيافيك؛ ويتذكر حادثة حصلت في المستودع على التلة، ويمكن أن يخبرك عنها».

سأل إرلندور: «أي حادثة؟».

«سيخبرك عنها، وسأحاول اكتشاف شيء عن الجنود الذين ماتوا أو فقدوا هنا. يجب أن تسأل العقيد هنتر عن ذلك أيضاً».

ودّعا بعضهما، وتحرّك إرلندور بتثاقل إلى المطبخ ليحضّر قهوة، وهو لا يزال مستغرقاً في أفكاره.

حرقت القهوة الساخنة لسانه حين ارتشفها. تفادى التفكير في ما كان يشغل باله حقًّا، واستطاع إبقاءه بعيداً عن ذهنه تقريباً.

بدا إدوارد هنتر، العقيد السابق في الجيش الأمريكي، شخصاً أيسلندياً أكثر منه أمريكياً حين استقبل إرلندور وإيلنبورغ في منزله المستقل في كوبافوغور؛ مرتدياً سترته الصوفيّة مغلقة الأزرار، ولحيته البيضاء مشذّبة. كان شعره أشعث وخفيفاً بعض الشيء، لكنه كان بشوشاً ومهذّباً حين صافحهما وطلب منهما أن ينادياه إد، فذكّر

إرلنـدور بجيـم. أخبرهمـا أن زوجتـه فـي الولايـات المتحـدة لتـزور شقيقتها، في حين أن زياراته هو تصبح أقل شيئاً فشيئاً.

فـي طريقهمـا لزيـارة إد، أخبـرت إيلنبـورغ إرلندور نقلاً عن بارا أن خطيبة بنيامين كانت ترتدي معطفاً أخضر حين اختفت، وظنّت أن ذلك مثير للاهتمام، لكن إرلندور أوقف أي نقاش بقوله بفظاظة إنه لا يصدّق وجود أشباح. انتاب إيلنبورغ شعور بأن الموضوع قد أُغلق.

قادهمـا إد إلـى حجـرة جلـوس كبيـرة، ولـم ير إرلندور أثراً كبيراً يشير إلى حياة عسكرية حين نظر حوله. كانت أمامه لوحتان للطبيعة الأيسلندية الكئيبة، وتمثال خزفي أيسلندي، وصور أسرية مؤطرة. لا شيء يذكّر إرلندور بالحياة العسكرية أو الحرب العالمية الثانية.

متوقعاً مجيئهما، كان إد قد حضّر قهوة وشـاياً وبسـكويتاً. وبعد حديث لطيف أثار السـأم في نفوسـهم جميعاً، دخل الجندي العجوز صلب الموضوع، وسـأل كيف بإمكانه مسـاعدتهما. تكلم الأيسـلندية الفصحـى تقريبـاً، بعبـارات وجيـزة وقصيرة؛ وكأن انضباط الجيش قد علّمه الالتزام بذلك.

«أخبرنـا جيـم مـن السـفارة البريطانيـة أنـك قـد خدمـت هنا في أثنـاء الحـرب، وأمضيـت مـدة مـن الزمـن مـع الشـرطة العسـكرية، وعملـت فـي قضيـة تخص المسـتودع في موقـع ملعب الغولف حالياً في غرافارهولت».

قـال إد: «نعـم، ألعـب الغولـف هناك بانتظام الآن. سـمعت خبر اكتشاف العظام على التلة. وأخبرني جيم أنكم تظنون أنها ربما تكون لأحد رجالنا؛ بريطاني أو أمريكي».

سأل إرلندور: «هل وقعت حادثة معينة في المستودع؟».

قـال إد: «وقعـت حـوادث سـرقة، وهـذا يحـدث فـي معظـم

المستودعات. أظن أنهم يدعونها خسائر. سرقت مجموعة من الجنود مواد تموينية وباعتها إلى الأيسلنديين. بدأ الأمر على نطاق ضيق جدًّا، لكنهم أصبحوا تدريجياً أكثر ثقة بالنفس، فتحوّل الأمر في النهاية إلى عملية كبيرة جداً. كان أمين المستودع متورطاً معهم، وصدرت بحقهم أحكام بالسجن، ثم غادروا البلاد. أتذكر ذلك جيداً، وقد تصفّحت المفكّرة التي أحتفظ بها بعد أن اتصل بي جيم. تذكرت السرقة بوضوح، واتصلت أيضاً بصديقي منذ ذلك الوقت، فيل، الذي كان رئيسي، وتكلمنا عمّا جرى».

سألت إيلنبورغ: «كيف اكتُشفت السرقة؟».

«غلبهم الجشع، وكان من الصعب إخفاء سرقة على النطاق الذي يمارسونه، وانتشرت إشاعات عن مخالفة الأنظمة».

«من المتورّطون؟». أخرج إرلندور لفافة تبغ، وأومأ إد ليشير إلى أنه لا يمانع في أن يدخن، لكن إيلنبورغ رمقت إرلندور بنظرة مؤنبة.

«معظمهم مدنيون. وكان مدير المستودع أعلاهم رتبة، وأيسلندي واحد على الأقل. رجل عاش على التلة، على الطرف الآخر من المستودع».

«هل تتذكر اسمه؟».

«لا. عاش مع أسرته في كوخ غير مطلي. عثرنا هناك على سلع كثيرة أُخِذَت من المستودع. كتبتُ في مفكّرتي أن لديه ثلاثة أولاد: فتاة معوقة، بالإضافة إلى صبيين، والوالدة...».

أطبق الصمت على إد.

قالت إيلنبورغ: «ماذا بشأن الوالدة؟ كنت ستقول شيئاً عن الأم».

«أظن أنها أمضت وقتاً عصيباً جداً». صمت إد مجدداً واستغرق في أفكاره، وكأنه يحاول نقل نفسه إلى ذلك الزمن البعيد حين حقّق

في عمليّات السرقة، حيث دخل منزلاً أيسلندياً، وقابل امرأة عرف أنها ضحية عنف. لم تكن ضحية اعتداء حديث وقع مرة واحدة فقط، بل كان واضحاً أنها عانت سوء معاملة مستمرًّا ومنهجيًّا؛ جسديًّا ونفسيًّا.

لاحظها بصعوبة حين دخل المنزل مع أربعة رجال شرطة عسكرية آخرين. كان أولُ شيء رآه هو الفتاة المعوقة المستلقية على سريرها البائس في المطبخ، والصبيين اللّذين يقفان جنباً إلى جنب قربها، متسمّرين ومذعورين من اندفاع الجنود إلى الداخل، ثم رأى الرجل يقفز من خلف طاولة المطبخ. كانوا قد وصلوا من دون أن يشعر بهم أو يتوقّع حضورهم. كان بإمكانهم أن يعرفوا من نظرة واحدة إن كان هناك أشخاص خطرون أو يمثّلون تهديداً، لكن ذلك الرجل لم يكن ليثير أي مشكلة.

رأى المرأة بعد ذلك. كان الوقت في بداية الربيع، والجو مكفهراً، وقد استغرق الأمر منه لحظة لتعتاد عيناه الظلام في الداخل. كانت المرأة تقف مختبئة قرب ممر يقود إلى غرف أخرى. في البداية، اعتقد أنها من بين اللصوص، وأنها تحاول الهرب، فأسرع إلى الممر، وشهر مسدسه، وصرخ في الرواق وهو يوجّه سلاحه نحوها في الظلام. عندها، بدأت الفتاة المعوقة تصرخ، ووثب الصبيان عليه في الوقت نفسه، وهما يصيحان بشيء لم يفهمه، فخرجت من الظلام تلك المرأة التي لن ينساها أبداً ما دام على قيد الحياة.

أدرك فورا لماذا كانت تختبئ، فقد كان وجهها مليئاً بكدمات سيئة. كانت شفتها العليا متورّمة، وإحدى عينيها منتفخة لا تستطيع فتحها. نظرت إليه خائفة بالعين الأخرى، ثم أحنت رأسها وكأنها تفعل ذلك بشكل فطريّ، أو لأنها ظنّت أنه سيضربها. كانت ترتدي ثوباً رثًّا فوق آخر، وتنتعل حذاءً قديماً بالياً لبست تحته زوجاً من الجوارب،

وشعرها المتسخ يتدلى فوق كتفيها متعرّجاً وبعقد سميكة، حسبما رأى. كانت أتعس مخلوق رآه في حياته على الإطلاق.

شاهدها وهي تحاول تهدئة ابنيها، وفَهِم أنها لا تحاول إخفاء مظهرها، بل كانت تخفي خجلها.

صمت الأطفال، ولجأ الفتى الأكبر سنًّا إلى والدته. نظر إد إلى الزوج، ثمّ مشى نحوه، وصفعه على وجهه بقوةٍ، فتردّد صدى الصّفعة في المكان.

اختتم إد شهادته بقوله: «وذلك ما حدث. لم أستطع السيطرة على نفسي، ولا أعرف ما الذي أصابني. فقد كان شيئاً غير معقول حقًّا. يجري تدريب الجنديّ، كما تعرفان، على مواجهة أي شيء، وعلى الاحتفاظ بهدوئه مهما حدث. وكما تتخيلان، من المهم الحفاظ على رباطة الجأش في كل الأوقات، مع اندلاع الحرب وكل ما كان يحدث. لكن، عندما رأيت تلك المرأة... عندما رأيت ما كانت تعانيه - ومن الواضح أن ذلك لم يحدث مرة واحدة فقط - تخيّلت كيف كانت حياتها مع ذلك الرجل، وثار شيء ما في داخلي، وحدث شيء لم أستطع السيطرة عليه».

توقف إد عن الكلام، ثم قال وكأنه يحاول إخراج ذكرى المرأة التي كانت تسكن على التلة من ذهنه: «عملت شرطياً في بالتيمور لمدة سنتين قبل اندلاع الحرب. لم يكن ذلك يدعى عنفاً منزلياً آنذاك، لكنه كان بشعاً مثل كل أنواع العنف. رأيته هنا أيضاً، وقد أثار اشمئزازي دائماً. عرفت فوراً ما كان يجري، وقد كان يسرق منا أيضاً... لكن، حسناً، أصدرت إحدى محاكمكم حكماً بالسجن ضده. لا أظن أنه أمضى وقتاً طويلاً في السجن، ولا بدّ من أنّه عاد إلى المنزل، وضرب زوجته المسكينة ضرباً مبرحاً بعد عدّة شهور فقط».

قال إرلندور: «إذاً، أنت تتكلم عن عنف منزلي خطر».

قال إد: «أسوأ ما يمكن تخيّله. كان منظر تلك المرأة مروِّعاً حقًّا. كما أقول، أدركت فوراً ما كان يجري، وحاولت أن أتكلم معها، لكنها لم تكن تفهم كلمة إنكليزية. أخبرت الشرطة الأيسلندية عنها، لكنهم قالوا إنهم لا يستطيعون فعل شيء. لم يتغير ذلك كثيراً كما فهمت».

سألت إيلنبورغ: «أنت لا تتذكر أسماءهم، أليس كذلك؟ ألم تدوّنها على مفكّرتك؟».

«لا، لكن يجب أن يكون لديكم تقرير عن الحادثة؛ بسبب السرقة وعمله في المستودع. ينبغي أن تكون هناك لوائح بأسماء الموظّفين والعمال الأيسلنديين في المعسكر على التلة. لكن، ربما مرّ وقت طويل على ذلك».

سأل إرلندور: «ماذا عن الجنود؟ أولئك الذين أدانتهم محاكمكم».

«قضوا أحكامهم في سجن عسكري. فقد كانت سرقة مواد تموينية جريمة خطرة جداً، ثم أُرسلوا إلى الجبهة. كان ذلك نوعاً من الحكم بالإعدام».

«وقبضتم عليهم جميعاً».

«من يدري؟ لكن السرقات توقفت، وعادت عمليات الجرد إلى حالتها الطبيعية، وانتهت القضية».

«إذاً، أنت لا تظن أن أيًّا من هذا مرتبط بالعظام التي وجدناها؟».

«لا يمكنني قول ذلك».

«ألا تتذكر أحداً اختفى من صفوفكم، أو من صفوف البريطانيين؟».

«أتعني شخصاً فرّ من الجندية؟».

«لا، أعني حالة اختفاء لا تفسير لها. هل من الممكن أن يكون

الهيكل العظمي لجندي أمريكي من المستودع؟».

«ليست لدي ببساطة أي فكرة على الإطلاق».

تكلما مع إد وقتاً طويلاً، ومنحهما انطباعاً بأنّه قد استمتع بالحديث معهما، وبدا أنه يُمضي وقتاً طيباً في استعادة ذكريات الأيام الخوالي، مسلحاً بمفكّرته الثمينة. وسرعان ما كانوا يناقشون الوضع في سنوات الحرب في أيسلندا، وتأثير الوجود العسكري، حتى انتبه إرلندور إلى ذلك. كان عليهما عدم إضاعة الوقت على ذلك النحو. لذا، نهض إرلندور، وكذلك فعلت إيلنبورغ، وشكره كلاهما بحرارة.

نهض إد ليرافقهما إلى الخارج.

سأل إرلندور عند الباب: «كيف اكتشفتم أمر السرقة؟».

كرّر إد: «كيف اكتشفناها؟».

«ما كان دليلكم؟».

«آه، فهمت. مكالمة هاتفية. اتصل أحدهم بمقر قيادة الشرطة، وأبلغ عن سرقة كبيرة من المستودع».

«من أطلق صفارة الإنذار؟».

«أخشى أننا لم نكتشف ذلك قطّ، أو نعرف من كان».

* * *

وقف سيمون إلى جانب والدته، وراقب مدهوشاً الجنديَّ وهو يستدير إلى الخلف بمزيج من الدهشة والغضب، ويمشي عبر المطبخ، ويصفع غريمور على وجهه بقوة جعلته يقع أرضاً.

وقف الجنود الآخرون ساكنين من دون حراك عند الباب، في حين وقف الشخص الذي ضرب غريمور قربه وصرخ في وجهه بكلام لم يفهمه الأيسلنديون. لم يصدّق سيمون عينيه، ونظر إلى توماس الذي تسمّر في مكانه حين رأى ما حدث، ثم نقل بصره إلى ميكلينا،

فوجدها تحدّق برعب إلى غريمور الملقى على الأرض، ونظر إلى والدتهم فرأى دموعاً في عينيها.

كان غريمور قد أخذ على حين غرّة. عندما سمعوا سيارتي الجيب تتوقفان خارج المنزل، كانت الأم قد أسرعت إلى الممر حتى لا يراها أحد على تلك الحال بعينها السوداء وشفتها الممزقة. لم يكلّف غريمور نفسه عناء الوقوف، وبقي جالساً إلى الطاولة، وكأنه لا يقلق أبداً من اكتشاف ما كان يفعله بالمسروقات من المستودع. كان يتوقع مجيء أصدقائه الجنود مع مجموعة من السلع التي خططوا لتخزينها في المنزل، وكانوا سيذهبون في ذلك المساء إلى البلدة لبيع بعض الغنائم. كان لدى غريمور مال وفير آنذاك، وقد بدأ يتكلم عن الانتقال بعيداً عن التلة، وشراء شقة، وسيارة أيضاً؛ ولكن فقط حين يكون مزاجه جيداً.

قاد الجنود غريمور إلى الخارج، ووضعوه في إحدى سيارتي الجيب، وانطلقوا مبتعدين. قال قائدهم الذي طرح غريمور أرضاً من دون أيّ جهد يذكر - الذي مشى نحوه وضربه وكأنه لا يعرف كم كان غريمور قوياً - شيئاً لوالدتهم، ثم ودّعهم؛ ليس كلاماً بل مصافحة، وركب سيارة الجيب الأخرى.

سرعان ما أطبق الصمت على المنزل الصغير، وبقيت والدتهم واقفة في الممر، وكأن الاقتحام خارج قدرتها على الفهم. حرّكت عينيها بحذر شديد، ثم ثبّتت بصرها على شيء لم يكن بمقدور أحد سواها رؤيته. لم يسبق لهم أن شاهدوا غريمور ملقى على الأرض، أو يُضرب بقوة، أو عاجزاً، أو يسمعوا شخصاً يصرخ في وجهه من قبل قطّ. لم يفهموا ما حدث، أو كيف حدث، ولماذا لم يهاجم غريمور

الجنود ويبرحهم ضرباً. نظر الأولاد إلى بعضهم بعضاً، وكان الصمت خانقاً داخل المنزل، ثم نظروا إلى والدتهم حين سمعوا جميعاً صوتاً غريباً، واكتشفوا أنه صادرٌ من ميكلينا التي كانت تجلس القرفصاء في سريرها. سمعوا الصوت مجدداً، ورأوا أنها قد بدأت تقهقه، وتحولت القهقهة إلى ضحك خافت حاولت كبته في البداية، لكنها لم تستطع، فانفجرت ضاحكة. ابتسم سيمون، ثمّ بدأ يضحك أيضاً، وحذا توماس حذوهما. وبعد وقت قصير بدأ الثلاثة يصرخون بنوبات لا إرادية تردد صداها في المنزل، ثم انتقلت إلى التلة في طقس الربيع الجميل.

بعد ساعتين، توقفت شاحنة عسكرية قرب المنزل، ثمّ أفرغه الجنود من كل المسروقات التي كان غريمور وزملاؤه قد أخفوها في الداخل. راقب الصبيان الشاحنة وهي تبتعد، وركضا على التلة وشاهداها وهي تعود إلى المستودع حيث جرى تفريغ حمولتها.

لم يعرف سيمون ما كان قد حدث بالضبط. ولم يكن واثقاً إن كانت والدته تعرف أيضاً. لكن، حُكم على غريمور بالسجن، ولن يعود إلى المنزل قبل بضعة شهور. في البداية، استمرت الحياة على التلة كالمعتاد، ولم يبدُ أنهم قد تأثروا بعدم وجود غريمور؛ على الأقل في ذلك الوقت. تابعت والدتهم القيام بواجباتها المنزلية كما كانت تفعل دائماً، ولم تشعر بوخز الضمير من استخدام أموال غريمور التي اكتسبها بطريقة غير شرعية لتعيل نفسها وأولادها، وعثرت لاحقاً على عمل في مزرعة غوفنز، على بعد مسيرة نصف ساعة من المنزل.

عندما يكون الطقس جيّداً، كان الصبيان يحملان ميكلينا إلى الخارج لتجلس تحت أشعة الشمس. وأحياناً، كانا يصطحبانها معهما حين يذهبان لصيد الأسماك في رينيسفاتن. وإذا اصطادا عدداً كافياً من أسماك السلمون، كانت والدتهم تقليها في المقلاة وتجّهز وجبة

لذيذة لهم. وتحرّروا تدريجياً من القبضة التي كان غريمور يمسكهم بها؛ حتى وإن كان بعيداً. أصبح الاستيقاظ في الصباح أسهل من ذي قبل، واليوم ينقضي بسرعة من دون هموم، والمساء يمر بهدوء غير معتاد، مما أشاع جواً من الراحة جعلهم يطيلون السهر، ويتحدثون ويلعبون حتى لا يعود بمقدورهم فتح عيونهم.

على أيّ حال، كان لغياب غريمور أكبر الأثر في والدتهم. ففي أحد الأيّام، عندما أدركت أخيراً أنه لن يعود في المستقبل القريب، غسلت كل بوصة من سريرهما المزدوج، وأخرجت الفراش إلى الهواء في الساحة، ونظّفته من الغبار والتراب، ثم أخرجت اللحف ونظّفتها بضربها بالعصا، وغيّرت الملاءات القديمة، وغسلت أولادها بصابون أخضر وماء ساخن من حوض كبير وضعته على أرضية المطبخ، ثم غسلت بعناية شديدة شعرها ووجهها - الذي كان لا يزال يحمل علامات اعتداء غريمور الأخير عليها - وجسدها كله. ثمّ أمسكت بتردد مرآة، ونظرت إليها، ولمست عينها وشفتها. كانت قد أصبحت أشد نحولاً، وصار تعبير وجهها قاسياً، وأسنانها بارزة قليلاً، وعيناها غائرتين، وأنفها الذي كُسر مرة معقوفاً على نحو لا يمكن تمييزه تقريباً.

عند منتصف الليل، أخذت كل أولادها إلى سريرها ونام الأربعة هناك معاً، واعتاد الأولاد بعدها النوم في السرير الكبير مع والدتهم؛ ميكلينا فقط إلى يمينها والصبيان إلى يسارها، وكانوا سعيدين بذلك.

لم تزر غريمور في السجن قطّ، ولم يذكروا اسمه كل الوقت الذي أمضاه بعيداً عنهم.

في صباح أحد الأيام، بعد وقت قصير من اقتياد غريمور بعيداً، تجوّل الجندي ديف على التلة مع قصبة الصيد التي يمتلكها، ومرّ بجوار منزلهم، وغمز سيمون الذي كان يقف أمام البيت، وتابع طريقه

إلى هافرافاتن. تبعه سيمون، وتمدد بعيداً عنه مسافة مناسبة ليتجسس عليه. أمضى ديف اليوم كلّه بجانب البحيرة، مسترخياً كالعادة، من دون أن يشغل باله إن كان سيصطاد أي سمكة أم لا، لكنه اصطاد فعلاً ثلاثاً منها.

عندما حلّ المساء، عاد أدراجه على التلة، وتوقف بجانب منزلهم وأسماكه الثلاث مربوطة معاً من ذيولها. لم يكن ديف واثقاً بنفسه، أو ذلك ما بدا لسيمون الذي كان قد جرى عائداً إلى المنزل ليراقبه عبر نافذة المطبخ بعد أن تأكّد من أن ديف لا يستطيع رؤيته. حزم الجندي أمره أخيراً، ومشى نحو المنزل، وقرع الباب.

كان سيمون قد أخبر والدته عن الجندي، وهو الشخص نفسه الذي أعطاهم أسماك السلمون سابقاً، فخرجت واختلست النظر إليه، ثم عادت إلى الداخل، ونظرت إلى المرآة ورتّبت شعرها. بدا أنها شعرت بأنه سيعرّج عليهم في طريق عودته إلى الثكنات، واستعدت لتحيته حين يفعل ذلك.

فتحت الباب وابتسم ديف. قال شيئاً لم تفهمه، وأعطاها الأسماك، فأخذتها ودعته إلى الداخل. دخل المنزل، ووقف في المطبخ مرتبكاً، ثم أومأ للصبيين وميكلينا التي مدّت جسمها، وأجهدت نفسها لتلقي نظرة أفضل على الجندي الذي كان قد قطع كل تلك المسافة ليقف في مطبخهم ببزّته الرسمية وقبعته الغريبة التي تشبه قارباً مقلوباً رأساً على عقب، والذي تذكر فجأة أنه قد نسي خلعها حين دخل فنزعها عن رأسه محرجاً. كان متوسط الطول، وأكبر بالتأكيد من 30 سنة، ونحيلاً. كانت يداه جميلتي الشكل، وعبثتا بالقارب المقلوب، وحرّكتاه وكأنهما تعتصرانه بعد خروجه من الغسيل.

أشارت إليه أن يجلس إلى طاولة المطبخ ففعل، وقعد الصبيان

بجانبه، في حين حضّرت والدتهم قهوة حقيقية من المستودع، قهوة كان غريمور قد سرقها ولم يعثر الجنود عليها. كان ديف يعرف اسم سيمون، واكتشف أن توماس يدعى توماس. وكان نطق اسمه سهلاً عليه، وأمتعه لفظ اسم ميكلينا، فقاله مراراً وتكراراً بطريقة غريبة ضحكوا منها جميعاً. قال إن اسمه ديف ولش، وإنّه قادم من مكان يدعى بروكلين في أمريكا، وأخبرهم أنه جندي. لكن، لم تكن لديهم أي فكرة عمّا كان يتكلم عنه.

كرّر: «أنا جندي». لكنهم حدّقوا إليه فحسب.

شرب قهوته وبدا سعيداً جداً بها. جلست الأم إلى الطاولة قبالته؛ على الطرف الآخر.

قال: «فهمت أن زوجك في السجن، بجرم السرقة».

لم يحصل على رد.

ألقى نظرة على الأولاد، ثمّ أخرج ورقة من جيب سترته، وطواها بين أصابعه؛ وكأنه غير واثق ممّا يفعله بها، ثم مرّرها عبر الطاولة إلى والدتهم التي رفعتها، وفتحتها، وقرأت ما فيها، ثمّ نظرت إليه مذهولة، وأعادت بصرها إلى الورقة، وطوتها مجدداً، ووضعتها في جيب مئزرها.

استطاع توماس أن يجعل ديف يفهم أنه يجب أن يحاول مرة أخرى نطق اسم ميكلينا، وعندما فعل ذلك بدأوا جميعاً يضحكون مجدداً، وتغضّن وجه ميكلينا بفرحة غامرة.

زار ديف ولش منزلهم بانتظام طوال ذلك الصيف، وأصبح صديقاً للأولاد ووالدتهم. واصطاد من البحيرة الأسماك التي أعطاهم إيّاها. وأحضر لهم أشياء صغيرة من المستودع تبين أنها مفيدة لهم. لعب مع الأولاد الذين شعروا بسعادة خاصة بسبب وجوده معهم

هنـاك، وحمـل دائمـاً دفتـر ملاحظاته في جيبه ليتأكّد من أنهم يفهمون لغته الأيسلنديّة، وضحكوا كثيراً حين ترجم عبارة إلى اللغة الأيسلنديّة. كان تعبيـر وجهـه الرزيـن يبـدو غريبـاً تماماً حين يتحدث. وكان يلفظ الكلمات بالطريقة التي يتكلم بها طفل في الثالثة من عمره.

لكنه كان يتعلّم بسـرعة. وسـرعان ما أصبح فهم ما يقوله سـهلاً بالنّسبة إليهم، وكذلك فهمه ما يتكلمون عنه. دلّه الصبيان على أفضل الأماكن لصيد الأسـماك، ومشـيا معه على التلة حول البحيرة بفخر، وتعلّما منه كلمات إنكليزية، وأغانيَ أمريكية كانا قد سمعاها من قبل من الجنود في المستودع.

وطّـد ديـف علاقـة خاصـة مع ميكلينـا، وقد حظي بثقتها الكاملة بعد وقت قصير. وكان يحملها إلى الخارج في الطقس الجيد لاختبار مـا يمكنهـا تحقيقـه. كانـت طريقته تشـبه مـا تفعله لها والدتها؛ إذ كان يحرّك لها ذراعيها وساقيها، ويسندها حين تمشي، ويساعدها في كل أنواع التمارين. وفي أحد الأيّام، أحضر معه طبيباً عسـكرياً ليفحص ميكلينا. فحص الطّبيب عينيها وحلقها، وحرّك رأسها، وتحسس عنقها وعمودها الفقري. كان يحمل قطعاً خشبية من أحجام مختلفة، وجعلها تضعها في ثقوب تناسبها، وهو أمر لم يستغرق منها وقتاً طويلاً. قيل له إنها مرضت حين كانت في الثالثة من عمرها، وإنّها تفهم ما يقوله الناس لها، لكنها لا تسـتطيع أن تنطق كلمة إلا بصعوبة بالغة، وإنها تسـتطيع القـراءة، وتعلمهـا والدتهـا الكتابـة. أومأ الطبيـب وكأنه فهم، وظهـر تعبيـر ذو معنـى علـى وجهـه، وأجـرى حديثـاً طويـلاً مع ديف بعـد الفحـص. وعندمـا غـادر، اسـتطاع ديـف أن يجعلهـم يفهمون أن عقل ميكلينا سـليم تماماً. كانوا يعرفون ذلك سـلفاً، لكنه قال عندئذ إنـه بمـرور الوقـت، وإجـراء تدريبات مناسـبة، وبذل الكثير من الجهد

ستستطيع ميكلينا المشي من دون مساعدة.

«ستستطيع أن تمشي؟». مرّرت والدتها يدها على شعرها.

أضاف ديف: «وأن تتكلم على نحو طبيعي ربما. هل أخذتموها إلى طبيب من قبل؟».

قالت بحزن: «كل هذا خارج نطاق قدرتي».

قال ديف: «إنها بخير. امنحيها فقط بعض الوقت».

كانت والدتهم قد توقفت عن سماع ما يقوله.

قالت فجأة: «إنه رجل فظيع». وأصغى أولادها بانتباه شديد لأنهم لم يكونوا قد سمعوها سابقاً تتكلم عن غريمور بالطريقة التي تكلمت بها عنه في ذلك اليوم. تابعت: «إنّه رجل فظيع، ومخلوق بائس وضيع لا يستحق العيش. لا أعرف لماذا يُسمح لأمثاله بالعيش! لا أفهم. لماذا يُسمح لهم بفعل ما يريدونه؟ ما الذي يجعل الناس على تلك الحال؟ ما الذي حوّله إلى وحش؟ لماذا يتصرف مثل حيوان سنة بعد أخرى، فيهاجم أولاده ويذّلهم، ويهاجمني ويضربني حتى أرغب في الموت وأفكر كيف...».

أطلقت تنهيدة عميقة وذهبت لتجلس بجانب ميكلينا.

«تشعر بالخجل لأنكَ ضحية رجل مثله، وتختفي في عزلة كاملة، وتمنع الجميع من دخول عالمك، حتى أولادك؛ لأنك لا تريد أن يضع أحد قدمه هناك؛ أي شخص. وتستجمع قواك للاعتداء التالي الذي يأتي فجأة، ويكون مملوءاً حقداً لسبب أو لآخر لا تعرفه، وتُمضي حياتك كلها وأنت تنتظر الاعتداء التالي: متى سيقع؟ كم سيكون سيئاً؟ ما السبب؟ كيف يمكنني تفاديه؟ كلما بذلت جهداً أكبر لإسعاده، جعلته يزداد نفوراً. وكلما ازداد خضوعي له وخوفي منه، ازداد اشمئزازاً مني. وإذا قاومت، يصبح لديه سبب جديد ليضربني

ضرباً مبرحاً. ليست هناك طريقة لفعل الشيء المناسب. ليست هناك طريقة».

«حتى يصبح كل ما تفكر فيه هو كيف تنتهي من ذلك. لا يهم كيف. لكن، المهم أن ينتهي».

أطبق صمت ثقيل عليهم. كانت ميكلينا تستلقي على سريرها ساكنة من دون حراك، فيما اقترب الصبيان من والدتهما، وأصغيا السمع مشدوهين من كل كلمة. لم تكن قد فتحت من قبل قطّ نافذة العذاب الذي بقيت تعانيه وقتاً طويلاً حتى نسيت كل شيء آخر.

قال ديف: «سيكون كل شيء على ما يرام».

قال سيمون بصوتٍ رزين: «سأساعدك».

فنظرت إلى ابنها قائلة: «أعرف يا سيمون. ولطالما عرفت ذلك يا عزيزي سيمون».

انقضت الأيام، وكرّس ديف كل وقت فراغه للأسرة على التلة، وأمضى وقتاً أطول مع والدة الأطفال في المنزل، أو مشياً حول رينيسفاتن ووصولاً إلى هافرافاتن. أراد الصبيان رؤيته وقتاً أطول، لكنه كان قد توقف عن الذهاب إلى صيد الأسماك معهما، وأمضى وقتاً أقل مع ميكلينا، لكنهم لم يعترضوا على ذلك. لاحظوا التغيير الذي طرأ على والدتهم، وأرجعوا السبب إلى ديف، وكانوا سعيدين من أجلها.

في يوم خريفي جميل، بعد نصف سنة تقريباً من اقتياد الشرطة العسكرية غريمور بعيداً عن التلة، رأى سيمون ديف ووالدته من بعيد. كانا يمشيان نحو المنزل، وهما قريبان جداً من بعضهما. ولاحظ أنهما يمسكان يدي بعضهما. عندما اقترب منهما أفلتا يديهما، وابتعدا عن

بعضهما، وأدرك سيمون أنهما لا يرغبان في أن يراهما أحد على تلك الحال.

في ذلك الخريف، سأل سيمون والدته ذات مساء، بعد أن كان الغسق قد حلّ على التلة: «ماذا ستفعلان أنتِ وديف؟». كانا يجلسان في المطبخ، وتوماس وميكلينا يلعبان الورق، وكان ديف قد غادر بعد أن أمضى اليوم معهم، وعاد إلى المستودع. بقي السؤال معلقاً طوال الصيف، وقد ناقشه الأطفال في ما بينهم، وتخيلوا كل أنواع الأوضاع التي تنتهي بأن يصبح ديف والداً لهم، وبطرد غريمور من حياتهم إلى الأبد.

قالت والدته: «ماذا تعني بقولك ماذا سنفعل؟».

قال سيمون الذي لاحظ أن توماس وميلكينا قد توقفا عن لعب الورق ويراقبانه آنذاك: «حين يعود».

قالت والدتهم: «لا يزال هناك متسع من الوقت للتفكير في ذلك. لن يعود قبل مدة طويلة».

«لكن، ماذا ستفعلان؟». أدار توماس وميكلينا رأسيهما وهما ينظران تارة إلى سيمون، وطوراً إلى والدتهما.

نظرت الأمّ إلى سيمون، ثم إلى ولديها الآخرين، وقالت: «سيساعدنا».

قال سيمون: «من؟».

«ديف، سيساعدنا».

«ماذا سيفعل؟». نظر سيمون إلى والدته، محاولاً أن يفهم ما تعنيه، فنظرت إلى عينيه مباشرة.

«ديف يعرف ذلك النوع من الأشخاص، ويعرف كيف يتخلص منهم».

كرّر سيمون: «ماذا سيفعل؟».

أجابت والدته: «لا تقلق بشأن هذا».

«هل سيتخلص منه من أجلنا؟».

«نعم».

«كيف؟».

«لا أعرف. يقول إنه كلما كان الذي نعرفه أقل، كان ذلك أفضل لنا. ولم يكن يفترض بي أن أخبركم بهذا الأمر أيضاً. ربما سيتكلم معه، ويخيفه حتى يتركنا. يقول إن لديه أصدقاء في الجيش يمكن أن يساعدوه إذا دعت الحاجة».

«لكن، ماذا إن غادر ديف؟».

«غادر؟».

قال سيمون: «ماذا سيحصل إن غادر أيسلندا. لن يبقى هنا دائماً، فهو جندي، وهم يرسلون الجنود بعيداً طوال الوقت، ويبعثون آخرين جدداً إلى الثكنات. ماذا إن غادر؟ ماذا سنفعل عندها؟».

عندها، نظرت الأمّ إلى ابنها، وقالت بصوت خافت: «سنجد طريقة. سنعثر على شيء ما حينها».

19

اتصل سيغوردور أولي بإرلندور، وأخبره عن لقائه إلزا، وأنها تظن أن رجلاً آخر - ذاك الذي جعل خطيبة بنيامين حاملاً - متورط في القضية، لكن هويته غير معروفة. تكلما حول المسألة لبعض الوقت، وأخبر إرلندور سيغوردور أولي ما كان قد اكتشفه من المحارب القديم إد هنتر بشأن السرقة من المستودع، وكيف اعتُقل المسؤول عن الأسرة التي تقيم على التلة بسبب دوره فيها، ووفقاً لرأي إد فقد كانت زوجة الرجل ضحية عنف منزلي، وأن ذلك يتوافق مع إفادة هوسكولدور الذي كان قد سمع ذلك من بنيامين.

قال سيغوردور أولي متعباً: «كل هؤلاء الناس توفوا ودُفنوا منذ وقت طويل. لا أعرف لماذا نلاحقهم، فالأمر مثل مطاردة أشباح، ولم نلتقِ قطّ أيًّا منهم أو نتحدث إليه. إنهم جميعاً جزء من قصة أشباح».

سأل إرلندور: «هل تتكلم عن المرأة ذات الرّداء الأخضر على التلة؟».

«قالت إيلنبورغ إن روبرت قد رأى شبح سولفيغ يرتدي معطفاً أخضر. ولهذا نحن متورطون في البحث عن شبح».

«لكن، ألا ترغب في أن تعرف من الموجود في ذلك القبر وإحدى يديه بارزة نحو الأعلى وكأنه قد دُفن حيًّا؟».

قال سيغوردور أولي: «لقد أمضيت يومين حبيس قبو متسخ، ولا أهتم بذلك إطلاقاً». تذمّر: «أنا لا أكترث أبداً بكلّ ذلك الهراء». وأنهى المكالمة.

كان ذهن إرلندور مشغولاً كالعادة بإيفا ليند، التي كانت تستلقي في العناية الفائقة، وفرص نجاتها ضئيلة جداً. وعاد بذاكرته إلى الجدال الأخير الذي دار بينهما في شقته، قبل شهرين. كان الوقت لا يزال شتاءً آنذاك، والثلج يهطل غزيراً، والجو مظلماً وبارداً. لم يكن ينوي الجدال معها، أو خطط ليفقد أعصابه، لكنها لم تمنحه أي فرصة؛ كالمعتاد.

قال وهو يحاول جاهداً إقناعها: «لا يمكنك فعل ذلك بالجنين».

افترض أنها كانت حاملاً منذ خمسة شهور، وقد استجمعت قواها حين عرفت أنها حامل، وبدا بعد محاولتين أنها تستطيع التخلص من عادة الإدمان على الممنوعات. منحها كل الدعم الذي يستطيعه. لكن، كان كلاهما يعرفان أن تأثير ذلك لن يكون كبيراً، وأن علاقتهما من نوع تدخل أقل من جانبه يعني نجاحاً أكبر من جانبها. تناقضت مواقف إيفا ليند تجاه والدها. فبالرغم من أنها كانت تنشد صحبته، إلا أنها اعتبرت كل ما يتعلق به خاطئاً.

قالت: «ماذا تعرف عن ذلك؟ ماذا تعرف عن الأولاد؟ أنا واثقة أنني أستطيع إنجاب طفلي، وسأفعل ذلك بنفسي».

لم يكن يعرف إن كانت قد تناولت ممنوعات أو شراباً أو مزيجاً من الاثنين. لكنها لم تكن بحالتها العقلية السليمة حين فتح لها الباب ودخلت منزله، ولم تجلس على أريكته بهدوء، وإنما رمت نفسها عليها. كان بطنها يبرز من تحت سترتها الجلدية المفتوحة، وأصبح حملها ظاهراً للعيان. لم تكن ترتدي إلا قميصاً رقيقاً تحت السترة، في حين كانت الحرارة في الخارج عشر درجات تحت الصفر على الأقل.

«ظننت أننا...».

قاطعته: «ليس بيننا شيء، أنت وأنا. لم نتفق على شيء».

«ظننت أنك قررت العناية بطفلك، والتّأكد من عدم حدوث

شـيء له، ومن عدم تأثير الممنوعات فيه. كنت سـتمتنعين عن تناول الممنوعات؛ لكنك على الأرجح لم تسـتطيعي القيام بذلك. لذا، لن تتمكني على الأرجح من العناية بطفلك».

«اخرس».

«لماذا جئت إلى هنا؟».

«لا أعرف».

«إنـه ضميـرك، أليـس كذلـك؟ ضميـرك يؤنبـك، وتتوقعيـن أن أتعاطـف مـع حالتـك المريعـة، ولهـذا جئـت إلـى هنـا؛ لتنالـي بعض الشفقة، ويصبح شعورك أفضل حيال نفسك».

«تمامـاً. هـذا هـو المـكان المناسـب الذي يجـب أن آتي إليه إذا أردت ضميراً أيها الأبله».

«ستختارين الاسم، هل تتذكرين؟ إذا كانت فتاة».

«أنت قرّرت ذلك، وليس أنا. أنت، كما هي الحال دائماً. أنت تقرر كل شـيء. إذا أردت أن تتخلّى عني فافعل ذلك وحسـب، ولا تتحدث بذلك الهراء عني أو عن أي شخص آخر».

«يُفترض أن تدعى أودور. وأنتِ أردت ذلك».

«ألا تظن أنني أعرف لعبتك؟ ألا تظن أنني أفهم ما ترمي إليه؟ أنت خائف جدًّا... أعرف ما أحمله في أحشـائي؛ إنه إنسـان. أعرف ذلك، ولست مضطراً إلى تذكيري، ولا داعيَ إلى هذا».

قال إرلندور: «جيد. لأنه يبدو أحياناً أنك تنسين أن هناك أحداً آخر يجب أن تفكري فيه. أنت لا تضرّين نفسك فقط. فعندما تفعلين ذلك أنت تضرّين الجنين أيضاً؛ أكثر منك بكثير».

توقف عن الكلام.

قال: «ربما ارتكبت خطأ بعدم إجهاضه».

نظرت إليه.

«اللعنة عليك!».

«إيفا...».

«أخبرتني أمي. وأعرف بالضبط ما تريده».

«ماذا؟».

«ويمكن أن تقول إنها كاذبة، لكنني أعرف أن ذلك صحيح».

«ما الذي تتكلمين عنه؟».

«قالت إنك ستنكر ذلك».

«أنكر ماذا؟».

«أنك لم ترد أن أولد».

«ماذا؟».

«لم ترغب في أن أولد، حين جعلتها تحمل».

«ماذا قالت والدتك؟».

«أنك لم ترد أن أولد».

«إنها تكذب».

«كنت ترغب في أن تجهض...».

«تلك كذبة».

«... ثم تحكم علي، بغض النظر عمّا أقوم به. تحكم علي دائماً».

«ذلك ليس صحيحاً، ولم أفكّر فيه. لا أعرف لماذا أخبرتك بذلك، لكنه ليس صحيحاً. لم يكن ذلك خياراً مطروحاً، أو لم نذكر الأمر إطلاقاً».

«عرفت أنك ستقول هذا، وحذّرتني».

«حذّرتك؟ متى أخبرتك كل هذا؟».

«حين عرفت أنني حامل. قالت إنك أردتها أن تجهض، وإنك

ستنكر ذلك، وستقول كل ما قلته الآن».

نهضت إيفا ليند ومشت نحو الباب.

«إنها تكذب يا إيفا، صدّقيني. ولا أعرف لماذا قالت ذلك. أعرف أنها تكرهني، لكن ليس إلى ذلك الحد بالتأكيد. إنها تتلاعب بك، ويجب أن تفهمي ذلك. وقولها ذلك الشيء... أمر... مثير للاشمئزاز. يمكنك إخبارها ذلك».

صرخت إيفا ليند: «أخبرها بنفسك، إذا كنت تجرؤ».

«إنّه أمرٌ مثير للاشمئزاز أن تقول لك ذلك. لقد اختلقت تلك القصة لتسمم علاقتنا فقط».

«في الواقع أنا أصدّقها».

«إيفا...».

«اخرس».

«سأخبرك لماذا ما قالته لك ليس صحيحاً، ولماذا لا يمكنني قطّ...».

«لا أصدّقك!».

«إيفا... كنت...».

«أغلق فمك، فأنا لن أصدّق كلمة مما ستقوله».

قال: «إذاً، يجب أن تخرجي من هنا».

استفزّته: «نعم، صحيح، تخلص مني».

«اخرجي!».

صرخت: «أنت بغيض». ثم اندفعت إلى الخارج.

ناداها: «إيفا!». لكنها كانت قد ذهبت.

لم يسمع منها أيّ خبر أو يرها حتى رنّ جواله عندما كان يقف قرب الهيكل العظمي على التلة بعد شهرين من ذلك.

جلس إرلندور في سيارته، وهو يدخن ويفكر في أنه كان يجب أن يتصرف على نحو مختلف؛ فيتناسى كبرياءه، ويلحق بإيفا بعد أن هدأ غضبه، ويخبرها مجدداً أن والدتها كانت تكذب، وأنه ما كان ليقترح أن تجهض قطّ، أو شيئاً من هذا القبيل، ويتركها حتى ترسل له نداء استغاثة. لم تكن ببساطة ناضجة كفاية لتختبر ذلك كله، ولم تدرك ما كانت قد أقحمت نفسها فيه، أو لم يكن لديها حس بالمسؤولية.

كان إرلندور يخشى من نقل الخبر لها حين تستعيد وعيها؛ إذا استعادته أصلاً. ولكي يُلهي نفسه عن التفكير، أمسك الهاتف، واتصل بسكارفيدين.

قال عالم الآثار: «تحلَّ ببعض الصبر، وتوقف عن الاتصال بي طوال الوقت. سنعلمك حين نصل إلى العظام».

كان سكارفيدين يتصرف وكأنه قد تولى إدارة التحقيق، ويصبح أكثر تعجرفاً مع مرور الوقت.

«متى سيحدث ذلك؟».

قال: «يصعب تحديد ذلك». وتخيل إرلندور أسنانه الصفراء.

«يجب أن ننتظر ونرى. دعنا بسلام لنتابع العمل».

«يجب أن تقول لي شيئاً. هل كان رجلاً؟ امرأة؟».

«الصبر مفتاح كل أحجية...».

أنهى إرلندور المكالمة. كان يشعل لفافة تبغ أخرى حين رنّ الهاتف، وتبين أنه جيم من السفارة البريطانية. قال له جيم إن إد والعاملين في السفارة الأمريكية قد اكتشفوا لائحة بأسماء موظفين أيسلنديين كانوا يعملون في المستودع، وأنه تلقاها آنذاك بالفاكس. لم يكن إرلندور قد وجد أيّ معلومات عن موظفين أيسلنديين حين كان البريطانيون في المستودع. كانت هناك تسعة أسماء في اللائحة،

وقرأهـا جيـم لإرلنـدور عبـر الهاتـف، فلم يتعرف هذا الأخير على أي منهم، وزوّد جيم برقم فاكس مكتبه حتى يستطيع إرسالها إلى هناك.

قاد إرلندور سيارته إلى فوغار وركنها - كما حدث سابقاً - بعيدة قليلاً عن القبو الذي كان قد اندفع إليه بحثاً عن إيفا ليند. انتظر متسائلاً عن السبب الذي يجعل بعض الرجال يتصرفون بالطريقة التي تصرف بها ذلك الرجل مع زوجته وطفلته، لكن النتيجة التي توصل إليها كانت النتيجة المعتادة: كانوا معتوهين لعينين. لم يسـتطع أن يحدد ما يريد أن يفعله بذلك الرجل، أو إن كان يريد شيئاً أكثر من التجسس عليه من حيث يجلس في سيارته. لم يتمكن من أن يمحو من ذهنه صورة الطفلة الصغيرة التي تحمل آثار حروق لفائف تبغ على مؤخرتها. أنكر الرجل أنه قد فعل شيئاً للطفلة، وأيّدت الوالدة ادّعاءه، لهذا لم تستطع السلطات فعل شيء باستثناء إبعاد الطفلة عنهما. كانت قضية الرجل مع النائب العام، ولم يكن إرلندور يعرف إن كانت ستتم مقاضاته أم لا.

أمعن إرلندور التفكير في الخيارات المتاحة له. لم يكن عددها كبيراً، وكانت كلها سيئة. لو كان الرجل قد عاد إلى الشقة في الليلة التي كان إرلندور يبحث فيها عن إيفا ليند ووجد الطفلة جالسة على الأرض وهناك حروق على مؤخرتها، لكان ضرب ذلك السادي. كانت عدة أيام قد انقضت منذ ذلك الوقت. ولم يكن بإمكانه مهاجمته فجأة جزاء ما اقترفته يداه، أو الذهاب إليه مباشـرة وضربه؛ بالرغم من أن ذلك كان أقصى ما يرغب فيه. كان إرلندور يعرف أنه لا يستطيع أن يتكلم معه، فرجال مثل هؤلاء يضحكون من التهديدات، وسيضحك في وجه إرلندور.

لم ير إرلندور أحداً يدخل المبنى أو يخرج منه طوال سـاعتين أمضاهما جالساً في سيارته وهو يدخن.

في النهاية، تخلّى عن الأمر، وقاد سيارته إلى المستشفى لرؤية ابنته، وحاول نسـيان كل ذلك؛ تماماً مثل كل شـيء آخر أراد نسـيانه من الماضي.

20

تلقــت إيلنبــورغ اتصــالاً من ســيغوردور أولــي حين وصلت إلى مكتبها، أخبرها فيه أن بنيامين لم يكن على الأرجح والد الطفل الذي كانت خطيبته تتوقعه، مما وضع حدًّا لخطبتهما، وأن والد سولفيغ قد شنق نفسه بعد اختفاء ابنته، وليس قبل ذلك كما قالت بارا في البداية.

ذهبت إيلنبورغ إلى مكتب الإحصاء الوطني، وتصفّحت شهادات الوفاة قبل أن تنطلق بسيارتها إلى غرافارفوغر. لم تكن تحب أن يكذب أحد عليها، خاصة النساء الأنيقات المتكلّفات.

أصغت بارا إلى إيلنبورغ وهي تسرد ما كانت إلزا قد قالته عن الوالــد المجهــول لطفــل ســولفيغ، وبقــي وجهها خاليــاً من أي انفعال كعادته.

سألت إيلنبورغ: «هل سمعت هذا من قبل؟».

«هل تقصدين إن كنت قد سمعت أنّ شقيقتي كانت غانية؟ لا، لـم أسمع ذلك من قبل، ولا أفهم لماذا تقولين هذا لي الآن، بعد كل تلك الســنوات. لا أفهم ذلك. يجب أن تتركي شــقيقتي ترقد بســلام، فهي لا تستحق أن تُثار أقاويل عنها. من أين جاءت هذه... هذه المرأة إلزا بقصتها؟».

قالت إيلنبورغ: «من والدتها».

«وهي سمعتها من بنيامين؟».

«نعم، لم يخبر أحداً بذلك حتى أصبح على فراش الموت».

«هل عثرتم على خصلة من شعرها في منزله؟».

«وجدناها صُدفة».

«وهل سترسلونها مع العظام لإجراء اختبارات عليها؟».

«أتوقع ذلك».

«إذاً، تظنون أنه قتلها. بنيامين ذلك الشرير قتل خطيبته. أظن أن هذا سخيف جدًّا. لا أفهم كيف يمكنك تصديق ذلك».

توقفت بارا عن الكلام واستغرقت في أفكارها.

سألت: «هل سيظهر ذلك في الصحف؟».

قالت إيلنبورغ: «لا فكرة لدي. لكن العثور على العظام حظي بتغطية إعلامية واسعة».

«أعني هل سيُذكَر أن شقيقتي قد قُتلت؟».

«إذا كانت تلك هي النتيجة التي سنتوصل إليها. هل تعرفين من قد يكون والد طفلها؟».

«كان بنيامين الرجل الوحيد الذي عرفته وأحبّته».

«ألم يكن هناك ذكر لأحد آخر؟ ألم تتكلم معك شقيقتك عن أي رجل آخر؟».

هزّت بارا رأسها قائلة: «لم تكن شقيقتي بغيًّا».

تنحنحت إيلنبورغ.

«أخبرتني أن والدك قد انتحر قبل اختفاء شقيقتك».

نظرتا إلى عيني بعضهما قليلاً، قبل أن تقف بارا وهي تقول: «أظن أنك يجب أن تغادري الآن».

«لم أكن أنا من بدأت بالتكلم عن والدك. تأكّدت من شهادة وفاته في مكتب الإحصاء المركزي، وبخلاف بعض الناس، فإن المكتب نادراً ما يكذب».

قالت بارا، لكن من دون تغطرسها السابق: «ليس لدي شيء

آخر أقوله لك».

«لا أظن أنكِ كنت ستذكرينه إن لم ترغبي في الحديث عنه؛ في أعماقك».

قالت بسرعة: «هذا هراء لعين! هل تؤدين دور عالم النفس الآن؟».

«توفي بعد ستة شهور من اختفاء شقيقتك. ولم يُذكر في شهادة وفاته أنه قتل نفسه، كما لم يُذكر سببٌ للوفاة. كان كل شيء طبيعياً، ولا يمكن استخدام كلمة انتحار. وتقول الوثيقة إنه توفي فجأة في منزله».

أدارت بارا ظهرها إلى إيلنبورغ.

قالت إيلنبورغ وهي تقف: «هل هناك أي احتمال في أن تبدئي بإخباري الحقيقة؟ ما كانت علاقة والدك بهذا؟ لماذا ذكرته؟ من جعل سولفيغ حاملاً؟ هل كان هو؟».

لم تتلقَ رداً، وأطبق عليهما الصمت كليًّا. نظرت إيلنبورغ في أرجاء الغرفة الفسيحة إلى كل القطع الجميلة: صورها وصور زوجها، الأثاث الثمين، البيانو الأسود، صورة بارا مع زعيم حزب المحافظين الموجودة في مكان بارز. يا لها من حياة خاوية! كما فكّرت.

قالت بارا أخيراً، وهي لا تزال تدير ظهرها إلى إيلنبورغ: «أليس لكل أسرة أسرارها؟».

قالت إيلنبورغ: «أتخيل ذلك».

قالت بارا بتردد: «لم يكن والدي. ولا أعرف لماذا كذبت عليك بشأن موته. إذا أردت لعب دور عالم النفس يمكن أن تقولي إنني في أعماقي أردت أن أعترف لك بكل شيء. فقد التزمت الصمت لمدة طويلة. لكن، عندما بدأتِ تتكلمين عن سولفيغ نُكث الجرح

مجدداً. لا أدري».

«من كان إذاً؟».

قالت بارا: «ابن شقيقه من فليوت. حدث ذلك في إحدى زياراتها الصيفية».

«كيف اكتشفت أسرتك الأمر؟».

«كانت مختلفة تماماً حين عادت. أمي... لاحظت والدتنا ذلك مباشرة، وبالطبع كان من المستحيل إخفاء الأمر لوقت طويل».

«هل أخبرت والدتك عمّا حدث؟».

«نعم. وسافر والدنا شمالاً، لكنني لا أعرف أكثر من ذلك. عندما وصل إلى هناك كان الفتى قد أُرسل إلى الخارج، أو هذا ما قاله السكان المحليون. كان جدّي يدير مزرعة كبيرة، ولم يكن لديه أبناء غير الشقيقين. انتقل والدي جنوباً إلى هنا، وأنشأ عملاً، وأصبح ثرياً، وأحد أعمدة المجتمع».

«ماذا حدث لابن الشقيق؟».

«لا شيء. قالت سولفيغ إنه تقرّب منها واغتصبها. لم يعرف والداي ماذا يجب أن يفعلا، ولم يرغبا في مقاضاته تفادياً لكل الجلبة القانونية والأقاويل التي سيثيرها ذلك. عاد الفتى بعد عدّة سنوات واستقر هنا في ريكيافيك، وكوّن أسرة. توفي قبل نحو 20 سنة».

«ماذا عن سولفيغ والطفل؟».

«طُلب من سولفيغ إجهاضه لكنها رفضت، ولم توافق على التخلص من الطفل، ثم اختفت في أحد الأيّام».

استدارت بارا لتواجه إيلنبورغ.

«يمكنك القول إن ذلك دمّرنا. تلك الرحلة الصيفية إلى فليوت دمّرتنا بوصفنا أسرة. لقد شكّلت بالتأكيد حياتي كلها؛ لأنني اضطررت

إلى التستر عن ذلك الموضوع بسبب كبرياء الأسرة، فقد كان من المحرّمات. لم يكن بمقدورنا أن نذكر الحادثة إطلاقاً، وقد تأكّدت والدتي من ذلك. أعرف أنها تكلمت مع بنيامين لاحقاً، وشرحت له المسألة. جعل ذلك موت سولفيغ شأنها وحدها؛ أعني سولفيغ، وسرّها، وخيارها. كنا جميعاً بخير، ونتميز بالعفّة والاحترام. لقد جُنّت وألقت بنفسها في البحر».

نظرت إيلنبورغ إلى بارا، وشعرت فجأة بالشفقة عليها بسبب الكذبة التي كانت مرغمة على عيشها.

تابعت بارا: «فعلت ذلك بنفسها، ولا علاقة لنا به. كان ذلك شأنها».

أومأت إيلنبورغ.

قالت بارا: «إنها لا ترقد هناك في التلة، وإنما في قاع البحر. وهي هناك منذ أكثر من 60 سنة فظيعة».

جلس إرلندور بجانب إيفا ليند بعد أن تكلم مع طبيبها الذي قال الشيء السابق نفسه: حالتها لم تتغير، ووحده الزمن كفيل بإيضاح النتيجة. جلس إلى جانب سرير ابنته، متسائلاً عمّا يجدر به أن يتكلم عنه هذه المرة، لكنه لم يحزم أمره.

مرّ الوقت، وكان جناح العناية الفائقة هادئاً. وبين الحين والآخر، يمر أمام الباب طبيب أو ممرضة تنتعل حذاءً أبيض طرياً يصدر صوت صرير فوق الأرض المشمّعة.

ذاك الصرير.

راقب إرلندور ابنته، ثمّ بدأ يتكلم معها بصوت خافت، وبشكل تلقائيّ، وهو يخبرها عن شخص مفقود كان قد فكّر فيه ملياً، ولوقت

طويل، وربما، حتى بعد كل تلك السنين، لم يفهمه تماماً.

بدأ يخبرها عن فتى يافع انتقل إلى ريكيافيك مع والديه، لكنه يشتاق دائماً إلى منزله في الريف. كان الفتى صغيراً، ولم يفهم سبب انتقالهم إلى المدينة التي لم تكن في ذلك الوقت مدينة، وإنما بلدة كبيرة بجانب البحر. أدرك لاحقاً أن القرار كان نتيجة عوامل عديدة.

بدا منزله الجديد غريباً بالنسبة إليه منذ البداية. كان قد عاش حياة ريفية بسيطة ومنعزلة. فقد شاهد فصول صيف دافئة، وشتاءً قاسياً، وسمع حكايات عن أسرته التي كانت قد عاشت في الريف دائماً، وبقي معظم أفرادها مزارعين صغاراً وفقراء جدًّا طوال قرون. كان أولئك الناس أبطاله الذين سمع عنهم في قصص الحياة اليومية التي كانت تُسرد طوال سنوات وعقود، وتتضمن توثيقاً لرحلات خطرة أو كوارث، أو حكايات مرحة جدًّا يضطر رواتها إلى اللهاث طلباً للهواء في أثناء روايتها بسبب ضحكهم المتواصل، أو ينفجرون في نوبات من السعال التي تجعلهم يتكوّرون على أنفسهم، وهم يتمتمون ويرتعشون سعادة. كانت كل تلك القصص عن أشخاص عاش معهم ويعرفهم، أو عن أولئك الذين عاشوا في الريف؛ جيلاً بعد آخر: أعمام وعمّات، جدّات وأمهات الجدّات، أجداد وآباء الأجداد السالفين. عرف كل تلك الشخصيات من القصص. حتى إنّه قد عرف قصص أولئك الذين ماتوا منذ وقت طويل، ودُفنوا في المقبرة الصغيرة بجانب دار العبادة. قابلات خضن في أنهار متجمّدة لمساعدة نساء في الولادة، مزارعون أنقذوا ببطولة قطعانهم في عواصف عاتية، عمّال تجمّدوا حتى الموت في طريقهم إلى حظيرة الأغنام، أشباح ووحوش؛ كلّ تلك الحكايات كانت جزءاً من حياته.

حمل كل تلك الحكايات معه حين انتقل إلى المدينة. اشتروا

حماماً عامًّا بناه الجيش البريطاني في زمن الحرب في ضاحية المدينة، وحوّلـوه إلـى منـزل صغيـر؛ لأن ذلـك كان كل ما اسـتطاعوا فعله. لم تكن الحياة الحضرية تناسب والده الذي كان قلبه ضعيفاً، وتوفي بعد وقت قصير من انتقاله إلى هناك. فباعت والدته الحمّام، واشترت شقة قبو صغيرة ليسـت بعيدة عن الميناء، وعملت في مصنع أسـماك. لم يعـرف الابـن مـا يجـب أن يفعله حين أنهى دراسـته الإلزامية، فامتهن العمل اليدوي في مواقع البناء، وقوارب الصيد، ثمّ تقدم إلى وظيفة أعلن عنها سلك الشرطة.

لـم يعـد يسـمع أي حكايـات بعـد ذلك، وأصبحت طي النسـيان بالنسـبة إليه. كان كل قومه قد رحلوا. فقد تمّ نسـيانهم، أو دُفنوا في مناطـق ريفيـة مقفـرة، فـي حيـن تجـوّل هـو في مدينة لا سـبب يدعوه إلـى البقـاء فيهـا. عـرف أنـه ليـس من أولئك الذيـن يحبون الحياة في المـدن، ولـم يسـتطع تحديـد هويته الحقيقيـة، لكنه لم يفقد قطّ حنينه إلى حياة مختلفة، أو شعوره بأن له جذوراً وأحس أن صِلاته بالماضي قد تبخّرت حين توفيت والدته.

ذهـب إلـى قاعـات الرقـص، والتقى في إحداهـا امرأة؛ غلامبار. كان قد عرف أخريات، لكن ليس أكثر من لقاءات عابرة. ولكنّ تلك المرأة كانت مختلفة. فقد كانت أكثر التزاماً، وشعر بأنها تسيطر عليه. حدث كل شيء بسرعة كبيرة لم يستطع معها أن يستوعبه. طلبت منه أشياء كثيرة فعلها من دون أي حافز خاص. وقبل أن يعرف ما يجري كان قد تزوجها وأنجبا ابنة. اسـتأجرا شـقة صغيرة، ووضعت خططاً كبيرة لمستقبلهما، وتكلمت عن إنجاب المزيد من الأولاد وشراء شقة بسـرعة وحزم ونبرة توقع في صوتها، وكأنها ترى حياتها تسـير على درب آمن من دون أن يعكّر صفوها شـيء. نظر إليها، واتضح له أنه

لم يعرف حقًا تلك المرأة على الإطلاق.

أنجبا طفلاً آخر، وانتابها قلق متزايد من المسافة التي كانت تفصله عنها. عندما جاء ابنهما الصغير إلى العالم، لم تكن سعادته كبيرة لأنه أصبح والداً مجدداً. وبدأ آنذاك يشير إلى أنه يريد وضع حدٍّ لكل ذلك، ويرغب في الرحيل. شعرت بذلك، وسألت إن كانت هناك امرأة أخرى، لكنه حدّق إليها ببلاهة، من دون أن يعني له السؤال شيئاً. فهو لم يكن قد فكّر في ذلك. قالت: «لا بد من أن هناك امرأة أخرى». قال: «الأمر ليس كذلك». وبدأ يشرح لها مشاعره وأفكاره، لكنها لم ترغب في الاستماع إليه. كان لديهما طفلان في ذلك الوقت، ولا يمكنه أن يتكلم بجدّية عن هجرها، وعن هجر ولديه.

كان ولداه يدعيان إيفا ليند وسيندري سنير. اسمان جميلان كانت قد اختارتهما لهما. لم يكن يعتبرهما جزءاً منه. وكان يفتقر إلى أي شعور أبوي تجاههما. لكنه يدرك مسؤوليته وواجبه نحوهما؛ ذاك الواجب الذي لم تكن له علاقة إطلاقاً بوالدتهما أو بعلاقته. قال إنه يريد إعالة الطفلين والحصول على الطلاق ودّياً. وقالت إنه لن يكون هناك شيء ودّي في ذلك، فيما كانت ترفع إيفا ليند وتمسكها بقوة. كان متأكّداً من أنها ستستغل الطفلين لإبقائه، وعزّز ذلك قراره بأنه لا يستطيع العيش مع تلك المرأة. اتضح له أن الأمر كله غلطة كبيرة منذ البداية، وكان عليه أن يتصرف منذ وقت طويل. لم تكن لديه فكرة عمّا كان يجول في ذهنه طوال ذلك الوقت. لكن، يجب وضع حدٍّ لكل ذلك.

حاول أن يجعلها توافق على بقاء الولدين معه جزءاً من الأسبوع أو الشهر، لكنها رفضت رفضاً قاطعاً، وأخبرته أنه لن يراهما مجدداً أبداً إذا هجرها، وأنها ستتأكّد من ذلك.

اختفى بعد ذلك. خرج من حياة الطفلة الصغيرة التي كانت تبلغ من العمر سنتين، وتضع حفاضاً، وتمسك دمية وتراقبه فيما كان يغادر من الباب؛ دمية بيضاء صغيرة تصرخ حين تضغط عليها.

قال إرلندور: «نحن نفعل هذا بطريقة خاطئة».

ذلك الصراخ.

أحنى رأسه، وظنّ أن الممرضة تتجاوز الباب مجدداً.

قال إرلندور بصوتٍ يُسمع بصعوبة، وهو ينظر إلى وجه ابنته الذي كان أكثر هدوءاً مما رآه من قبل: «لا أدري ما الذي حلّ بذلك الرجل». أضحت الصورة أوضح في ذهنه، ونظر إلى المعدات التي تبقيها حية، ثم أعاد بصره إلى الأرض.

مرّ وقت طويل وهو على تلك الحال؛ حتى نهض، وانحنى فوق إيفا ليند، وقبّل جبينها.

«لقد اختفى، وأظن أنه لا يزال مفقوداً، وقد بقي على تلك الحال وقتاً طويلاً، ولست واثقاً إن كان سيُعثر عليه مجدداً. هذه ليست غلطتك، فقد حدث ذلك قبل أن تأتي إلى العالم. أظن أنه يبحث عن نفسه، لكنه لا يعرف ما الذي يبحث عنه بالضبط. من الواضح أنه لن يعثر عليه أبداً».

نظر إرلندور نحو الأسفل؛ إلى إيفا ليند.

«إلا إن ساعدته أنتِ».

بقي وجهها مثل قناع بارد تحت ضوء المصباح الموضوع على الطاولة بجانب سريرها.

«أعرف أنك تبحثين عنه. وأعرف أنه إذا كان هناك أحد بإمكانه أن يجده، فسيكون أنت».

استدار مبتعداً عنها، وتوقف قليلاً قبل أن يغادر، وحينها رأى

طليقتـه تقـف عنـد البـاب. لـم يعرف منذ متى كانت تقف هناك، أو ما سـمعته ممـا كان قـد أخبـره لإيفـا لينـد. كانت ترتـدي المعطف البني نفسه الذي رآه آخر مرة، فوق بزّة مقلّمة، وسترة مخرّمة جعلتها تبدو سـخيفة. لم يكن إرلندور قد رآها منذ أكثر من عقدين. ولاحظ أنها تقدّمت بالسـن في أثناء ذلك الوقت، وفقدت ملامح وجهها حدّتها، وامتلأت وجنتاها، وبدأ ذقنها يترهل.

استشاط إرلندور غضباً: «كانت الكذبة التي قلتها لإيفا ليند عن الإجهاض مثيرة للاشمئزاز».

قالـت هالـدورا: «دعنـي وشـأني». كان التقـدم فـي العمر قد أثّر فـي صوتهـا أيضـاً فأصبـح أجـشّ. لا بـد مـن أنها تدخن كثيـراً، ومنذ وقت طويل.

«ما الأكاذيب الأخرى التي قلتها للولدين؟».

قالت وهي تبتعد عن الباب حتى يستطيع تجاوزها: «اخرج».

«هالدورا...».

كرّرت: «اخرج. اذهب فحسب ودعني بسلام».

«أراد كلانا الأولاد».

قالت: «ألا تندم على ذلك؟».

لم يفهم إرلندور.

«هل تظن أن لهما يداً في المجيء إلى هذا العالم؟».

قال إرلندور: «ماذا حدث؟ ما الذي جعلك هكذا؟».

قالت: «اخرج، فأنت بارع في ذلك. غادر! اتركني بسلام معها».

حدّق إرلندور إليها.

«هالدورا...».

رفعـت صوتهـا: «قلـت اخـرج. اذهب من هنا، في هذه اللحظة.

غادر! لا أريدك هنا! لا أريد أن أراك مجدداً!».

تجاوزها إرلندور إلى خارج الغرفة، وأغلقت الباب خلفه.

21

أنهى سيغوردور أولي تفتيش القبو في ذلك المساء من دون اكتشاف أي شيء إضافي عن مستأجري شاليه بنيامين على التلة، وشعر بالراحة للتخلص من ذلك العبء الثقيل. وجد بيرغثورا تنتظره حين وصل إلى المنزل. كانت قد اشترت زجاجة من الشراب، ووقفت في المطبخ وهي ترتشف كأساً منه، وأخرجت كأساً أخرى ناولته إيّاها.

قال سيغوردور أولي: «أنا لست مثل إرلندور. ولا تقولي أبداً شيئاً سيئاً عني».

قالت بيرغثورا: «لكنك تريد أن تكون مثله». كانت تطهو الباستا، وقد أشعلت شموعاً في غرفة الطعام. وفكّر سيغوردور أولي في أنه مكان جميل لتنفيذ حكم إعدام.

قالت بيرغثورا: «كل الرجال يرغبون في أن يكونوا مثله».

«مهلاً، لماذا تقولين هذا؟».

«لأنهم يرغبون في أن يُتركوا وشأنهم».

«ذلك ليس صحيحاً. لا يمكن أن تتخيلي الحياة البائسة التي يعيشها إرلندور».

قالت بيرغثورا، وهي تسكب الشراب في كأس سيغوردور أولي: «أريد أن أتكلم عن علاقتنا على الأقل».

«لابأس، لنتكلم عن علاقتنا». لم يكن سيغوردور أولي قد التقى قطّ امرأة عملية أكثر من بيرغثورا، وعرف أن الحديث لن يكون عن الحب في علاقتهما.

«نحن الآن معاً منذ متى؟ ثلاث سنوات أو أربع، ولا شيء يحدث، لا شيء على الإطلاق. تتجهم حين أبدأ بالحديث عن أي شيء يمت إلى الالتزام بصلة، ولا تزال أمورنا المادية منفصلة تماماً، ويبدو الزواج في دار العبادة محالاً، ولا يروق لي أي زواج آخر. لسنا مسجلين ضمن الذين يعيشون تحت سقف واحد، وإنجاب الأولاد بعيد بالنسبة إليك مثل مجرّة نائية. لهذا أنا أسأل: ماذا بقي؟».

لم تكن هناك نبرة غضب في كلمات بيرغثورا. وحتى ذلك الوقت كانت تسعى فقط إلى فهم علاقتهما وإلى أين تتجه. قرر سيغوردور أولي الاستفادة من ذلك قبل أن تخرج الأمور عن السيطرة، وقد تسنّى له متسع من الوقت للتفكير في مثل تلك الأسئلة حين كان يكدح في قبو بنيامين.

قال سيغوردور أولي: «نحن من بقينا؛ كلانا».

وجد قرصاً مضغوطاً، وضعه في المسجلة وانتقى أغنية كانت قد شغلت تفكيره منذ بدأت بيرغثورا تضغط عليه بشأن الالتزام. غنت ماريان فيثفول عن لوسي جوردان، سيدة المنزل التي حلمت وهي تبلغ من العمر 37 سنة بالتجول في باريس في سيارة رياضية والهواء الدافئ يداعب شعرها.

قال سيغوردور أولي: «لقد تكلمنا عن الأمر وقتاً طويلاً».

قالت بيرغثورا: «ماذا؟».

«رحلتنا».

«أتعني إلى فرنسا؟».

«نعم».

«سيغوردور...».

قال سيغوردور أولي: «لنذهب إلى باريس ونستأجر سيارة رياضية».

كان إرلندور عالقاً في عاصفة ثلجية عاتية تعمي الأبصار. واندفع الثلج نحوه، وضرب وجهه، وغلّفه البرد والظلام. كافح وسط العاصفة، لكنه لم يحقق أي تقدم، لهذا أدار ظهره للريح، وجثم في مكانه في حين تجمّع عليه الثلج. عرف أنه سيموت وأن لا شيء يستطيع فعله.

بدأ الهاتف يرن من دون توقف، مخترقاً العاصفة الثلجية، حتى صحا الجو فجأة، وصمتت الريح العاتية، فاستيقظ في منزله، ووجد نفسه نائماً على كرسيه. وعلى مكتبه، كان الهاتف يرنّ بقوة متزايدة، من دون أي رحمة.

نهض على قدميه وهو يشعر بأنّ جسده متيبّس. وكان على وشك أن يرد حين توقف الرنين، فانحنى فوق الهاتف، وهو ينتظر أن يبدأ الرنين مجدداً، لكن شيئاً لم يحدث. كان الهاتف قديم الطراز، ويفتقر إلى شاشة يظهر عليها رقم المتصل، لهذا لم تكن لدى إرلندور أي فكرة عن الشخص الذي كان يحاول الاتصال به، وتخيّل أنه متصل رزين يحاول بيعه مكنسة كهربائية مع محمصة خبز بسعر معقول. شكر بصمتٍ البائع عبر الهاتف لإنقاذه من العاصفة الثلجية.

ذهب إلى المطبخ، واكتشف أنّ الساعة قد صارت الثامنة مساءً. حاول منع ضوء مساء الربيع الساطع من الدخول بإغلاق الستائر، لكن الوهج شقّ طريقه عبرها في بعض الأماكن، وأضاءت أشعة الشمس المليئة بالغبار العتمة في شقته. لم يكن الربيع والصيف فصلين مفضّلين لدى إرلندور، فشمسهما ساطعة دائماً. أراد شتاءً

قاسـياً ومعتماً. لـم يجد شـيئاً يؤكل في المطبخ، فجلس إلى الطاولة، وذقنه على يده.

لم يكن قد صحا من النوم تماماً. فبعد عودته من زيارة إيفا ليند في المستشفى عند الساعة السادسة تقريباً، جلس على كرسيه، واستغرق فـي النـوم حتـى الثامنـة. فكّـر في العاصفة الثلجية التي رآها في حلمه، وكيـف أدار لهـا ظهـره وهـو ينتظـر المـوت. كان ذلك الحلم قد راوده مراراً، بسيناريوهات متعددة. وكانت هناك دائماً تلك العاصفة الثلجية العاتية قارسة البرودة التي تنخر جسده حتّى العظام. كان يعرف كيف سيستمر الحلم وكيف سينتهي لو لم يوقظه رنين الهاتف من نومه.

بدأ الرنين مجدداً، وتسـاءل إرلندور إن كان يجب أن يتجاهله. وفـي النهايـة، نهـض عن كرسـيه متثاقـلاً وذهب إلى حجرة الجلوس، ورفع السمّاعة.

«إرلندور؟».

قال إرلندور بعد أن تنحنح: «نعم». تعرّف الصوت فوراً.

«أنـا جيـم مـن السـفارة البريطانيـة. اعذرني على اتصالي بك في المنزل».

«هل اتصلت من قبل؟».

«من قبل؟ لا، هذه المرة فقط. حسـناً، تكلمت مع إد، وظننت أنني يجب أن أتصل بك».

«حقًّا، هل هناك شيء جديد؟».

«إنـه يعمـل علـى القضيـة مـن أجلـك، وأردت فقـط إبقـاءك في الصورة. لقد اتصل بأشخاص في أمريكا، وتكلّم معهم بعد أن بحث عنهم في مفكّرته. ويظن أنه يعرف من أطلق الإنذار بشأن السرقة من المستودع».

«من كان؟».

«لم يقل. طلب مني أن أخبرك ذلك، وقال إنه يتوقع اتصالك».

«هذا المساء؟».

«نعم، لا، أو ربّما في الصباح. ربما يكون صباح الغد أفضل، فقد كان يجهز نفسه للنوم لأنه يأوي إلى السرير باكراً».

«هل كان أيسلندياً؟ أقصد الشخص الذي وشى بهم».

«سيخبرك بذلك. عمت مساءً، وأعتذر عن إزعاجك».

كان إرلندور لا يزال واقفاً بجانب الهاتف حين بدأ يرن مجدداً، واتضح أن المتصل سكارفيدين الذي كان على التلة.

قال سكارفيدين من دون أي سلام: «سنكشف العظام غداً».

قال إرلندور: «بشأن التوقيت أيضاً، هل اتصلت منذ قليل؟».

«نعم، هل دخلت منزلك الآن؟».

كذب إرلندور: «نعم. هل عثرت على أي شيء مفيد هناك في الأعلى؟».

«لا، لا شيء، وأردت إبلاغك فقط أن... عمتِ مساءً، حسناً، دعيني أساعدك، ها نحن ذا... آه، آسف، أين كنا؟».

«كنت تخبرني أنكم ستصلون إلى العظام غداً».

«نعم، بحلول المساء تقريباً كما أتوقع. لم نعثر على أي أدلّة تشير إلى الطريقة التي دفنت فيها الجثة. ربما سنجد شيئاً تحت العظام».

«إذاً أراك غداً».

«إلى اللقاء».

وضع إرلندور السمّاعة. لم يكن صاحياً تماماً، وفكّر في إيفا ليند، وما إذا كان أي مما قاله قد وصل إليها. وفكّر في هالدورا والكراهية التي لا تزال تشعر بها نحوه بعد كل تلك السنوات، وتساءل للمرّة

المليون عمّا كانت حياتهم جميعاً ستؤول إليه لو أنه لم يقرر هجرهم. لم يتوصل إلى أي نتيجة قطّ.

حدّق إلى الخواء، واندفع شعاع من شمس المساء إلى الداخل، متجاوزاً ستائر حجرة الجلوس، وظهر مثل جرح لامع في العتمة حوله. نظر إلى الستائر المصنوعة من مخمل سميك، والتي كانت تتدلى نحو الأسفل؛ إلى الأرض؛ ستائر خضراء سميكة لحجب سطوع شمس الربيع.

مساء الخير.

مساء.

دعيني أساعدك.

حدّق إرلندور إلى لون الستائر الأخضر.

ملتوية.

أخضر.

«ماذا كان سكارفيدين...؟». وثب إرلندور على قدميه، وأمسك بالهاتف. وعندما لم يتذكر رقم جوّال سكارفيدين، اتصل يائساً بالاستعلامات، ثم بعالم الآثار.

صرخ عبر الهاتف: «سكارفيدين. سكارفيدين؟».

«ماذا؟ هل هذا أنت مجدداً؟».

«لمن قلت عمتِ مساءً قبل قليل؟ من كنت تساعد؟».

«ماذا؟».

«من التي كنت تتحدث إليها؟».

«ما الذي ترمي إليه؟».

«من معك هناك؟».

«أتعني على من ألقيت التحية؟».

«هذا ليس هاتفاً مزوداً بشاشة، ولا يمكنني أن أراك هناك على التلة. سمعتك تقول عمتِ مساءً لإحداهن. من معك هناك؟».

«ليست معي. ذهبتْ إلى مكان ما. انتظر، إنها تقف بجانب الأجمة».

«الأجمة؟ أتعني أجمة التوت البري؟ هل تقف بجانب أجمة التوت البري؟».

«نعم».

«كيف تبدو؟».

«إنها... هل ستعرفها؟ ما سبب كل هذا الذعر؟».

كرّر إرلندور محاولاً أن يبقى هادئاً: «كيف تبدو؟».

«هوّن على نفسك».

«كم عمرها؟».

«في العقد السابع. لا، ربما أكثر، في الثمانين من عمرها. يصعب تحديد ذلك».

«ماذا ترتدي؟».

«ترتدي معطفاً أخضر طويلاً يصل إلى كاحليها. سيدة في مثل طولي تقريباً، وهي عرجاء».

«عرجاء بأي طريقة؟».

«إنها تعرج. أكثر من ذلك في الواقع، إنها نوعاً ما، لا أدري...».

«ماذا؟! ماذا! ما الذي تحاول قوله؟».

«لا أعرف كيف أصف ذلك... أنا... تبدو ملتوية».

ألقى إرلندور السماعة وخرج جارياً إلى مساء الربيع، ونسي أن يطلب من سكارفيدين إبقاء السيدة على التلة معه مهما كلف الثمن.

* * *

لـم يكـن ديـف قـد زارهـم منذ عدّة أيام، منذ اليوم الذي عاد فيه غريمور إلى المنزل.

كان الخريف قد حلّ مع ريح شمالية قارسة البرودة، وغطاء رقيق من الثلج على الأرض. كانت التلة ترتفع عالياً عن سطح البحر، لذا حـلّ الشـتاء هنـاك فـي وقت أبكر منـه على الأرض المنخفضة، حيث بدأت ريكيافيك تتخذ شـكل المدينة. كان سـيمون وتوماس يسـتقلان حافلة المدرسـة إلى ريكيافيك في الصباح ويعودان في المسـاء، فيما تمشـي والدتهمـا كل يـوم إلـى غوفونـز حيـث تحلب الأبقـار، وتنجز أعمـالاً روتينيـة أخـرى فـي المزرعة. كانت تغادر قبل الصبيين، لكنها تكون دائماً في المنزل حين يعودان من المدرسة. أمّا ميكلينا فكانت تبقى في البيت في أثناء النهار، وهي تشعر بملل شديد في وحدتها. وعندما تعـود والدتهـا مـن العمـل إلـى المنزل، بالكاد كانت تسـتطيع السـيطرة على نفسـها لأنّها تشـعر بفرح عارم. وتصبح سـعادتها أكبر حين يندفع سـيمون وتوماس إلى الداخل، ويرميان كتبهما المدرسـية في إحدى الزوايا.

كان ديف زائراً منتظماً إلى منزلهم، واكتشف أنه ووالدتهم يفهمان بعضهما بمنتهى السهولة. كانا يجلسان مطولاً إلى طاولة المطبخ، وهما يرغبان في أن تتركهما ميكلينا والصبيّان بسلام. أحياناً، عندما يرغبان في أن يُتركا تماماً وحدهما، كانا يدخلان غرفة النوم ويغلقان الباب.

رأى سيمون أحياناً ديف وهو يربت على وجنة والدته، أو يعيد خصلة من شعرها إلى الخلف إذا نزلت أمام وجهها، أو يداعب يدها. كانا يخرجان في نزهات طويلة حول رينيسفاتن، وصعوداً على التلال المجاورة، ويمشيان في بعض الأيام إلى موسفلسدالور وهلغوفوس، ويأخذان طعاماً معهما؛ لأن مثل تلك النزهة قد تستغرق النهار كله. كانا

يصطحبان الأولاد معهما أحياناً. فيحمل ديف ميكلينا على ظهره من دون أيّ جهد يذكر، ويضحك سيمون وتوماس؛ لأنه يدعو خروجهم نزهة، فيردّدان تلك الكلمة لبعضهما: نز-هة، نز-هة، نز-هة.

أحياناً كان ديف ووالدتهم يتكلمان بجدّية، في نزهاتهما أو إلى طاولة المطبخ. وفي إحدى المرّات، فتح سيمون باب غرفة النوم فرآهما جالسين على حافة السرير، وقد أمسك ديف يدها، فنظرا إلى الباب وابتسما له. لم يعرف ما الذي كانا يتكلمان عنه، لكنه أدرك أنه ليس أمراً ساراً؛ لأنه يميّز تعبير وجه والدته حين تشعر بالحزن.

وانتهى كل شيء في يوم خريفي بارد.

عاد غريمور إلى المنزل في وقت باكر من صبيحة أحد الأيام، حين كانت والدتهم قد ذهبت إلى المزرعة، وسيمون وتوماس في طريقهما إلى حافلة المدرسة. كان البرد قارساً على التلة، والتقيا غريمور وهو يصعد الدرب في طريقه إلى المنزل، ويشدّ سترته البالية حوله للاتقاء من ريح الشمال. تجاهلهما، ولم يستطيعا رؤية وجهه بوضوح في صباح الخريف المعتم، لكن سيمون تخيل أن تعبير وجهه قاسٍ ومتجهم في طريقه إلى منزلهم. كان الصبيان يتوقّعان حضوره منذ عدّة أيام، فقد أخبرتهما والدتهما أنه سيخرج من السجن بعد أن أنهى عقوبته، وأنه سيعود إلى التلة، ويجب أن يتوقعا وصوله في أي وقت.

شاهد سيمون وتوماس غريمور يمشي صعوداً إلى المنزل، ونظرا إلى بعضهما، وكلاهما يفكّر في الشيء نفسه. كانت ميكلينا في المنزل وحدها، وتستيقظ دائماً حين يخرجان ووالدتهما من المنزل، لكنها تعود إلى النوم في معظم وقت الصباح، وستكون وحيدة في استقبال غريمور. حاول سيمون تخيّل رد فعل والدهم حين يكتشف أن والدتهم ليست في المنزل، وكذلك الصبيين، وأن ميكلينا، التي

كان يكرهها كثيراً، بمفردها هناك.

وصلت حافلة المدرسة وأطلقت البوق مرّتين. وبالرغم من أن السائق رأى الصبيين على التلة، إلا أنه لم يستطع انتظارهما وقتاً أطول، فانطلق مبتعداً، واختفت الحافلة في آخر الطريق. وقفا ساكنين من دون حراك، ولم ينبسا بكلمة، ثم مشيا ببطء عائدين إلى المنزل.

لم يكونا يريدان ترك ميكلينا بمفردها.

فكّر سيمون ملياً في الجري خلف والدته أو إرسال توماس لجلبها، لكنه قال في قرارة نفسه إنه لا داعيَ إلى الإسراع في لقائهما مجدداً، وإن والدتهما يمكن أن تنعم بهذا اليوم الأخير من الطمأنينة. رأى الصبيان غريمور يدخل المنزل ويغلق الباب خلفه، فانطلقا يجريان، وهما لا يعرفان ما الذي يتوقّعانه داخل البيت، لكن كل ما فكّرا فيه هو أن ميكلينا نائمة في السرير المزدوج حيث يجب ألاّ تكون تحت أي ظرف.

فتحا الباب بحذر، وانسلا إلى الداخل: سيمون في المقدّمة، وتوماس خلفه تماماً ممسكاً يده. عندما دخلا المطبخ شاهدا غريمور يقف عند النضد، وهو يدير ظهره لهما، ويبصق في المغسلة. كان قد أشعل الضوء فوق الطاولة، واستطاعا رؤية ظلّه على نحو مبهم وراءه.

قال وهو لا يزال يدير ظهره لهما: «أين والدتكما؟».

ظنّ سيمون أنه قد رآهما في طريقه إلى أعلى التلة، وسمعهما يدخلان المنزل.

قال سيمون: «إنها تعمل».

قال غريمور: «تعمل؟ أين تعمل؟».

قال سيمون: «في مزرعة غوفونز للألبان».

«ألم تكن تعرف أنني عائد اليوم؟». استدار غريمور وواجههما،

وتقدم نحو الضوء. حدّق الشقيقان إليه حين خرج من الظلام، واتسعت عيونهما حين شاهدا وجهه تحت الضوء الخافت. كان شيء ما قد حدث لغريمور، إذ توجد على طول إحدى وجنتيه علامة حرق تمتد إلى عينه التي كانت نصف مغمضة؛ لأن جفنه قد انصهر مع الجلد.

ابتسم غريمور.

«ألا يبدو بابا جميلاً؟».

حدّق الشقيقان إلى وجهه المشوّه.

«أولاً، يحضّرون لك قهوة، ثم يرمونها على وجهك».

اقترب منهما.

«ليس لأنهم يريدون منك أن تعترف، فهم يعرفون كل شيء؛ لأن شخصاً ما أخبرهم. إنهم لا يرمون قهوة مغلية عليك لهذا السبب، ولا يشوّهون وجهك من أجل ذلك».

لم يفهم الصبيان ما يجري.

أمر غريمور توماس الذي انكمش خلف شقيقه: «أحضر والدتك. اذهب إلى متجر الأبقار اللعين ذاك وأعد البقرة إلى هنا».

رأى سيمون بطرف عينه حركة في غرفة النوم، لكنه لم يجرؤ إطلاقاً على النظر إلى داخلها. كانت ميكلينا قد استيقظت، ويمكنها الوقوف على ساق واحدة والتحرك إذا أسندت نفسها، لكنها لم تخاطر بدخول المطبخ.

صرخ غريمور: «غادر! الآن!».

قفز توماس، ولم يكن سيمون واثقاً أن شقيقه سيعرف الطريق. كان توماس قد ذهب إلى المزرعة مع والدته مرة أو اثنتين في الصيف، لكن الجو كان مظلماً وبارداً في الخارج آنذاك، وهو لا يزال مجرد طفل.

قال سيمون: «أنا سأذهب».

زمجر غريمور: «لن تذهب إلى أي مكان لعين». ثم صرخ قائلاً لتوماس: «اذهب الآن!». فابتعد توماس من خلف سيمون، وفتح الباب، ثم خرج إلى الهواء البارد وأغلق الباب خلفه بهدوء.

قال غريمور الذي بدا أن غضبه قد اختفى فجأة: «تعال يا بني سيمون. اقترب واجلس معي».

تقدم منه سيمون مرتبكاً وجلس على كرسي، ورأى حركة في غرفة النوم مجدداً، وتمنّى ألاّ تخرج ميكلينا منها. كانت هناك خزانة في الممر، وظنّ أن بمقدورها التسلل إلى هناك من دون أن يلاحظها غريمور.

قال غريمور وهو يجلس قبالته: «ألم تشتق إلى والدك العجوز؟».

لم يستطع سيمون إبعاد عينيه عن الحرق في وجهه، وأومأ.

سأل غريمور: «ماذا كنتم تفعلون في هذا الصيف؟». وحدّق إليه سيمون من دون أن ينبس ببنت شفة. لم يكن يعرف من أين يبدأ الكذب، ولم يكن بمقدوره إخباره عن ديف، وعن الزيارات واللقاءات الغامضة مع والدته، والرحلات، والنزهات. لم يكن بمقدوره القول إنهم جميعاً ناموا في السرير الكبير معاً دائماً، أو أن والدته قد أصبحت شخصاً مختلفاً تماماً منذ أن غادر غريمور، وكل ذلك بفضل ديف، الذي أعاد إليها حيويتها. لم يستطع إخباره كيف كانت تجعل نفسها تبدو جميلة في الصباح، وعن مظهرها الذي تغير، وكيف أصبح وجهها أكثر جمالاً بمرور كل يوم أمضته مع ديف.

قال غريمور: «ماذا، لا شيء؟ ألم يحدث شيء في الصيف كله؟».

همس سيمون وعيناه لا تفارقان الحرق: «كان... كان الطقس رائعاً».

قال غريمور: «طقس رائع. كان الطقس رائعاً، وكنتم تلعبون هنا وبجانب الثكنات. هل تعرف أحداً من الثكنات؟».

قال سيمون من دون تفكير: «لا، لا أحد».

ابتسم غريمور.

«لقد تعلمت الكذب هذا الصيف. إنّه أمر مدهش كيف يتعلم الناس الكذب بسرعة. هل تعلمت الكذب هذا الصيف يا سيمون؟».

كانت شفة سيمون العليا قد بدأت ترتعش، وهو رد فعل لم يستطع السيطرة عليه.

قال: «أعرف شخصاً واحداً فقط، لكنني لا أعرفه جيداً».

«تعرف واحداً. حسناً، حسناً. يجب ألاّ تكذب أبداً يا سيمون. إذا كذب أشخاص مثلك فإنهم يتورطون في المتاعب، وقد يوقعون الآخرين في مشكلات أيضاً».

قال سيمون متمنّياً أن ينتهي ذلك بسرعة: «نعم». تمنّى أن تخرج ميكلينا وتزعجهما، وتساءل إن كان يجب عليه أن يخبر غريمور أن ميكلينا في المنزل، وأنها قد نامت في سريره.

قال غريمور: «من تعرف من الثكنات؟». وشعر سيمون بأنه يغوص عميقاً في مستنقع.

قال: «أعرف شخصاً واحداً فقط».

كرّر غريمور، وهو يربت على خدّه، ويحك الحرق قليلاً بسبابته: «واحداً فقط. من هذا الشخص؟ أنا سعيد لأنّه لا يوجد أكثر من واحد».

«لا أعرف. يذهب أحياناً لصيد الأسماك في البحيرة، ويعطينا أحياناً السلمون الذي يصطاده».

«وهل هو طيب معكم أيها الأولاد؟».

قال سيمون: «لا أعرف». مدركاً تماماً أن ديف كان أفضل رجل التقاه في حياته. ومقارنة بغريمور، كان ديف بمثابة المنقذ الذي أرسل لإنقاذ والدته. وفكّر سيمون: أين كان ديف؟ لو أن ديف كان هنا فقط. وذهبت أفكاره إلى توماس الذي يتوجّه إلى غوفونز تحت البرد القارس، ووالدتهم التي لم تعرف حتى أن غريمور قد عاد إلى التلة، وميكلينا التي تقف في الممر.

«هل يأتي إلى هنا كثيراً؟».

«لا، بين الحين والآخر فقط».

«هل جاء إلى هنا قبل ذهابي إلى السجن؟ عندما توضع في السجن يا سيمون، فهذا يعني أنك محبوس. لكنّ دخولك السجن لا يعني بالضرورة أنك مذنب بشيء سيئ، وإنما يعني أن شخصاً ما قد وضعك هناك؛ في السجن. لم يستغرق الأمر منهم وقتاً طويلاً، وتكلموا كثيراً عن معاقبة شخص ليكون عبرة لغيره. كان حريّاً بالأيسلنديين ألا يسرقوا من الجيش، فذلك عمل شنيع، ولهذا أصدروا حكماً بحقي، صارماً وقطعياً، حتى لا يقلّدني أحد آخر ويسرق أيضاً. هل فهمت؟ كان يُفترض أن يتعلم الجميع من أخطائي، لكنهم جميعاً يسرقون. إنهم يفعلون ذلك، ويجنون المال. هل جاء إلى هنا قبل أن أدخل السجن؟».

«من؟».

«ذلك الجندي. هل جاء إلى هنا قبل أن أدخل السجن؟ ذلك الشخص».

«كان يصطاد الأسماك في البحيرة أحياناً قبل أن تذهب بعيداً».

«وأعطى والدتك السلمون الذي اصطاده؟».

«نعم».

«هل اصطاد الكثير من أسماك السلمون؟».

«أحياناً. لكنه لم يكن صياداً بارعاً. كان يجلس بجانب البحيرة ويدخن. أنت تصطاد أكثر منه، باستخدام شبكاتك أيضاً. تصطاد دائماً الكثير من الأسماك بشبكاتك».

«وعندما أعطى والدتك السلمون، هل زاركم؟ هل دخل لتناول القهوة؟ هل جلس إلى هذه الطاولة؟».

قال سيمون: «لا». لكنه لم يعرف إن كانت الكذبة التي يقولها واضحة جداً أم لا، فقد كان خائفاً ومرتبكاً. وضغط بإصبعه على شفته ليمنع ارتعاشها، وحاول الإجابة بالطريقة التي ظن أن غريمور يريدها، لكن من دون توريط والدته بقوله شيئاً لا يُفترض أن يعرفه غريمور. كان سيمون يكتشف جانباً جديداً من غريمور. لم يكن والده قد تكلم معه قطّ تلك المدة من قبل، مما جعله يفقد رباطة جأشه، ويرتبك. لم يكن واثقاً تماماً لماذا لا يجب أن يعرف غريمور ذلك، لكنه بذل قصارى جهده لحماية والدته.

قال غريمور وقد تغيّر صوته وصار قاسياً وحازماً بعد أن كان هادئاً ورقيقاً: «ألم يدخل إلى هنا قطّ؟».

«دخل مرتين فقط، أو شيئاً من هذا القبيل».

«وماذا فعل حينها؟».

«دخل فحسب».

«آه، ذلك فقط. هل بدأت تكذب مجدداً؟ هل تكذب عليّ مرة أخرى؟ أعود إلى هنا بعد شهور من تلقي معاملة قاسية وكل ما أسمعه هو أكاذيب. هل ستكذب عليّ مجدداً؟».

لسعت أسئلته وجه سيمون مثل سوط.

سأل سيمون بتردد، على أمل أن يتمكن من الحديث عن شيء

آخر غير ديف ووالدته: «ماذا فعلت في السجن؟». لماذا لم يأتِ ديف؟ ألم يعرفا أن غريمور سيخرج من السجن؟ ألم يناقشا هذا في اجتماعاتهما السرية حين داعب ديف يدها ورفع شعرها؟

قال غريمور وقد غير صوته ليصبح رقيقاً وهادئاً مجدداً: «في السجن؟ استمعت إلى قصص في السجن، كل أنواع القصص. تسمع الكثير وترغب في سماع المزيد؛ لأن أحداً لا يأتي لزيارتك، والأخبار الوحيدة التي تصلك من المنزل هي ما تسمعه هناك؛ لأنهم يرسلون دائماً أشخاصاً إلى السجن، ويجب أن تعرف الحرّاس الذين يخبرون شيئاً أو اثنين أيضاً. ولديك متسع كبير من الوقت لتفكر في كل تلك القصص».

طقطق أحد ألواح الممر الخشبية فتوقّف غريمور عن الكلام، ثم تابع وكأن شيئاً لم يحدث.

«طبعاً أنت يافع جداً... مهلاً، كم عمرك على أيّ حال يا سيمون؟».

«أنا في الرابعة عشرة، وسأبلغ الخامسة عشرة قريباً».

«تكاد تصبح راشداً، لهذا ربما تفهم ما أتكلم عنه. يسمع الجميع كيف ترمي الفتيات الأيسلنديات أنفسهن إلى الجنود؛ وكأنهن يفقدن السيطرة على أنفسهن حين يرين رجلاً يرتدي بزّة رسمية. وتسمع عن نبل أولئك الجنود، وكيف يفتحون لهن الأبواب، وأنهم مهذبون، ويرغبون في الرقص، ولا يثملون أبداً، ولديهم لفائف تبغ وقهوة وكل أنواع الأشياء، ويأتون من أماكن تريد كل الفتيات الذهاب إليها. ونحن يا سيمون حثالة، مجرد فلاحين لا ترغب الفتيات حتى في النظر إلينا. لهذا، أريد أن أعرف القليل عن هذا الجندي الذي يذهب لصيد الأسماك في البحيرة يا سيمون؛ لأنك قد خيّبت أملي».

نظر سيمون إلى غريمور، وبدا أن كل القوة تنسل من جسده.

«لقد سمعت الكثير عن ذلك الجندي على التلة هنا وأنت لم تسمع به قطّ! إلا بالطبع إن كنت تكذب علي، ولا أظن ذلك لطيفاً؛ أن تكذب على أبيك فيما يأتي جندي إلى هنا كل يوم، ويخرج في نزهات مع أمّك طوال الصيف. ألا تعرف شيئاً عن ذلك؟».

لم يقل سيمون شيئاً.

كرّر غريمور: «ألا تعرف شيئاً عن ذلك؟».

قال سيمون والدموع تملأ عينيه: «خرجا أحياناً للمشي معاً».

قال غريمور: «أرأيت؟ كنت أعرف أننا لا نزال صديقين. هل ذهبت معهما؟».

بدا أن ذلك لن ينتهي أبداً. نظر غريمور إليه بوجهه المحروق وعينه نصف المغمضة، وشعر سيمون أنه لا يستطيع كتم الأمر لوقت أطول.

«ذهبنا أحياناً إلى البحيرة، وتناولنا الطعام هناك، كما كنت تفعل أحياناً حين تجلب تلك العلب التي تفتحها بمفتاح».

«وهل قبّل والدتك بجانب البحيرة؟».

قال سيمون مرتاحاً؛ لأنه لم يكن مضطراً إلى الكذب: «لا». لم يكن قد رأى قطّ ديف ووالدته يتبادلان القبلات.

«ماذا كانا يفعلان هناك؟ أكانا يمسكان يدي بعضهما؟ وماذا كنت تفعل أنت؟ لماذا سمحت لذلك الرجل باصطحاب والدتك في نزهات بجانب البحيرة؟ ألم يخطر ببالك قطّ أنني قد أعترض؟ ألم يخطر ذلك ببالك قطّ؟».

قال سيمون: «لا».

«لم يكن أحد يفكر فيّ في تلك النزهات، أليس كذلك؟».

قال سيمون: «لا».

انحنى غريمور إلى الأمام تحت الضوء، وبرز أثر الحرق الأحمر بوضوح أكبر.

«وما اسم هذا الرجل الذي يسرق أسر أشخاص آخرين ويظن أنّه لا بأس في ذلك، ولا أحد يفعل شيئاً بشأنه؟».

لم يجبه سيمون.

«الرجل الذي رشقني بالقهوة يا سيمون، الرجل الذي جعل وجهي هكذا، هل تعرف اسمه؟».

قال سيمون بصوت مسموع بصعوبة: «لا».

«هاجمني وأحرقني، لكنهم لم يضعوه في السجن بسبب فعلته تلك. ما رأيك بذلك؟ وكأنهم رجال صالحون؛ كل أولئك الجنود. هل تظن أنهم صالحون؟».

قال سيمون: «لا».

ثمّ سأل سيمون وكأن فكرة جديدة قد دخلت رأسه فجأة: «هل ازداد وزن والدتك هذا الصيف؟ ليس لأنها بقرة من مزرعة الألبان يا سيمون، ولكن لأنها كانت تذهب في نزهات مع الجنود. هل تظن أن وزنها قد ازداد هذا الصيف؟».

قال: «لا».

«أظن أن هذا مرجح، لكننا سنكتشف ذلك لاحقاً. هذا الرجل الذي رشقني بالقهوة، هل تعرف اسمه؟».

قال سيمون: «لا».

«كانت لديه فكرة غريبة لا أعرف من أين جاء بها. وهي أنني لم أكن أعامل والدتكم بطريقة جيّدة، وأنني فعلت أشياء شريرة لها. تعرف أنني كنت مضطراً إلى تعليمها آداب السلوك أحياناً، وهو يعرف ذلك،

لكنه لم يفهم السبب. لم يفهم أن غانيات مثل والدتك يجب أن يعرفن من يتولى زمام الأمور، يجب أن يعرفن من تزوجن، وكيف يجب أن يتصرفن. لم يفهم أن على المرء أن يضغط عليهن قليلاً أحياناً. كان غاضباً جداً حين تكلم معي. أعرف القليل من الإنكليزية؛ لأن لدي بعض الأصدقاء الجيدين في الثكنات، وفهمت معظم ما كان يقوله، لكنه استشاط غضباً مني بشأن والدتك».

كانت عينا سيمون ثابتتين على ندبة الحرق.

«هذا الرجل يا سيمون اسمه ديف. لا أريدك أن تكذب علي: الجندي الذي كان لطيفاً جداً مع والدتك، وبقي معكم طوال الربيع والصيف وصولاً إلى الخريف، هل يعقل أن اسمه ديف؟».

أجهد سيمون ذهنه بالعمل، وهو لا يزال يحدّق إلى الحرق.

قال غريمور: «سيبعدونه عن هنا؟».

«يبعدونه؟». لم يعرف سيمون ما يعنيه غريمور، لكن ذلك لم يكن لطيفاً.

قال غريمور وهو يومئ نحو الباب: «هل الفأرة في الممر؟».

«ماذا؟». لم يستوعب سيمون ما كان غريمور يتكلم عنه.

«البلهاء؟ هل تظن أنها تستمع إلينا؟».

قال سيمون: «لا أعرف بشأن ميكلينا». وكانت تلك هي الحقيقة.

«هل اسمه ديف يا سيمون؟».

قال سيمون بتردد: «ربما».

«ربما؟ لست واثقاً. ماذا قال لك يا سيمون؟ عندما تحدث إليك، أو ربما حين عانقك ومرّر يده على شعرك، ماذا كان يدعوك حينها؟».

«لم يمسّني قطّ...».

«ما اسمه؟».

قال سيمون: «ديف!».

«ديف! شكراً يا سيمون».

مال غريمور إلى الخلف وخرج من الضوء، وأخفض صوته.

«هل تعلم؟ لقد سمعت أنه يقيم علاقة مع والدتك».

فُتح الباب في تلك اللحظة، ودخلت والدة الأطفال وتوماس في إثرها، وجعلت الريح الباردة التي رافقتهما القشعريرة تسري على ظهر سيمون الذي كان يتصبب عرقاً.

22

كان إرلنـدور علـى التلـة بعـد خمـس عشـرة دقيقة من حديثه مع سكارفيدين.

لـم يكـن جوّالـه معـه، لذا لـم يتمكن من الاتصال بسـكارفيدين ليطلب منه إبقاء المرأة منتظرة حتى يصل. كان واثقاً من أنها السيدة التي كان روبرت قد رآها بجانب أجمة التوت البري، السيدة الملتوية ذات المعطف الأخضر.

لـم تكـن حركـة السـير فـي ميكلابـراوت مزدحمة، وقاد سـيارته علـى المنحـدر صعـوداً إلى أرتونسـبركا بأسـرع مـا يمكن أن تتحمله، ثـم علـى طـول الطريـق إلـى خارج ريكيافيك، حيث انعطف يميناً إلى غرافارهولت. كان سكارفيدين على وشك أن يقود سيارته مبتعداً عن موقع الحفر، لكنه توقف. خرج إرلندور من سيارته، وأنزل عالم الآثار نافذته.

«لماذا جئت إلى هنا؟ لماذا أغلقت السـمّاعة بعنف حين كنت أكلمك؟ هل هناك خطب ما؟ لماذا تنظر إلي على هذا النحو؟».

سأل إرلندور: «هل لا تزال المرأة هنا؟».

«أي امرأة؟».

نظر إرلندور باتجاه الأجمة، وظن أنه رأى حركة.

سـأل إرلنـدور وهـو يجـول بناظريـه في المـكان: «هل تلك هي المـرأة؟». لـم يكـن يسـتطيع الرؤيـة جيداً من تلك المسـافة. «السـيدة ذات المعطف الأخضر، هل لا تزال هناك؟».

قال سكارفيدين: «نعم، إنها هناك. ما الذي يجري؟».

قال إرلندور وهو ينطلق مبتعداً: «سأخبرك لاحقاً».

ظهرت أجمة التوت البري على نحو جلي حين اقترب منها، واتضح الشكل الأخضر. وكأنه يتوقع اختفاء المرأة في أي لحظة، حثّ إرلندور خطاه. كانت تقف بجانب الأجمة اليابسة، وهي تمسك بأحد الأغصان وتنظر نحو جبل إسجا، وتبدو مستغرقة في أفكارها.

قال إرلندور حين أصبح في نطاق سماعها: «مساء الخير».

استدارت المرأة نحوه وقالت: «مساء الخير».

قال إرلندور لمجرّد أن يقول شيئاً: «الطقس لطيف الليلة».

قالت السيدة: «لطالما كان الربيع أفضل الأوقات هنا على التلة».

كان عليها أن تبذل جهداً لتتكلم، وتدلّى رأسها، ولاحظ إرلندور أن عليها أن تركّز كثيراً على كل كلمة، فهي لا تخرج من تلقاء نفسها. كانت إحدى ذراعيها مخفية داخل ردنها، واستطاع رؤية قدم حنفاء (عوجاء) تبرز من تحت معطفها الأخضر الطويل، وشعرها الكثيف والرمادي الذي يصل إلى كتفيها. كان وجهها بشوشاً ولكنّه حزين. لاحظ إرلندور أن رأسها يتحرك قليلاً بشكل غير إراديّ، بنوبات منتظمة، ولم يبدُ قطّ أنه يبقى ساكناً تماماً.

سأل إرلندور: «هل أنتِ من هذه الأرجاء؟».

قالت من دون أن تجيب عن سؤاله: «لقد اتسعت المدينة الآن لتشمل كل المنطقة إلى هنا. لم يكن أحد يتوقع ذلك قطّ».

قال إرلندور: «نعم، تزحف المدينة إلى كل مكان».

قالت فجأة: «هل تحقق بشأن تلك العظام؟».

قال إرلندور: «نعم».

«رأيتك في الأخبار. أحضر إلى هنا أحياناً، خاصة في الربيع،

مثل الآن في المساء حين يكون كل شيء هادئاً وضوء الربيع بهيجاً».

قال إرلندور: «المكان جميل هنا. هل أنتِ من هنا، أم من مكان آخر قريب ربما؟».

قالت السيدة من دون أن تجيب عن سؤاله أيضاً: «في الواقع، كنت في طريقي لرؤيتك. كنت سأتصل بك غداً. لكن، جيد أنك قد وجدتني، فقد آن الأوان».

«آن الأوان؟».

«أن يماط اللثام عن القصة».

«أي قصة؟».

«كنا نعيش هنا، بجانب هذه الأجمة. لقد اختفى الشاليه منذ وقت طويل الآن، ولا أعرف ما الذي حدث له، فقد انهار تدريجياً. زرعت والدتي أجمة التوت البري، وصنعت المربّى في الخريف، لكنها لم تفعل ذلك لتحضير المربّى فقط. أرادت وشيع حماية، حيث يمكنها زراعة خضار وورود جميلة تتجه جنوباً نحو الشمس، وأرادت الاستفادة من الشاليه لاتقاء ريح الشمال، لكنه لم يسمح لها بذلك. وكان الأمر مماثلاً في كل شيء آخر».

نظرت إلى إرلندور، ورأسها يهتز حين تتكلم.

ابتسمت: «كانوا يحملونني إلى هنا حين تسطع الشمس، أعني أخويّ الاثنين. لم يكن هناك شيء أحبه أكثر من الجلوس في الخارج تحت أشعة الشمس، وكنت أصرخ ابتهاجاً حين أخرج إلى الحديقة. كنا نلعب ألعاباً، ويبتكران دائماً ألعاباً جديدة يلعبانها معي؛ لأنني لا أستطيع التحرك كثيراً بسبب إعاقتي، التي كانت أسوأ حالاً في تلك الأيام. حاولا إشراكي في كل شيء فعلاه، وقد ورثا ذلك عن والدتهما، كلاهما في البداية».

«ما الذي ورثاه عنها؟».

«اللطف».

«أخبرنـا رجـل عجـوز عـن سـيدة ترتـدي رداءً أو معطفـاً أخضر كانت تأتي إلى هنا أحياناً لتهتمّ بالأجمة. ووصفه ينطبق عليك. ظننا أنها ربما تكون شخصاً من الشاليه عاش هنا سابقاً».

«أنتم تعرفون عن الشاليه؟».

«نعم، ونعرف عن بعض المسـتأجرين، ولكن ليس كلهم. نظن أن أسـرة من خمسـة أفراد عاشـت هنا في أثناء الحرب، وربما كانوا ضحايا عنف من الوالد. ذكرت والدتك وكلا شقيقيك؛ أي أنهما اثنان. وإذا كنت الابنة الثالثة في الأسرة، فهذا يطابق المعلومات التي لدينا».

ابتسمت: «هل تكلم عن سيدة ترتدي ثياباً خضراء؟».

«نعم، السيدة بالأخضر».

«الأخضر لوني المفضّل، ولطالما كان كذلك، وفقاً لما أتذكره».

«ألا يقولـون إن الأشـخاص الذيـن يحبـون الأخضـر مـن النـوع الواقعي؟».

ابتسمت: «قد تكون تلك حقيقة، فأنا واقعية تماماً».

«هل تعرفين هذه الأسرة؟».

«عشنا في المنزل الذي كان هنا».

«عنف منزلي؟».

نظرت إلى إرلندور.

«نعم، عنف منزلي».

«لا بد من أن الأمر كان...».

قاطعت إرلندور: «ما اسمك؟».

«هل لديك أسرة؟».

«لا، نعم، حسناً، لديّ أسرة من نوعٍ ما كما أظن».

«لست واثقاً. هل تعامل أسرتك جيداً؟».

تـردّد إرلنـدور: «أظـن...». لـم يكـن قـد توقّع أن تستجوبه ولم يعـرف مـاذا يقـول. هـل كان قـد عامل أسـرته جيداً؟ ليس كما يجب، كما فكّر في قرارة نفسه.

قالـت المـرأة وهـي تنظـر إلى ملابس إرلنـدور الرثّة: «ربما أنت مطلق».

قال: «في الواقع نعم. كنت سأسألك... أظن أنني كنت أسألك عن العنف المنزلي».

«إنه تعبير مناسب لقتل الروح، تعبير سلمي لأشخاص لا يعرفون ما يوجد خلفه. هل تعرف كيف يبدو الأمر؛ أن تعيش في خوف دائم طوال حياتك؟».

لم يقل إرلندور شيئاً.

«العيش مع الكراهية كل يوم، والتي لا تتوقف أبداً مهما حاولت، ولا يمكنك فعل شـيء لتغيير ذلك، حتى تخسـر إرادتك المسـتقلة، وتنتظر وتأمل ألاّ يكون الضرب التالي سيئاً مثل سابقه».

لم يعرف إرلندور ماذا يقول.

«تدريجيـاً، يتحـول الضـرب إلى سـادية؛ لأن القوة الوحيدة التي يمتلكهـا الرجـل العنيـف فـي العالـم هي تلك التـي يصبّها على المرأة التـي تكـون زوجتـه، وتلـك القـوة مطلقة. لأنه يعرف أنها لا تسـتطيع فعـل شـيء، وأنهـا عاجـزة تمامـاً وتعتمد عليه كليًّا؛ لأنه لا يهددها أو يعذّبها بكراهيته لها وغضبه منها فحسب، وإنما باشمئزازه من أولادها أيضاً، ويوضح لها أنه سـيؤذيهم إذا حاولت التحرّر من سـلطته. كل

العنف الجسدي، وكل الألم والضرب، والعظام المكسورة، والجروح، والكدمات، والعينين السوداوين، والشفتين الممزقتين؛ كلها لا يمكن مقارنتها بالتعذيب الذهني: الخوف الدائم الذي لا يزول أبداً. في السنوات الأولى، عندما كانت بعض علامات الحياة لا تزال تظهر عليها، حاولت الحصول على مساعدة، وجرّبت الهروب. لكنه عثر عليها، وهمس لها قائلاً إنّه سيقتل ابنتها ويدفنها في سفح الجبل، وكانت تعرف أنه يستطيع فعل ذلك، لهذا تخّلت عن الأمر كله، ووضعت حياتها بين يديه».

نظرت المرأة نحو إسجا وإلى الغرب، حيث كان من الممكن رؤية شكل نهر سنافلسنسيوكول الجليدي.

تابعت: «وأصبحت حياتها مجرد ظل لحياته، وتلاشت مقاومتها، ومعها تلاشت إرادتها ورغبتها في العيش. وأضحت حياتها حياته، ولم تعد تعيش، لقد ماتت، وهامت مثل مخلوق ظلامي في بحث لا ينتهي عن مخرج، عن طريق للنجاة من الضرب والتعذيب، ومن حياته؛ لأنها لم تعد تعيش حياتها، لكنها موجودة فقط لأنها حافز لكراهيته. وفي النهاية، دمّرها، وأصبحت شبه ميتة، إحدى الأحياء الأموات».

أطبق الصمت عليها، ومرّرت يدها على أغصان الأجمة العارية.

«إلى أن حلّ ذلك الربيع، في أثناء الحرب».

لم يقل إرلندور شيئاً.

تابعت: «من يصدر حكماً على أي شخص بتهمة قتل الروح في إنسان؟ هل يمكنك إخباري ذلك؟ كيف يمكنك اتهام شخص بقتل روح في إنسان، واقتياده إلى المحكمة وإصدار حكم بحقه؟».

قال إرلندور وهو لا يفهم تماماً ما تعنيه: «لا أعرف».

سألت وكأن ذهنها في مكان آخر: «هل وصلتم إلى العظام؟».

رد إرلندور: «سنصل إليها غداً. هل تعرفين شيئاً عن الشخص المدفون هناك؟».

قالت المرأة بصوت خافت: «تبين أنها مثل تلك الأجمة».

«من؟».

«مثل أجمة التوت البري؛ فهي لا تحتاج إلى عناية. إنها صلبة، وتتحمل كل أنواع الطقس وفصول الشتاء القاسية، لكنها دائماً خضراء وجميلة مجدداً في الصيف، والتوت الذي تحمله أحمر وكثير العصارة وكأن شيئاً لم يحدث قطّ؛ وكأن الشتاء لم يحلّ قطّ».

سأل إرلندور: «اعذريني، لكن ما اسمك؟».

«أعادها الجندي إلى الحياة».

توقفت المرأة عن الكلام، وحدّقت إلى الأجمة وكأنها انتقلت إلى مكان وزمان مختلفين.

سأل إرلندور: «من أنت؟».

«أحبت أمي الأخضر، وقالت إنه لون الأمل».

تنبّهت من شرودها.

قالت: «اسمي ميكلينا». ثم بدا أنها تتلعثم: «كان وحشاً، مملوءاً كراهية وغضباً لا يمكن السيطرة عليهما».

23

كان الساعة تناهز العاشرة مساءً، والحرارة تنخفض على التلة، فسأل إرلندور ميكلينا إن كان بإمكانهما أن يجلسا في سيارته، أو يتكلما في وقت لاحق غداً، فقد كان الوقت متأخراً و...

قالت: «لنجلس في سيارتك». ومشت ببطء، وتمايلت إلى جانبها مع كل خطوة اجتازتها بقدمها العرجاء. مشى إرلندور أمامها مباشرة، وقادها إلى سيارته، ثم فتح الباب وساعدها على الجلوس فيها، وبعد ذلك دار حول مقدمة السيارة. لم يفهم كيف وصلت ميكلينا إلى التلة، ولم يكن يبدو أنها قد قادت سيارة إليها.

سألها حين جلس خلف المقود: «هل استقللت سيارة أجرة إلى هنا؟». شغّل المحرك الذي كان لا يزال ساخناً، وسرعان ما شعرا بالدفء.

قالت: «أقلّني سيمون، وسيعود ليصطحبني قريباً».

«لقد حاولنا جمع معلومات عن الأشخاص الذين عاشوا على التلة، وأفترض أنهم أفراد أسرتك، ويبدو بعض ما سمعته، من أشخاص مسنين على الأغلب، غريباً. هناك قصة عن مصنع الغاز في هلمور».

قالت ميكلينا: «أزعجها بشأن مصنع الغاز، لكنني لا أظن أن والدتها قد حملت بها في الحفل هناك كما قال. وربّما يكون هو نفسه قد جاء بتلك الطريقة. أظن أن تلك الإهانة قد وُجّهت له مرة، وربما أزعجه آخرون بشأنها حين كان أصغر سناً، أو ربما لاحقاً،

وحوّلها إليها».

«إذاً، تظنين أن والدك كان أحد أطفال مصنع الغاز؟».

قالت ميكلينا: «لم يكن والدي، فأبي فُقد في البحر. كان صياداً، وأحبّته والدتي، ومثّل ذلك عزائي الوحيد حين كنت طفلة؛ أنه لم يكن والدي، فقد كان يكرهني كثيراً. فأنا مقعدة. مرضت حين كنت في الثالثة من عمري، وأُصبت بالشلل، وفقدت القدرة على الكلام. ظنّ أنني متخلّفة عقلياً، لكن ذهني كان طبيعياً. لم أتلقَ أي علاج قطّ، من النوع الذي يعدّه الناس شيئاً مُسلّماً به هذه الأيام. ولم أخبر أحداً قطّ؛ لأنني عشت وقتاً طويلاً وأنا أخاف من ذلك الرجل. ليس غريباً أن يصبح أطفال أصيبوا بالأذى متكتمين، وأن يلتزموا الصمت. أظن أن ذلك حدث لي. تعلّمت المشي لاحقاً، وبدأت أتكلم وأتعلم. وأنا الآن أحمل إجازة جامعية في علم النفس».

توقفت عن الكلام.

تابعت: «لقد اكتشفت من هما والداه، فقد بحثت عنهما؛ لأفهم ما حدث ولماذا. حاولت اكتشاف شيء عن طفولته. عمل مزارعاً هنا وهناك، ووصل أخيراً إلى كيوس بحلول الوقت الذي التقى فيه أمي. وأثار اهتمامي الشديد الوقت الذي أمضاه في ميرارسيسلا، في مزرعة صغيرة تدعى ملور، التي لم تعد موجودة الآن. كان لدى الزوجين اللذين عاشا هناك ثلاثة أولاد، ودفع لهما مجلس الرعية ليستقبلا أطفالاً آخرين في منزلهما. كان لا يزال هناك فقراء في الريف في ذلك الوقت. وكانت سمعة الزوجين في معاملة الأطفال الفقراء سيئة، وتكلم أشخاص يعيشون في المزارع المجاورة عن ذلك. قُدّم والداه بالتنشئة إلى المحكمة بعد أن توفي ولد في رعايتهما نتيجة سوء التغذية والإهمال، وجرى تشريح الجثة في المزرعة تحت ظروف بدائية، حتى

بمعايير ذلك الوقت. كان الفتى في الثامنة من عمره. خلعوا باباً، وأجروا التشريح عليه، وغسلوا أحشاءه في جدول المزرعة، واكتشفوا أنه خضع لمعاملة قاسية على نحو غير ضروري كما دعوها، لكنهم لم يستطيعوا إثبات أنه مات نتيجة ذلك. لا بدّ من أنه قد رأى ذلك كله، وربما كانا صديقين، فقد كان تحت رعاية مولر في ذلك الوقت تقريباً. اسمه مذكور في وثائق القضية: يعاني نقصاً في التغذية مع جروح على ظهره وساقيه».

توقفت عن الكلام.

قالت: «لا أحاول تبرير ما فعله لنا والطريقة التي عاملنا بها. لا يوجد مسوّغ لذلك، لكنني أردت أن أعرف من يكون».

صمتت مجدداً.

سأل إرلندور بالرغم من أنه شعر بأن ميكلينا تريد إخباره كل ما تعتبره مهماً؛ وستفعل ذلك بأسلوبها الخاص: «ووالدتك؟». لم يرغب في أن يضغط عليها، فقد كانت تخبره القصة بطريقتها الخاصة.

قالت ميكلينا حالاً؛ وكأنها النتيجة الوحيدة المعقولة التي يمكن استنتاجها: «كانت سيئة الطالع، وكان حظها عاثراً لينتهي بها الأمر مع ذلك الرجل. الأمر بهذه البساطة. لم تكن لديها أسرة، لكنها حظيت عموماً بتربية لائقة في ريكيافيك، وكانت خادمة لدى أسرة محترمة حين التقته. لم أستطع اكتشاف هوية والديها. وإذا كان اسماهما مسجّلين، فلا بد من أن الأوراق قد ضاعت».

نظرت ميكلينا إلى إرلندور.

«لكنها وجدت الحب الحقيقي قبل أن يفوت الأوان. دخل ذلك الرجل حياتها في اللحظة المناسبة، كما أظن».

«من؟ من دخل حياتها؟».

«وسيمون، أخي، لم ندرك كيف كان يشعر، ولم ندرك مقدار التوتر الذي تعرض له طوال كل تلك السنين. شعرت بالحزن بسبب معاملة زوج أمي لها، وعانيت من أجلها، لكنني كنت أقوى من سيمون؛ المسكين سيمون. وتوماس، كان فيه الكثير من والده، الكثير من الكراهية».

«عفواً، لقد أضعتني. من دخل حياة والدتك؟».

«كان من نيويورك، أمريكي من بروكلين».

أومأ إرلندور.

«كانت أمي بحاجة إلى الحب، إلى نوع من الحب والإعجاب والاعتراف بأنها موجودة، وأنها إنسانة. أعاد لها ديف احترامها لذاتها، وجعلها إنسانة مجدداً. كنا نتساءل دائماً لماذا أمضى وقتاً طويلاً مع أمي؟ وما الذي رآه فيها في حين لم يكن أحد غيره ينظر إليها باستثناء زوجها، وفقط ليضربها؛ ثم أخبر أمي لماذا يريد مساعدتها. قال إنه أدرك ذلك في اللحظة التي رآها فيها، في المرّة الأولى التي أحضر لنا السلمون فيها، لأنه كان يذهب لاصطياد الأسماك في رينيسفاتن. ميّز علامات العنف المنزلي، واستطاع رؤية ذلك في عينيها، وجهها، وحركاتها؛ وعرف في لحظةٍ تاريخها كله».

توقفت ميكلينا ونظرت عبر التلة إلى الأجمة.

«كان ديف يعرف ذلك الشعور، فقد ترعرع مع ذلك مثل سيمون وتوماس وأنا. لم يُتهم والده قطّ أو يحكم عليه بالسجن، أو يعاقب لضربه زوجته حتى يوم موتها. عاشوا في فقر مدقع، وأُصيبت أمّه بالسل وتوفيت، وقد ضربها والده قبل ذلك بقليل. كان ديف مراهقاً آنذاك، لكنه لم يكن نداً لوالده، وغادر المنزل يوم وفاة والدته، ولم يعد إليه قطّ. انضم إلى الجيش بعد عدّة سنوات، قبل أن تندلع الحرب،

وأرسلوه بعد ذلك إلى ريكيافيك في أثناء الحرب. إلى هنا؛ حيث دخل الكوخ، ورأى وجه والدته مجدداً».

جلسا صامتين.

قالت ميكلينا: «بحلول ذلك الوقت، أصبح كبيراً كفاية ليفعل شيئاً».

تجاوزتهما سيارة ببطء، وتوقفت أمام أساسات المنزل. خرج السائق ونظر إلى أجمة التوت البري.

قالت ميكلينا: «جاء سيمون ليقلّني. تأخر الوقت، هل تمانع إذا تابعنا غداً؟ يمكنك الاتصال بي إلى المنزل إذا أردت؟».

فتحت باب السيارة، ونادت الرجل الذي استدار نحوهما.

سأل إرلندور: «هل تعرفين من المدفون هناك؟».

قالت ميكلينا: «غداً، سنتكلم غداً». قالت: «لا داعيَ إلى العجلة أبداً».

كان الرجل قد مشى إلى السيارة آنذاك ليساعد ميكلينا.

قالت: «شكراً يا سيمون». وخرجت من السيارة. شدّ إرلندور قامته على المقعد ليلقي عليه نظرة أفضل، ثم فتح بابه وخرج.

قال لميكلينا وهو ينظر إلى الرجل الذي كان يساعدها، والذي لم يتجاوز عمره 35 سنة: «لا يعقل أن يكون هذا سيمون».

قالت ميكلينا: «ماذا؟».

سأل إرلندور وهو ينظر إلى الرجل: «ألم يكن سيمون أخاك؟».

قالت ميكلينا: «بلى». ثم بدا أنها فهمت حيرة إرلندور، فقالت مبتسمة: «أوه، إنه ليس سيمون ذاك. هذا ابني. لقد سمّيته سيمون تيمّناً به».

24

عقد إرلندور في صبيحة اليوم التالي اجتماعاً مع إيلنبورغ وسيغوردور أولي في مكتبه، وأخبرهما عن ميكلينا وما قالته، وأنه سيلتقيها مجدداً في وقت لاحق من ذلك اليوم. كان واثقاً أنها ستخبره عن هوية الشخص المدفون في التلة، ومن وضعه هناك ولماذا. كان سيتم إخراج العظام مساءً.

سأل سيغوردور أولي الذي كان قد استيقظ منتعشاً بعد أمسية هادئة أمضاها برفقة بيرغثورا: «لماذا لم تعرف ذلك منها أمس؟». كانا قد ناقشا المستقبل، متضمناً الأولاد، واتفقا على أفضل ترتيب لكل شيء، وعلى الرحلة إلى باريس، والسيارة الرياضية التي سيستأجرانها.

أضاف: «إذاً، يمكننا إيقاف هذا البحث اللعين. لقد سئمت من تلك العظام، وضجرت من قبو بنيامين، ومنكما أيضاً».

قالت إيلنبورغ: «أريد أن أذهب معك لأراها. هل تظن أنها الفتاة المعوقة التي رآها إد في المنزل حين اعتقل ذلك الرجل؟».

«يبدو ذلك مرجحاً. لديها أخان، سيمون وتوماس، وينطبق ذلك على الصبيين اللذين رآهما. وكان هناك جندي أمريكي اسمه ديف، ساعدهم بطريقة ما. سأتكلم مع إد عنه، فليس لدي لقبه. أظن أن اللطف هو الطريقة الصحيحة للتعامل معها، وستخبرنا بكلّ ما نريد معرفته. لا فائدة من الاستعجال في هذه المسألة».

نظر إلى سيغوردور أولي قائلاً: «هل انتهيت من البحث في قبو بنيامين؟».

«نعم، أنهيت ذلك البارحة، ولم أجد شيئاً».

«هل يمكنك إقصاء احتمال أن تكون خطيبة بنيامين مدفونة هناك؟».

«نعم، أظن ذلك. لقد رمت بنفسها في البحر».

تساءلت إيلنبورغ: «هل هناك طريقة للتّأكد من الاغتصاب؟».

قال سيغوردور أولي: «أظن أن الدليل في قاع البحر».

سأل إرلندور: «كيف صيغ ذلك، رحلة صيفية إلى فليوت؟».

قال سيغوردور أولي بابتسامة: «علاقة ريفية رومانسية حقيقية».

قال إرلندور: «أحمق!».

رحّب إد بإرلندور وإيلنبورغ عند الباب الأمامي، وتقدمهما إلى حجرة الجلوس. كانت الطاولة مغطاة بوثائق تتعلق بالمستودع، وتوجد فاكسات ونسخ مصوّرة على الأرض، وكتب ومفكّرات مفتوحة في كل أرجاء الغرفة. انتاب إرلندور شعور بأنه قد أجرى بحثاً معمّقاً، وقلّب إد كومة من الأوراق على الطاولة.

قال: «لدي هنا في مكان ما لائحة بأسماء الأيسلنديين الذين عملوا في المستودع، وقد وجدتها السفارة».

قال إرلندور: «لقد عرفنا مكان أحد مستأجري المنزل الذي ذهبت إليه. أظن أنها الفتاة المعوقة التي كنت تتكلم عنها».

قال إد مستغرقاً في بحثه: «جيد، جيد. ها هي».

أعطى إرلندور لائحة أسماء مكتوبة بخط اليد، وتتضمن أسماء تسعة أيسلنديين عملوا في المستودع، وعرفها إرلندور؛ لأن جيم كان قد قرأها له عبر الهاتف، ووعده بإرسال نسخة إليه. تذكر إرلندور أنه قد نسي سؤال ميكلينا عن اسم زوج والدتها.

قال إد: «اكتشفت من أطلق الإنذار، وأبلغ عن اللصوص. يعيش زميلي القديم من الشـرطة العسـكرية العاملة في ريكيافيك آنذاك في مينابوليس الآن، وكنا نتصل ببعضنا من وقت إلى آخر، ولهذا تحدثت إليـه عبـر الهاتـف. تذكـر القضية، واتصل بشـخص آخر، ووجد اسـم المخبر».

سأل إرلندور: «ومن كان؟».

«كان اسمه ديف ولش، من بروكلين. كان جنديًّا».

إنّه الاسم الذي ذكرته ميكلينا، كما فكّر إرلندور.

سأل: «هل هو حي؟».

«لا نعـرف. يحـاول صديقـي اقتفـاء أثره عبر البنتاغون. ربما كان قد أُرسل إلى الجبهة».

طلبـت إيلنبـورغ مسـاعدة سـيغوردور أولـي للتوثّـق من هويات عاملي المستودع، وأماكن وجودهم، وأسماء أبنائهم. وطلب إرلندور منهـا لقـاءه مجـدداً بعـد الظهـر قبـل أن يذهبا لرؤيـة ميكلينا. فقد كان سيذهب أولاً إلى المستشفى لرؤية إيفا ليند.

مشى في رواق العناية الفائقة، ونظر إلى ابنته في الداخل، التي كانـت تسـتلقي سـاكنة مـن دون حـراك، وعيناهـا مغمضتـان. ولراحته الشـديدة لم تكن هالدورا هناك. نظر في أرجاء الجناح، وتقدم ببطء في الرواق إلى الغرفة الأبعد، ولاحظ أنها خاوية، ثم استدار وذهب إلى غرفة ابنته، وأغلق الباب خلفه بهدوء، وأراد أن يوصده، لكن لم يكـن هنـاك قفـل. جلـس بجانـب إيفا ليند، على طرف سـريرها، وهو يفكر بصمت في الفتى في العاصفة الثلجية.

انقضـى وقـت طويـل قبـل أن يسـتجمع إرلندور أخيراً شـجاعته

ويطلق تنهيدة عميقة.

قال لإيفا ليند: «كان عمره ثماني سنوات، وأصغر مني بعامين».

توقف عن الكلام قليلاً ثم تابع: «أفلت يدي».

سمع الصراخ في العاصفة.

قال: «لم نستطع رؤية بعضنا. أمسكنا يدي بعضنا، واقتربنا من بعضنا بحيث لم تعد هناك مسافة بيننا. لكن، بالرغم من ذلك لم أتمكن من رؤيته في العاصفة، ثم أفلت يدي».

توقف عن الكلام.

«لهذا السبب يجب ألاّ تستسلمي، وأن تنجي من هذا، وتعودي إليّ لتنعمي بالصّحّة مجدداً. أعرف أن حياتك لم تكن سهلة، لكنك تدمرينها وكأن لا قيمة لها؛ وكأن لا قيمة لك، لكن ذلك ليس صحيحاً. لست محقة لتظني ذلك، ويجب ألاّ تفكري على هذا النحو».

نظر إرلندور إلى ابنته في ضوء المصباح الخافت الموضوع بجانب السرير.

«كان عمره ثماني سنوات. هل قلت ذلك؟ كان صبيًّا؛ مثل أي صبي آخر، صحبته ممتعة ويبتسم دائماً. كنا صديقين، ولا يمكن اعتبار ذلك أمراً مسلماً به. عادة، تكون هناك منافسة، وشجار، وتباهٍ، وجدال، بين الإخوة؛ ولكن ليس بيننا؛ ربما لأننا كنا مختلفين تماماً. كان يثير إعجاب الناس، عن غير قصد. بعض الناس هكذا، لكنني لست واحداً منهم. هناك شيء في أولئك الأشخاص يحطم كل الحواجز؛ لأنهم يتصرفون على سجيتهم تماماً، وليس لديهم ما يخفونه، ولا يتوارون أبداً خلف أحد، ويبقون هم أنفسهم، ببساطة. أطفال مثل ذلك...».

أطبق الصمت على إرلندور.

تابع: «تذكرينني به أحياناً. لم أفهم ذلك إلا لاحقاً، حين اقتفيت

أثري بعد كل تلك السنين. هناك شيء فيك يذكّرني به، شيء تدمرينه، ولهذا السبب أتألم من الطريقة التي تعيشين فيها حياتك، لكنني لا أستطيع فعل شيء حيال ذلك. لا حول لي ولا قوة معك؛ تماماً كحالي حين وقفت في تلك العاصفة الثلجية وشعرت بقبضتي تنزلق. كنا نمسك يدي بعضنا وأفلت مني، وشعرت بذلك يحدث، وأن تلك هي النهاية؛ وأننا سنموت. كانت أيدينا متجمدة، ولم أشعر بيده، باستثناء تلك الثانية حين أفلت يدي».

توقف إرلندور عن الكلام ونظر نحو الأسفل، إلى الأرض.

«لا أعرف إن كان ذلك سبب كل هذا. كنت في العاشرة حينها، وقد ألقيت اللوم على نفسي مذّاك الحين. لم أستطع التخلص من الأمر، ولم أرغب في ذلك. الألم مثل حصن يلتف حول الحزن الذي لا أريد التخلص منه. ربما كان يجب أن أفعل ذلك منذ وقت طويل؛ أن أنسجم مع الحياة التي بقيت، وأمنحها هدفاً. لكن ذلك لم يحدث ولن يحدث بسهولة في هذه المرحلة. نحمل جميعاً أعباءً خاصة بنا، وربما لا أعاني أكثر من أي شخص آخر كان قد فقد حبيباً. لكن، لا يمكنني التعامل مع الأمر على الإطلاق.

انطفأ شيء في داخلي. لم أعثر عليه مجدداً قطّ، وحلمت به طوال الوقت، وأعرف أنه لا يزال هناك في مكان ما، يتجول في العاصفة الثلجية، وحيداً ومنعزلاً ويشعر بالبرد، حتى يقع في مكان لا يعثر أحد عليه فيه، والعاصفة تشتد فوق ظهره، ويدفنه الثلج بطرفة عين. ومهما بحثت عنه وناديته، لا يمكنني العثور عليه، ولا يستطيع سماعي، ويضيع مني إلى الأبد».

نظر إرلندور إلى إيفا ليند.

«بدا أنه قد مات مباشرة، في حين عثروا عليّ أنا ونجوت، لكنني

أضعته. لم أستطع إخبارهم شيئاً، أو قول أين كنت حين أضعته. لم أتمكن من رؤية شيء في تلك العاصفة الثلجية اللعينة. كنت في العاشرة من عمري، وكدت أتجمد حتى الموت، ولم أستطع إخبارهم شيئاً. أرسلوا فرقة للبحث عنه. وفتّش الناس المستنقع وهم يحملون المصابيح منذ الفجر، وحتى حلول الظلام؛ طوال أيام، كانوا ينادون اسمه بصوت عالٍ، وينخزون الثلج بالعصيّ، وتفرّقوا، واصطحبوا كلاباً معهم، واستطعنا سماع الصرخات والنباح، لكن لم يحدث شيء قطّ. لم يُعثر عليه قطّ.

شعرت طيلة حياتي بأنّ اختفاءه غلطتي؛ بالرغم من أنني أدرك تماماً، ومنذ وقت طويل، أنني كنت يافعاً جداً، ولا أتحمل أي ذنب. لكن الذنب يعذّب المرء مثل سرطان ويقتله في النهاية.

لأنه لم يكن فتى عادياً ذاك الذي أفلت من قبضتي.

لأن الفتى في العاصفة الثلجية... كان شقيقي».

* * *

أغلقت والدتهم الباب بعنف في وجه ريح الخريف الباردة، واستطاعت أن ترى في ضوء المطبخ الخافت غريمور وهو يجلس قبالة سيمون إلى الطاولة، ولكنها لم تشاهد وجهه بوضوح. كانت تلك أول مرة تراه فيها منذ اقتيد بعيداً. لكن، عندما أحسّت بوجوده في المنزل، وشاهدته مجدداً في الضوء تملّكها الخوف. وبالرغم من أنها كانت تتوقعه طوال الصيف، إلا أنها لم تعرف متى سيُطلق سراحه بالضبط. وعندما رأت توماس يجري إليها، أدركت فوراً ما حدث.

لم يجرؤ سيمون على الحركة، وأبقى ظهره ثابتاً، لكنه أدار رأسه لينظر باتجاه الباب الأمامي، ورأى والدته تحدّق إليهم. كانت قد تركت

يد توماس، فتسلل إلى الممر حيث تقف ميكلينا التي شاهدت الرعب في عينيه.

جلس غريمور على كرسي المطبخ ولم يحرك ساكناً. انقضت بضع لحظات، والأصوات الوحيدة التي كانت تُسمَع آنذاك هي عويل الريح ولهاث والدتهم بعد الجري على التلة. ثار خوفها من غريمور مجدداً - بعد أن كان قد خمد منذ الربيع - بقوة كبيرة، وعادت بلحظة إلى حالتها القديمة؛ وكأن شيئاً لم يحدث في المدة التي أمضاها بعيداً. أضحت ساقاها ضعيفتين، وأزعجها الألم في بطنها أكثر فأكثر، وفقد وجهها تعبير الوقار الذي اكتسبه سابقاً، واحدودب ظهرها، وجعلت نفسها صغيرة قدر المستطاع: خانعة، ومطيعة، ومستعدة للأسوأ.

رأى الأولاد التغيير الذي طرأ عليها حين وقفت عند باب المطبخ.

قال غريمور وهو يدفع رأسه نحو الضوء ليكشف عن حرقه: «كنت وسيمون نتبادل أطراف الحديث». فزعت والدتهم حين نظرت إلى وجهه ورأت الندبة الحمراء الواضحة. فتحت فمها وكأنها تريد أن تتكلم أو تصرخ. ولكن، لم يخرج منه شيء، وحدّقت إلى غريمور مشدوهة.

قال: «ألا تظنين أنها جميلة؟».

كان هناك شيء غريب في غريمور، شيء لم يفهمه سيمون جيداً: كان أكثرَ ثقة واعتداداً بالنفس، وطاغية، وتبين ذلك من موقفه تجاه أسرته الذي لطالما كان كذلك. لكن، كان هناك شيء مختلف؛ شيء خطر، وتساءل سيمون عمّا قد يكون حين نهض غريمور من خلف الطاولة.

مشى نحو والدة الأطفال.

«أخبرني سيمون عن الجندي ديف الذي أحضر أسماكاً إلى هنا».

لم تقل والدتهم شيئاً.

قال وهو يشير إلى ندبته: «كان جندياً يدعى ديف من فعل بي هذا. لا يمكنني فتح عيني جيداً؛ لأنه ظن أنّه لا بأس برشقي بالقهوة. أولاً، سخّنها في إبريق حتى أصبح حاراً جداً فاضطر إلى حمله باستخدام قطعة قماش، وعندما ظننت أنه سيسكب لي فنجاناً، أفرغ الإبريق على وجهي».

نقلت والدتهم نظرها من غريمور إلى الأرض، لكنها لم تتحرك.

«أدخلوه حين كانت يداي مقيدتين بالأغلال خلف ظهري. أظن أنهم كانوا يعرفون ما سيفعله».

سار متوعداً نحو ميكلينا وتوماس في الممر، وبقي سيمون جالساً إلى الطاولة وكأنه مثبت إلى كرسيه بمسامير. ثم استدار غريمور إلى والدتهم ومشى نحوها.

قال: «بدا الأمر وكأنهم يكافئونه. هل تعرفين لماذا؟».

قالت والدتهم بصوت خافت: «لا».

قلّدها غريمور: «لا. لأنهم لم يستطيعوا فعل شيء له».

ابتسم.

«لن أتفاجأ إذا ظهر طافياً في البحيرة، بعد أن يكون قد سقط في الماء وهو يصطاد أسماك السلمون».

وقف غريمور أمام والدتهم مباشرة، ووضع يده بقوة على بطنها، وسأل بصوت هادئ ومتوعد: «هل تظنين أنه ترك شيئاً خلفه؟ شيئاً من النزهات بجانب البحيرة؟ هل تظنين ذلك؟ هل تظنين أنه ترك شيئاً؟ يمكن أن أقول لك إنه إذا ترك أي شيء فسأقتله. من يعرف، ربما أُحرِقه، كما أحرق وجهي».

قالت والدتهم: «لا تتكلم على هذا النحو».

نظر غريمور إليها.

سأل: «كيف عرف ذلك الوغد أننا كنا نسرق؟ من تظنين ذاك الذي أخبره بما كنا نفعله؟ هل تعرفين شيئاً عن ذلك؟ ربما لم نتوخَّ الحذر كما يجب، وربما رآنا، أو ربما أعطى أحدَهم بعض السلمون ورأى السلع هنا، فتساءل من أين جاءت، وسأل الغانية الصغيرة التي تعيش هنا إن كانت تعرف ذلك».

شدّ غريمور قبضته على بطنها.

«لا يمكنك النظر إلى بزّة رسمية من دون أن تخلعي ملابسك».

بصمت، وقف سيمون خلف والده.

قال غريمور لوالدة الأطفال: «ما رأيكِ بفنجان قهوة؟ ما رأيك بقهوة ساخنة جداً ومنشّطة على الفطور؟ إذا سمح لنا ديف. هل تظنين أنه سيسمح لنا؟».

ضحك غريمور.

«ربما سيعرّج علينا. هل تتوقعين مجيئه؟ هل تظنين أنه سيأتي وينقذك؟».

قال سيمون خلفه: «لا تفعل».

خفف غريمور قبضته على والدتهم، واستدار إلى سيمون.

قال سيمون: «لا تفعل ذلك».

صرخت والدته: «سيمون! توقف!».

قال سيمون بصوت مرتعش: «دع أمي وشأنها».

استدار غريمور إلى والدتهم، وراقبت ميكلينا وتوماس ما يجري من الممر. انحنى غريمور نحوها، وهمس في أذنها: «ربما ستختفين يوماً ما مثل حبيبة بنيامين».

راقبت والدتهم غريمور وهي مستعدة لاعتداء عرفت أنّه لا مفر منه.

سألت: «وماذا تعرف عن ذلك؟».

«النـاس يختفـون، كل أنـواع النـاس، حتى أولئك الأغنياء منهم. وحثالة مثلك ستختفي أيضاً. من سيسأل عنك؟ إلا إذا بحثت والدتك من مصنع الغاز عنك. هل تظنين أنها قد تفعل ذلك؟».

قـال سـيمون وهـو لا يـزال واقفـاً بجانب طاولـة المطبخ: «دعها وشأنها».

قال غريمور: «سيمون؟ ظننت أننا أصدقاء، أنت وأنا وتوماس».

قال سيمون: «دعها وشأنها. يجب أن تتوقف عن إيذائها. يجب أن تتوقف وتذهب بعيداً؛ أن ترحل ولا تعود أبداً».

كان غريمور قد مشى نحوه، وحدّق إليه وكأنه غريب عنه تماماً.

«لقد كنت بعيداً. ابتعدت سـتة شـهور، وهذا هو الترحيب الذي ألقاه. سـيدة البيت تعبث مع الجنود، وسـيمون الصغير يريد أن يرمي والده خارجاً. هل أنت كبير بما فيه الكفاية لتتولى أمر أبيك يا سيمون؟ هل تظن ذلك؟ هل تعتقد أنك ستصبح كبيراً كفاية لتقاتلني؟».

قالت والدته: «سيمون! لا بأس بذلك. خذ توماس وميكلينا إلى غوفونز وانتظروني هناك. هل تسمع يا سيمون؟ افعل ما تؤمر به».

كشّر غريمور بوجه سيمون.

«والآن، تديـر سـيدة البيـت العـرض كلـه. ماذا تظـن أنها فاعلة؟ غريب كيف تغير الجميع في هذه المدة القصيرة».

نظر غريمور عبر الممر إلى الغرف.

صرخ عبر الممر: «وماذا عن المشوّهة؟ هل سترد المعوقة علي أيضاً؟ دا، دا، دا، تلك المقعدة اللعينة التي كان يجب أن أخنقها منذ

سنوات طويلة. هل هذا كل الفضل الذي أناله؟ هل تشكرونني على هذا النحو؟».

ابتعدت ميكلينا عن الباب إلى الممر المعتم، وبقي توماس هناك يراقب غريمور الذي ابتسم له.

قـال غريمـور: «لكـن، أنـا وتوماس صديقان، ولن يخون توماس أباه أبداً. تعال إلى هنا يا بني. تعال إلى والدك».

ذهب توماس إليه.

قال: «أمي اتصلت...».

صرخت والدتهم: توماس!».

25

«لا أظن أن توماس كان ينوي مساعدته، لكنه ظن على الأرجح أنه يساعد أمنا، وربما أراد إخافته ليسدي لها معروفاً. لكن أظن أنه لم يكن يعرف على الأرجح ما يفعله، فقد كان صغيراً جدًّا، ذلك الطفل العزيز».

نظرت ميكلينا إلى إرلندور الذي كان يجلس مع إيلنبورغ في غرفة معيشتها، وهما يصغيان إلى إفادتها عن والدتها وغريمور: كيف التقيا، وأول مرة ضربها، وكيف اشتد العنف تدريجياً، ومحاولتها الهرب منه مرتين، وتهديده إيّاها بقتل أولادها. أخبرتهم عن الحياة على التلة، وعن الجنود، والمستودع، والسرقات، والجندي المسمّى ديف الذي كان يذهب لصيد الأسماك في البحيرة، وعن الصيف الذي سُجن فيه والدهم وأحبت فيه والدتهم والجندي بعضهما، وكيف حمل الأخوان ميكلينا إلى الخارج لتجلس تحت أشعة الشمس، وكيف قام ديف باصطحابهم في نزهات، وعن صباح الخريف البارد الذي عاد فيه زوج والدتها.

استغرقت ميكلينا كل الوقت الذي تحتاج إليه لتسرد قصتها، وحاولت ألاّ تحذف أي جزء من تاريخ الأسرة ظنّت أنه ربما يكون ذا صلة بالموضوع. جلس إرلندور وإيلنبورغ وهما يصغيان السمع، ويشربان القهوة التي حضّرتها ميكلينا لهما، ويتناولان كعكاً كانت قد خبزته؛ لأنها عرفت - كما قالت - أن إرلندور قادم. حيّت إيلنبورغ بحرارة، وسألت إن كان عدد المحققات كبيراً.

ابتسمت إيلنبورغ: «بعدد أصابع اليد».

قالت ميكلينا وهي تعرض عليها الجلوس: «يا للأسف! يجب أن تكون النساء في المقدمة في المجالات كافة».

نظرت إيلنبورغ إلى إرلندور الذي ابتسم قليلاً. كانت قد أقلّته من المكتب بعد الظهر، مدركة أنه قد جاء من المستشفى، ووجدته مكتئباً على نحو استثنائي. سألت عن حالة إيفا ليند ظناً منها أنها ساءت، لكنه قال إنها مستقرة. وعندما سألته عن مشاعره، وإن كان بمقدورها فعل شيء له، هزّ رأسه فحسب، وأخبرها أنه لا يمكن فعل شيء إلا الانتظار. تكوّن لديها انطباع بأنّ الانتظار يمثّل عبئاً ثقيلاً بالنسبة إليه. لكنها لم تخاطر بفتح الموضوع، فقد علمتها الخبرة الطويلة أن إرلندور لا يتكلم عن نفسه إلى آخرين.

كانت ميكلينا تعيش في الطابق الأرضي في مبنى سكني صغير في بريدهولت. وشقتها صغيرة لكنها مريحة. وعندما ذهبت إلى المطبخ لتحضّر القهوة، مشى إرلندور في أرجاء غرفة المعيشة وهو ينظر إلى صور افترض أنها عائدة إلى أفراد أسرتها. لم تكن هناك صور كثيرة، وبدا أن أياً منها ليست من التلة.

بدأت بتقديم شرح موجز عن نفسها في أثناء وجودها في المطبخ، وأصغيا السمع إليها من غرفة المعيشة. التحقت بالمدرسة في وقت متأخر حين ناهزت العشرين من عمرها - في الوقت نفسه الذي تلقت فيه أول علاج لإعاقتها - وأحرزت تقدماً كبيراً. شعر إرلندور أنها تروي قصتها، لكنها لا تعلّق عليها. وبمرور الوقت، أنهت ميكلينا دراستها الثانوية في صفوفٍ خارج المدرسة، ثم التحقت بالجامعة، وتخرجت من كلية علم النفس في الأربعين من عمرها بحلول ذلك الوقت، لكنها كانت متقاعدة آنذاك.

كانت قد تبنّت الصبي الذي دعته سيمون قبل التحاقها بالجامعة؛ لأن إنشـاء أسـرة بدا أمراً في غاية الصعوبة لأسـباب لم تشـأ الخوض فيها، كما قالت بابتسامة ساخرة.

كانـت تـزور التلـة بانتظـام فـي الربيع والصيـف لتنظر إلى أجمة التـوت البـري. وفـي الخريـف، لتقطف التوت وتصنع المربّى. كان لا يزال لديها مرطبان لم يبق فيه إلا القليل من حصاد الخريف الماضي وسمحت لهما بتذوقه، وامتدحت إيلنبورغ الخبيرة في الطهي المربّى الـذي تعـدّه. طلبـت ميكلينـا منهـا أن تحتفـظ بالباقـي، واعتذرت لأن الكمية قليلة جداً.

أخبرتهمـا بعـد ذلـك كيـف رأت المدينـة تنمـو بمـرور السـنين والعقود. فامتدّت أولاً إلى بريدهولت ثم إلى غرافارفوغر، ثم بسرعة كبيـرة علـى طـول الطريق إلى موسفلسـبير وصـولاً إلى غرافارهولت، والتلة حيث عاشت سابقاً واختزنت بعضاً من أكثر ذكرياتها إيلاماً.

قالـت: «ليـس لـدي حقّـا إلا ذكريـات سـيئة عـن ذلـك المكان، باستثناء ذلك الصيف القصير».

سـألت إيلنبـورغ: «هـل ولـدت بهذه الإعاقـة؟». حاولت صياغة السؤال بتهذيب قدر المستطاع، لكنها قررت أنه لا توجد طريقة لفعل ذلك.

قالـت ميكلينـا: «لا، مرضـت حيـن كنـت فـي الثالثة من عمري. أُخذت إلى مستشفى حينها. وأخبرتني أمي أن الأهل كانوا ممنوعين من البقاء في الجناح مع أطفالهم. لم تفهم مثل تلك القاعدة القاسية والبغيضـة: عـدم السـماح بالبقـاء مـع طفل مريض جـداً أو حتى على وشك الموت. استغرق الأمر منها عدّة سنوات كي تدرك أن بمقدوري استعادة ما كنت قد فقدته بواسطة العلاج، لكن زوج والدتي لم يسمح

لهـا إطلاقـاً بالعنايـة بـي، أو بإرسـالي إلـى طبيـب لاكتشـاف العـلاج المناسب. أتذكر أشياء حصلت قبل مرضي، ولا أعرف إن كانت حلماً أم حقيقة. الشمس مشرقة، وأنا في حديقة المنزل، على الأرجح حيث كانت والدتي تعمل خادمة. أجري بسـرعة كبيرة، وأصرخ، ويبدو أن أمـي تلحـق بـي. لا أتذكـر شـيئاً آخـر، إنما فقط أنني أسـتطيع الجري كما يحلو لي».

ابتسمت ميكلينا.

«أرى ذلـك الحلـم دائمـاً. وأجـد فيـه نفسـي موفـورة الصحـة، وأسـتطيع الحركة كما أشـاء، ولا أهز رأسـي كلما تحدثت، وأسـيطر على عضلات وجهي، ولا أصاب باختلاجات طوال الوقت».

وضع إرلندور فنجانه جانباً.

«أخبرتني أمس أنك سمّيت ابنك سيمون تيمناً بأخيك سيمون».

«كان سـيمون فتى رائعاً، ولا يتّصف بأيّ من صفات والده، أو علـى الأقـل لـم أرهـا قـطّ. كان مثـل أمي؛ لطيفـاً، ومتفهماً، ويقدم يد العـون، وحنونـاً جـداً. كـره والـده، وقـد تأذى من تلـك الكراهية. لم يكن يجب أن يكره شيئاً على الإطلاق. ومثلنا جميعاً؛ ابتُلي بالخوف كل طفولته، وكان يصاب بالذعر حين يثور والده. شاهد والدتنا وهي تتعرض لضرب مبرّح، فيما كنت أنا أخبئ رأسي تحت اللحاف. لكنني لاحظت أن سيمون يقف أحياناً ويراقب الضربات؛ وكأنه يقسّي نفسه ليتعامل معها لاحقاً، حين يصبح قوياً كفاية ليقف في وجه والده، حين يصبح كبيراً كفاية ليردعه.

حـاول أحيانـاً أن يتدخـل، ووقـف أمام والدتنا ليدافع عنها. لكنّ أمي كانت تخشى ذلك أكثر من الضرب، ولم تستطع أن تتحمل فكرة أن يحدث شيء لأولادها.

كان فتى مدهشاً، سيمون ذاك».

قالت إيلنبورغ: «تتكلمين عنه وكأنه لا يزال طفلاً. هل مات؟».

ابتسمت ميكلينا، لكنها لم تقل شيئاً.

قال إرلندور: «وتوماس؟ لم يكن هناك إلا أنتم الثلاثة فقط».

قالت ميكلينا: «نعم، توماس. كان مختلفاً عن سيمون، واستطاع والدهما تمييز ذلك».

أطبق الصمت على ميكلينا.

سأل إرلندور: «بمن اتصلت والدتك قبل أن تعود إلى التلة؟».

من دون أن تجيبه أيضاً، وقفت ميكلينا، وذهبت إلى غرفة نومها، فتبادل إرلندور وإيلنبورغ النظرات. عادت ميكلينا بعد لحظة وهي تحمل ورقة، فتحتها وقرأتها، وأعطتها إلى إرلندور.

قالت: «أعطتني أمي هذه الورقة. أتذكر بوضوح ديف وهو يمررها لها فوق الطاولة. لكن، لم تسمح لنا قطّ بمعرفة ما فيها. لم تُرني أمي إياها حتى وقت لاحق، بعد سنوات طويلة».

قرأت إيلنبورغ الرسالة.

«طلب ديف من شخص أيسلندي، أو جندي يجيد الأيسلندية كتابة الرسالة له. واحتفظت أمي بها دائماً، وطبعاً سآخذها معي إلى القبر».

نظر إرلندور إلى الرسالة، وبالرغم من أنها كانت مكتوبة بأحرف صغيرة، إلا أن الكلمات كانت واضحة جداً.

أعرف ما يفعله بك.

«تكلمت أمي وديف عن اتصالها به عندما يخرج زوج والدتي من السجن، وأنه سيأتي لمساعدتها، لكنني لا أعرف الترتيبات تماماً».

سألت إيلنبورغ: «ألم يكن بمقدور أحد في غوفونز مساعدتها؟

لا بد من أن أشخاصاً كثيرين كانوا يعملون هناك».

نظرت ميكلينا إليها.

«كانت والدتي قد عانت سوء المعاملة على يديه عقداً ونصفاً، وتمثّل ذلك بعنف جسدي. فقد كان يضربها بوحشية كبيرة تجعلها طريحة الفراش طوال أيام بعد ذلك. بالإضافة إلى العنف النفسيّ أيضاً، الذي ربما كان أسوأ من الضرب لأنه - كما أخبرت إرلندور البارحة - حوّل والدتي إلى نكرة. بدأت تحتقر نفسها مثلما يحتقرها زوجها، وفكّرت وقتاً طويلاً في الانتحار. لكن بسببنا، نحن أولادها، لم تفعل شيئاً باستثناء التفكير في ذلك. أصلح ديف بعضاً من هذا في الشهور الستة التي أمضاها معها، وأصبح الشخص الوحيد الذي يمكن أن تطلب مساعدته. لم تذكر لأحد قطّ ما عانته في كل تلك السنوات. وأظن أنها كانت مستعدة لتحمّل الضرب مجدداً إذا دعت الحاجة. وفي أسوأ الأحوال، كان سيضربها ثمّ سيعود كل شيء إلى طبيعته مجدداً».

نظرت ميكلينا إلى إرلندور قائلة:

«لم يأتِ ديف قطّ».

ثمّ نظرت إلى إيلنبورغ:

«ولم يعد شيء إلى طبيعته».

* * *

«إذاً اتصَلَت، أليس كذلك؟».

وضع غريمور ذراعه حول توماس.

«بمن اتصَلَتْ يا توماس؟ يجب ألاّ نخفي أسراراً عن بعضنا. قد تظن والدتك أنها تستطيع إخفاء الأسرار، لكن ذلك سوء فهم كبير؛ لأن إخفاء الأسرار قد يكون شيئاً خطراً».

قالت والدتهم: «لا تستغل الفتى».

قال غريمور وهو يفرك كتفي توماس: «لقد بدأت تأمرني الآن. كم تغيرت الأمور. ما التّغيير التالي يا ترى؟».

وضع سيمون نفسه بجانب والدته، وتحركت ميكلينا نحوهما. بدأ توماس يبكي، وظهرت بقعة داكنة على منفرج سرواله.

سأل غريمور: «وهل أجاب أحد؟». كانت الابتسامة قد فارقت وجهه، والنبرة الساخرة قد اختفت، وصار تعبير وجهه جدّياً. لم يستطيعوا إبعاد أنظارهم عن ندبته.

قالت الوالدة: «لم يُجب أحد».

«إذاً، لن يأتي ديف لإنقاذ الموقف؟».

قالت الوالدة: «لن يأتيَ ديف».

قال غريمور: «أتساءل من أبلغ عني. أرسلوا سفينة بعيداً هذا الصباح. كانت محمّلة بالجنود. يبدو أن هناك حاجة إلى الجنود في أوروبا، ولا يمكنهم جميعاً الاسترخاء في أيسلندا في حين لا يوجد شيء يفعلونه غير العبث مع زوجاتنا؛ أو ربما نالوا منه. كانت القضيةُ أكبر مما تخيلت، وتدحرجت رؤوس أشخاص أكثر أهمية مني؛ رؤوس ضباط. لم يكونوا سعيدين جداً بذلك».

دفع توماس بعيداً عنه.

«لم يكونوا سعيدين جداً بذلك على الإطلاق».

وقف سيمون قريباً جداً من والدته.

قال غريمور: «هناك شيء واحد فقط في هذه المسألة كلها لا أفهمه». كان يقف آنذاك أمام والدتهم، واستطاعوا شم الرائحة الكريهة الصادرة منه. «لا يمكنني فهمه فحسب، وهو خارج نطاق فهمي. أفهم تماماً أنك تنزعين ملابسك لأول رجل ينظر إليك بعد مغادرتي، فأنت

غانية. لكن، ما الذي كان يفكر فيه؟».

تلامسا تقريباً.

«ماذا رأى فيك؟».

أمسك رأسها بكلتا يديه.

«أيتها الفاسقة البشعة اللعينة».

* * *

«ظننا أنه سيضربها ويقتلها في تلك المرة، وكنا مستعدين لذلك. كنت أرتعش خوفاً، ولم يكن سيمون أفضل حالاً. تساءلت إن كان بمقدوري جلب السكين من المطبخ، لكن شيئاً لم يحدث. نظرا إلى عيون بعضهما، وبدلاً من أن يضربها تراجع إلى الخلف».

توقفت ميكلينا عن الكلام.

«لم أشعر قطّ بمثل ذلك الخوف في حياتي. ولم يعد سيمون الشخص نفسه بعدئذ، وابتعد عنا أكثر فأكثر بعد ذلك؛ سيمون المسكين».

نظرت نحو الأسفل؛ إلى الأرض.

قالت: «غادر ديف حياتنا بالسرعة التي دخلها بها، ولم تسمع أمي منه مجدداً قطّ».

قال إرلندور: «كان لقبه ولش. ونحن نحقق في ما حدث له. ماذا كان اسم زوج والدتك؟».

قالت ميكلينا: «كان اسمه ثورغريمور، ويدعى دائماً غريمور».

كرّر إرلندور: «ثورغريمور». تذكر الاسم من لائحة أسماء الأيسلنديين الذين عملوا في المستودع.

رنّ جوّاله في جيب معطفه، وكان المتصل سيغوردور أولي الموجود آنذاك في موقع الحفر على التلة.

قال سيغوردور أولي: «يجب أن تأتي إلى هنا».

قال إرلندور: «هنا؟ أين هنا؟».

قال سيغوردور أولي: «إلى التلة طبعاً. لقد وصلوا إلى العظام، وأظن أننا اكتشفنا من المدفون هنا».

«من هو؟».

«خطيبة بنيامين».

«لماذا؟ ما الذي جعلك تظن أنها هي؟». كان إرلندور قد نهض، وذهب إلى المطبخ ليحظى ببعض العزلة.

قال سيغوردور أولي: «تعال إلى هنا وانظر. لا يمكن أن يكون الهيكل العظميّ لشخص آخر. تعال فحسب وشاهد بنفسك».

ثم أنهى المكالمة.

26

وصـل إرلنـدور وإيلنبـورغ إلـى غرافارهولـت بعد خمس عشـرة دقيقة. ودّعا على عجل ميكلينا التي راقبتهما مندهشة وهما يخرجان من الباب، ولم يخبرها إرلندور ما كان سيغوردور أولي قد قاله عبر الهاتف عن خطيبة بنيامين، وإنما قال لها فقط إن عليهما الذهاب إلى التلـة؛ لأن الهيكل العظمـي قـد كُشـف أخيراً، وطلـب منها الاحتفاظ بقصتها لنفسـها في ذلك الوقت. اعتذرا منها، وقال إنهما سـيتكلمان أكثر لاحقاً.

سـألت ميكلينـا مـن حيـث تقف في الردهـة، وتنظر إليهما وهما يغادران: «ألا يجب أن آتي معكما؟ لدي...».

قاطعها إرلندور: «ليس الآن. سنجري حديثاً مطولاً لاحقاً، فقد طرأ أمر جديد».

كان سـيغوردور أولـي ينتظرهمـا علـى التلـة، واصطحبهمـا إلـى سكارفيدين الذي كان يقف بجانب القبر.

حيّاه عالم الآثار: « إرلندور، وصلنا إلى هناك. لم يستغرق الأمر وقتاً طويلاً».

سأل إرلندور: «ماذا وجدتم؟».

قال سـيغوردور أولي باعتداد بالنفس: «إنها أنثى، ولا شـك في ذلك».

سألت إيلنبورغ: «لماذا؟ هل أصبحت طبيباً فجأة؟».

قال سيغوردور أولي: «لا يتطلب الأمر طبيباً، فالأمر واضح».

قال سكارفيدين: «يوجد هيكلان عظميّان في القبر. أحدهما لراشد؛ امرأة على الأرجح. والآخر لطفل رضيع صغير، ربما يكون جنيناً. إنه ممدد هناك في الهيكل العظمي».

نظر إليه إرلندور مندهشاً.

«هيكلان عظميان؟».

ألقى نظرة خاطفة على سيغوردور أولي، ثمّ تقدم خطوتين إلى الأمام، ونظر إلى القبر، فرأى فوراً ما كان سكارفيدين يعنيه. كان الهيكل العظمي الكبير ظاهراً كله تقريباً، ويتمدد مكشوفاً أمامه. كانت يده مرفوعة في الهواء، وفكاه متباعدين، وهو مملوء تراباً، وأضلاعه مكسورة. وملأ الترابُ محجري العينين الخاويين، وهناك خصلات شعر على الجبين، والجلد لم يتحلل تماماً عن الوجه.

إضافة إلى ذلك، رأى هيكلاً عظمياً صغيراً آخر، مكوّراً بوضعية الجنين. كان مختصو علم الآثار قد كنسوا التراب بحرص عنه، وظهرت الذراعان وعظمتا الفخذين بحجم قلم رصاص، وكانت الجمجمة بحجم كرة مضرب. وكان ممدداً تحت القفص الصدري للهيكل العظمي الكبير ورأسه إلى الأسفل.

سأل سيغوردور أولي: «هل يعقل أن تكون امرأة أخرى؟ أليست تلك هي الخطيبة؟ كانت حاملاً. ماذا كان اسمها مجدداً؟».

قالت إيلنبورغ: «سولفيغ». وتابعت وكأنها تحدّث نفسها وهي تحدّق إلى الهيكلين العظميين: «هل كان حملها متقدماً إلى ذلك الحد؟».

سأل إرلندور: «هل يدعونه طفلاً أم جنيناً في هذه المرحلة؟».

قال سيغوردور أولي: «ليست لدي أدنى فكرة».

قال إرلندور: «ولا أنا». ثمّ سأل سكارفيدين: «نحتاج إلى خبير.

هـل يمكننـا أخـذ الهيكليـن العظمييـن على حالهما إلى المشـرحة في بارونستيغور؟».

«ماذا تعني بقولك على حالهما؟».

«واحد فوق الآخر».

«يجـب علينـا أولاً أن نخـرج الهيـكل العظمـي الكبير. إذا أبعدنا القليل من التراب عنه، بمكانس وفراشٍ صغيرة، ثم وصلنا إلى أسفله بحـرص شـديد، يجـب أن نتمكـن مـن رفعـه كله، نعـم. أظن أن ذلك سيفي بالغرض. ألا تريد أن يُلقي مختص علم الأمراض نظرة عليهما هنا؟ في هذه الوضعيّة؟».

قـال إرلنـدور: «لا، أريدهمـا داخـل غرفـة. يجب أن نفحص كل هذا في ظروف مثالية».

بحلـول وقـت الغـداء، كان الهيـكلان العظميـان قـد أُخرجـا من الأرض سليمين. وراقب إرلندور وسيغوردور أولي وإيلنبورغ العظام وهـي تُرفـع. نفّـذ مختصـو علم الآثـار المهمة بحرفية عالية، ولـم يندم إرلندور على استدعائهم. وأدار سكارفيدين العملية بالكفاءة نفسها التي أظهرهـا فـي أثنـاء الحفـر، وأخبر إرلنـدور أنهم قد أحبوا فعلاً الهيكل العظمي الذي أطلقوا عليه اسم إنسان الألفية تكريماً لإرلندور، وأنهم سيشتاقون إليه، لكن عملهم لم ينته. ونظراً إلى أن سكارفيدين قد أظهر اهتماماً بعلم الجريمة في تلك الأثناء، فقد عقد العزم على تفتيش التربة مـع فريقـه بحثـاً عـن أدلّـة على الحادثة التي وقعت على التلة قبل كل تلك السنين. كان قد التقط صوراً، وسجّل أشرطة فيديو لكل مرحلة من الحفر، وقال إنها قد تصبح محاضرة مثيرة للاهتمام في الجامعة، خاصة إذا اكتشف إرلندور كيف وصلت العظام إلى هناك في المقام الأول؛ كما أضاف بابتسامة كشفت عن أنيابه.

نُقل الهيكلان العظميان إلى المشرحة في بارونستيغور. كان مختص علم الأمراض في إجازة مع أسرته في إسبانيا، ولن يعود قبل أسبوع على الأقل، كما أخبر إرلندور عبر الهاتف في عصر اليوم نفسه، وهو يستمتع بالشمس في حفل شواء، ويترنح من أثر الشراب كما ظن المحقق. عندما أُخرجت العظام، ووضعت في شاحنة الشرطة الصغيرة، أشرف الطبيب الشرعي على العملية، وتأكّد من تخزينها في مكان مناسب في المشرحة.

نُقل الهيكلان العظميان معاً بدلاً من فصلهما، كما كان إرلندور قد أصر. ولإبقاء وضعيتهما المتصلة على حالها قدر الإمكان، كان مختصو علم الآثار قد تركوا الكثير من التراب بينهما. ولهذا كانت الكتلة التي وضعت على الطاولة أمام إرلندور وطبيب المقاطعة الشرعي كبيرة حقًّا؛ حين وقفا معاً تحت ضوء النيون الساطع في غرفة التشريح. كان الهيكلان العظميان ملفوفين ببطانية بيضاء كبيرة أبعدها الطبيب الشرعي، ووقف الرجلان يتأملان العظام.

قال إرلندور: «أكثر ما نحتاج إليه على الأرجح هو تحديد عمر كلا الهيكلين العظميين». ونظر إلى الطبيب الشرعي.

قال الطبيب الشرعي مستغرقاً في أفكاره: «نعم، تحديد العمر. تعرف أنه لا يوجد فرق كبير حقًّا بين هيكل عظمي لذكر وآخر لأنثى باستثناء عظم الحوض، الذي لا يمكننا رؤيته بوضوح كافٍ بسبب الهيكل العظمي الصغير وطبقة التراب بينهما. الأضلاع مكسورة كما نعرف. إنها امرأة طويلة وضخمة قليلاً؛ هذا هو انطباعي الأول. لكنني أفضّل في الواقع ألاّ تكون لي أي علاقة به. هل أنت على عجلة من أمرك؟ ألا يمكنك الانتظار أسبوعاً؟ لست مختصاً بالتشريح أو بتحديد عمر الجثث. قد تغيب عني كل أنواع التفاصيل التي ربما يلاحظها

مختص مؤهل بعلم الأمراض، ويعرفها بالحدس. إذا أردت إنجاز عمل جيد، يجب أن تنتظره». كرّر: «هل هناك داعٍ للعجلة؟ ألا يمكن لهذا أن ينتظر؟».

لاحظ إرلندور قطرات عرق على جبين الطبيب الشرعي، وتذكر شخصاً يقول إنه يحاول دائماً تفادي حمل مسؤولية كبيرة.

قال إرلندور: «على أيّ حال، لا داعي للعجلة. لا أظن ذلك، إلا إذا أظهر الحفر شيئاً لا نعرفه؛ مأساة ما».

«أتعني أن شخصاً راقب الحفر يعرف ما يجري وكشف سلسلة من الأحداث؟».

قال إرلندور: «سنرى. لننتظر مختص علم الأمراض. إنها ليست مسألة حياة أو موت، لكن انظر ماذا يمكنك أن تفعل من أجلنا على أيّ حال. ألقِ نظرة عليهما في الوقت الذي يلائمك، فربما تستطيع إخراج الهيكل العظمي الصغير من دون تدمير أي دليل».

أومأ طبيب المقاطعة الشرعي وكأنه غير واثق من خطوته التالية. قال: «سأرى ما يمكنني فعله».

قرر إرلندور أن يتكلم مع ابنة شقيق بنيامين كندسن فوراً بدلاً من الانتظار حتى صباح اليوم التالي. وذهب لرؤيتها مع سيغوردور أولي في ذلك المساء. فتحت إلزا الباب ودعتهما للدخول إلى غرفة معيشتها، وجلسوا جميعاً هناك. بدت متعبة جداً، وخشي إرلندور من رد فعلها على اكتشاف الهيكلين العظميين. وتخيل أن ظهور ذلك الأمر بعد كل تلك السنين، واكتشافها أن عمها متورط في جريمة سيكونان صعبين بالنسبة إليها.

أخبرها عمّا كان مختصو علم الآثار قد عثروا عليه في التلة،

وأنّ الهيكل العظمي يخصّ خطيبة بنيامين على الأرجح. نظرت إلزا إلى كل محقق بالتناوب، فيما كان إرلندور ينهي روايته، ولم تستطع إخفاء شكها.

صرخت: «لا أصدقك. هل تقول إن بنيامين قد قتل خطيبته؟».

«هناك احتمال...».

«ودفنها على التلة بجانب شاليهما؟ لا أصدق ذلك. لا أفهم فحسب إلى أين تمضون بكل هذا. بكل بساطة، لا بد من وجود تفسير آخر. لم يكن بنيامين قاتلاً، وأنا واثقة من ذلك. لقد كنتم أحراراً في التجول في أرجاء هذا المنزل وتفتيش القبو كما تشاءون، لكن هذا يتخطى كل الحدود. هل تظنون أنني كنت سأسمح لكم بتفتيش القبو إذا كان لدي - أو لدى الأسرة - أي شيء أخفيه؟ لا، هذا خارج الحدود. يجب أن تغادرا». قالت وهي تنهض: «الآن!».

قال سيغوردور أولي: «نحن لا نقول إنك متورطة». جلس وإرلندور في مكانيهما. «لا نقول إنك كنت تعرفين شيئاً وأخفيته عنا...؟».

قالت إلزا: «إلامَ تلمح؟ إلى أنني كنت أعرف شيئاً؟ هل تتهمني بالتواطؤ؟ هل ستعتقلني؟ هل تريد وضعي في السجن؟ يا لها من طريقة تتصرفان بها!». حدّقت إلى إرلندور.

قال إرلندور: «اهدئي. وجدنا هيكلاً عظمياً لطفل مع الهيكل العظمي الذي يخصّ الشّخص الراشد. وكان من المعروف أن خطيبة بنيامين حامل، والاستنتاج الطبيعي هو أنها هي. ألا تظنين ذلك؟ لا نلمح إلى أي شي، وإنما نحاول فقط حل القضية. لقد كنت مفيدة على نحو استثنائي لنا ونقدّر ذلك، وما كان أي شخص ليفعل كل ما قمت به. على أيّ حال، تبقى الحقيقة هي أن عمك بنيامين هو

المشتبه فيه الرئيس الآن بعد أن أخرجنا العظام».

حدّقت إلـزا إلـى إرلنـدور؛ وكأنـه متطفل في منزلها، ثم بدا أنها تلين قليلاً. نظرت إلى سيغوردور أولي، ثم إلى إرلندور مجدداً، وبعد ذلك جلست.

قالت: «إنه سوء فهم، وستدركان ذلك إذا عرفتما بنيامين بالطريقة التي عرفته بها. ما كان ليؤذي ذبابة قطّ».

قـال سـيغوردور أولـي: «اكتشـف أن خطيبتـه حامـل، وكانـا سيتزوجان. ومن الواضح أنه أحبها حباً جماً، وارتكز مستقبله عليها، وعلى الأسرة التي سيكوّنها معها، وعمله، ومكانته في المجتمع. لقد انهار، وربما ذهب بعيداً. لم يُعثر على جثتها قطّ، وكان يفترض أنها رمت بنفسها في البحر؛ اختفت. وربما نكون قد عثرنا عليها».

قال إرلندور بحذر: «أخبرت سيغوردور أولي أن بنيامين لم يعرف من جعل خطيبته حاملاً». تسـاءل إن كانوا يسـتبقون الأحداث، ولعن مختـص علـم الأمـراض فـي إسـبانيا. ربمـا كان يجـب أن يؤجلا هذه الزيارة إلى وقت لاحق، وينتظرا تأكيداً.

قالت إلزا: «ذلك صحيح، لم يكن يعرف».

«لقد سمعنا أن والدة سولفيغ قد ذهبت لرؤيته لاحقاً، وأخبرته القصة كاملة حين انتهى كل شيء، وبعد أن اختفت سولفيغ».

تغير تعبير وجه إلزا إلى الدهشة.

قالت: «لم أكن أعرف هذا. متى حدث ذلك؟».

قال إرلندور: «لاحقاً، لا أعرف بالضبط. تكتّمت سولفيغ بشأن هوية والد الطفل، ولسبب ما لم تخبر أحداً. لم تقل لبنيامين ما حدث، وفسخت خطبتهما، ولم تنبس بكلمة عن الوالد، ربما لتحمي أسرتها، وسمعة أبيها العطرة».

«ماذا تعني بسمعة أبيها العطرة؟».

«اغتصب ابن شقيقه سولفيغ حين كانت تزور أسرته في فليوت».

انهـارت إلـزا، ووضعـت تلقائيـاً يدهـا علـى فمها مشـدوهة، ثم تنهّدت قائلة: «لا أصدق ذلك».

في الوقت نفسه، في الطرف الآخر من المدينة، كانت إيلنبورغ تخبـر بـارا عمّـا وُجـد في القبـر، وأن الفرضية الأكثر ترجيحاً هي أنها جثة سـولفيغ، خطيبة بنيامين الذي دفنها على الأرجح هناك. شـدّدت إيلنبورغ على أن كل ما في جعبة الشـرطة هو أنه كان آخر شـخص رآها على قيد الحياة، وأن طفلاً وُجد مع الهيكل العظمي على التلة، وأنه ينبغي إجراء تحاليل أخرى للعظام.

اسـتمعت بارا إلى كلام إيلنبورغ من دون أن يطرف لها جفن. وكالمعتـاد، كانـت وحدهـا فـي منزلهـا الكبير، محاطـة بمظاهر الثراء، ولـم يظهر عليها أي رد فعل.

قالت: «أراد والدنا أن تجهض الطفل، وأرادت والدتنا أن تأخذها إلى الريف لتنجب الطفل بعيداً وتعود وكأن شيئاً لم يحدث، ثم تتزوج بنيامين. تكلم والداي عن ذلك طويلاً، ثم استدعيا سولفيغ لرؤيتها».

نهضت بارا.

«أخبرتني والدتي بذلك لاحقاً».

ذهبـت إلـى طاولة السـنديان الفخمـة، وفتحت درجاً، وأخرجت منديلاً أبيض صغيراً وضعته على أنفها.

«عرضـا عليهـا الخياريـن. ولـم يكن الخيار الثالث موضع نقاش مطلقاً؛ وهو إنجاب الطفل واحتضانه بوصفه فرداً من أفراد الأسـرة. حاولـت سـولفيغ إقناعهمـا بذلـك، ولكنهمـا رفضا سـماع كلمة منها،

ولم يرغبا في أن يعرفا شيئاً عنه. أرادا قتل الطفل أو التخلي عنه».

«وسولفيغ؟».

قالت بارا: «لا أعرف. الفتاة المسكينة، لا أدري. أرادت الطفل، وما كانت لتفكر في فعل شيء آخر، فقد كانت مجرد طفلة. لم تكن أكثر من طفلة».

نظر إرلندور إلى إلزا وسألها: «هل يعقل أن يكون بنيامين قد فسّر الأمر بأنه فعل خيانة؟ إذا رفضت سولفيغ الإفصاح عن اسم والد الطفل؟».

قالت إلزا: «لا أحد يعرف ما جرى بينهما في لقائهما الأخير. أخبر بنيامين والدتي النقاط الرئيسة. لكن، من المستحيل معرفة إن كان قد ذكر كل تفصيل مهم. هل اغتُصبت فعلاً؟ يا الله!».

نظرت إلزا إلى إرلندور وسيغوردور أولي بالتناوب، ثم قالت بصوت خافت: «ربّما يكون بنيامين قد اعتبر ذلك خيانة».

سألها إرلندور: «آسف، ماذا قلت؟».

كرّرت إلزا: «ربّما يكون بنيامين قد اعتبر ذلك خيانة. لكن، هذا لا يعني أنه قتلها ودفن جثتها على التلة».

قال إرلندور: «لأنها التزمت الصمت».

قالت إلزا: «نعم، لأنها التزمت الصمت، ورفضت الإفصاح عن اسم الوالد. لم يعرف عن الاغتصاب، وأظن أنني أستطيع الجزم بذلك».

سأل إرلندور: «هل يعقل أن لديه شريكاً؟ ربما جعل شخصاً ما يقوم بذلك من أجله».

«لا أفهم».

«أجّر شاليهه في غرافارهولت إلى لص يضرب زوجته. لا يدلنا ذلك على شيء بحد ذاته، لكنها حقيقة يجب أخذها بالحسبان».

«لا أعرف ما تتكلم عنه. شخص يضرب زوجته؟».

«لا، ذلك كثير على الأرجح الآن. ربما نقفز إلى النتائج يا إلزا، والأفضل أن ننتظر تقرير مختص علم الأمراض. اعذرينا رجاءً إذا كنا...».

«لا، طبعاً. لا، شكراً لكما لتزويدي بالمعلومات. أقدّر لكما ذلك».

قال سيغوردور أولي: «سنعلمك بتطورات القضية».

قالت إلزا: «ولديكم خصلة الشعر، من أجل تحديد الهوية».

نهضت إيلنبورغ، فقد كان يوماً طويلاً، وأرادت الذهاب إلى المنزل. شكرت بارا، واعتذرت عن إزعاجها في ذلك الوقت المتأخر من المساء. فقالت بارا: «لا عليك». وتبعتها إلى الباب، ثمّ أغلقته خلفها. رنّ الجرس بعد لحظة، ففتحت بارا الباب مجدداً.

سألت إيلنبورغ: «هل كانت طويلة؟».

قالت بارا: «من؟».

قالت إيلنبورغ: «شقيقتك. هل كانت طويلة جداً، أم متوسطة الطول، أم قصيرة؟ كيف كانت بنيتها الجسدية؟».

قالت بارا وقد ارتسمت شبه ابتسامة على شفتيها: «لا، لم تكن طويلة. وهي أبعد ما تكون عن ذلك. كانت قصيرة جداً، وبنيتها صغيرة على نحو استثنائي. كانت حفنة من شيء، كما اعتادت والدتنا أن تقول. وكان أمراً غريباً رؤيتها وبنيامين وهما يمشيان معاً، ويمسكان يدي بعضهما؛ لأنه كان طويلاً جداً في حين أنّها قصيرة».

اتصل طبيب المقاطعة الشرعي بإرلندور الذي كان يجلس بجانب سرير ابنته في المستشفى قبل منتصف الليل بقليل.

قال الطبيب الشرعي: «أنا في المشرحة. وقد فصلت الهيكلين العظميين عن بعضهما. آمل ألا أكون قد آذيت شيئاً، فأنا لست مختصاً بعلم الأمراض. هناك تراب على كل الطاولة، وعلى الأرض، والفوضى عارمة حقًّا».

قال إرلندور: «و؟».

«نعم، آسف. حسناً، لدينا الهيكل العظمي للجنين، الذي كان عمره سبعة شهور على الأقل».

قال إرلندور نافد الصبر: «نعم».

«ولا شيء غريب في ذلك، باستثناء...».

«تابع».

«ربما كان قد ولد قبل أن يموت، أو ربما ولد ميتاً. من المستحيل معرفة ذلك. لكن من يرقد تحته ليس أمه».

«مهلاً... ما الذي يجعلك تقول هذا؟».

«لا يمكن أن تكون الأم هي التي ترقد تحت الطفل، أو مدفونة معه، كيفما أردت أن تصف الأمر».

«ليست الأم؟ ماذا تعني؟ من هي إذاً؟».

قال الطبيب الشرعي: «ليس هناك شك. ويمكن معرفة ذلك من عظم الحوض».

«عظم الحوض؟».

«الهيكل العظمي الكبير ليس لامرأة بل لذكر. كان رجلاً ذاك الذي دُفن تحت الطفل».

27

كان الشتاء على التلة طويلاً وقاسياً.

بقيت والدة الأولاد تعمل في غوفونز للألبان، والصبيان يستقلان حافلة المدرسة كل صباح، في حين عاد غريمور إلى نقل الفحم. فبعد اكتشاف السرقة رفض الجيش إعادته إلى وظيفته القديمة مجدداً. أُغلق المستودع، ونُقلت الثكنات إلى هالوغالاند، ولم يبق إلا السياج وأعمدته، والساحة الإسمنتية التي كانت أمام الأبنية. نُقل المدفع من الخندق، وقال الناس إن الحرب توشك على الانتهاء؛ فالألمان يتراجعون في روسيا، وإن هجوماً مضاداً كبيراً سيُشن على الجبهة الغربية.

تجاهل غريمور تقريباً والدة الأولاد في ذلك الشتاء، ولم ينطق بكلمة إلا ليشتمها. لم يعودا يتشاطران الفراش، ونامت الوالدة في غرفة سيمون، في حين أراد غريمور أن يبقى توماس في غرفته. ولاحظ الجميع باستثناء توماس كيف انتفخ بطنها ببطء في أثناء الشتاء حتى برز مثل ذكرى حلوة ومرّة عن أحداث الصيف، وأضحى تذكاراً مروعاً عمّا سيحدث إذا نفذ غريمور تهديداته.

تعاملت مع حالتها بأفضل ما تستطيع، وهدّدها غريمور باستمرار، وقال إنه لن يسمح لها بالاحتفاظ بالطفل، وإنّه سيقتله عند مولده، وإنه سيكون معوقاً مثل ميكلينا، وأفضل شيء هو قتله فوراً. قال: «ذلك الأمريكي اللعين». لكنه لم يعتدِ عليها جسدياً في ذلك الشتاء، وابتعد عنها، وتسلل بصمت حولها مثل وحش يستعد للانقضاض

على فريسته.

حاولت أن تتكلم عن الطلاق، لكن غريمور ضحك عليها. ولم تناقش حالتها مع الناس في مزرعة الألبان وأخفت حقيقة أنها حامل، وربما ظنّت - حتى النهاية - أن غريمور سيتراجع، وأن تهديداته جوفاء. وأنّه عندما يوضع على المحك فلن ينفذ وعيده، وسيكون مثل أبٍ للطفل بالرغم من كل شيء.

في النهاية، لجأت إلى إجراءات يائسة؛ ليس للثأر من غريمور بالرغم من أن لديها سبباً قوياً لفعل ذلك، بل لحماية نفسها والطفل الذي كانت على وشك إنجابه.

شعرت ميكلينا بقوة بتوتر متزايد بين والدتها وغريمور في أثناء ذلك الشتاء القاسي، ولاحظت أيضاً تغيراً في سيمون لم يكن أقل إزعاجاً. كان دائماً مولعاً بوالدته، لكنه لم يعد يفارقها منذ وصوله إلى المنزل بعد مجيئه من المدرسة وانتهائها من العمل. أصبح أكثر عصبية بعد عودة غريمور من السجن في صباح ذلك اليوم الخريفي البارد، وتفادى قدر المستطاع والده، وازداد قلقه بشأن والدته بانقضاء كل يوم. سمعته ميكلينا يتكلم مع نفسه أحياناً. وبدا أنه يتحدث إلى شخص لا تستطيع رؤيته، ولا يمكن أن يكون في منزلهم: شخص خيالي. سمعته أحياناً يقول بصوتٍ عالٍ ما يجب أن يفعله لحماية والدتهم والطفل الذي ستنجبه من صديقه ديف، وكيف يقع على عاتقه واجب حراستها من غريمور، وأن حياة الطفل تعتمد عليه، ولا أحد آخر يمكنه تقديم المساعدة، فصديقه ديف لن يعود مطلقاً.

أخذ سيمون تهديدات غريمور على محمل الجد، وظنّ جازماً أنه لن يسمح للطفل بالعيش، وأن غريمور سيأخذه ولن يروه أبداً؛ فهو سيحمله إلى الجبل، وسيعود من دونه.

التزم توماس الصمت كعادته، لكن ميكلينا شعرت بتغيير فيه مع انقضاء الشتاء. سمح غريمور لتوماس بتمضية الليل في غرفته، بعد أن منع والدة الأولاد من النوم على السرير المزدوج، وأرغمها على النوم في سرير توماس الذي كان صغيراً جداً عليها وغير مريح. لم تعرف ميكلينا ما قاله غريمور لتوماس، لكن سرعان ما اتخذ توماس موقفاً مختلفاً جداً منها. لم تعد له أي علاقة بها، وأبعد نفسه عن سيمون أيضاً، بالرغم من أنهما كانا دائماً مقرّبين من بعضهما. حاولت والدتهم أن تتكلم مع توماس، لكنه ابتعد عنها دائماً، غاضباً وصامتاً وبائساً.

سمعت ميكلينا غريمور يقول لتوماس مرة: «أصبح سيمون غريباً بعض الشيء. إنه يصبح غريباً مثل والدتك، فاحترس منه، وتأكّد من ألاّ تصبح مثله؛ لأنك ستصبح غريباً أيضاً».

سمعت ميكلينا مرة والدتها تتكلم مع غريمور عن الطفل. وكانت تلك هي المرة الوحيدة على حد علمها التي سمح لها فيها بأن تتكلم عمّا يجول في ذهنها. كان بطن والدتها قد انتفخ آنذاك، ومنعها غريمور من العمل في المزرعة.

سمعته ميكلينا يأمرها: «استقيلي من عملك وقولي إنك ستعتنين بأسرتك».

قالت والدتها: «لكن، يمكنك القول إنه ابنك».

ضحك غريمور عليها.

«يمكنك ذلك».

«اخرسي».

لاحظت ميكلينا أن سيمون يسترق السمع أيضاً.

قالت والدتهم بصوت لطيف: «يمكن أن تقول بسهولة إنه طفلك».

قال غريمور: «لا تحاولي ذلك».

«لا داعيَ لأن يعرف أحد شيئاً، أو يكتشف ما حدث».

«فات أوان تصويب الأمور الآن. كان يجب أن تفكري في ذلك حين كنت في البراح مع ذلك الأمريكي اللعين».

قالت بحذر: «أو قد أدفع به إلى التبني. لست أول من يفعل ذلك».

قال غريمور: «بالتأكيد لست كذلك، فنصف أهل المدينة اللعينة يفعلون ذلك. لكن، لا تظني أن ذلك يجعلك أفضل».

«لا داعيَ إلى أن تراه أبداً. سأتخلى عنه حين يولد، ولن تراه أبداً».

قال غريمور: «الجميع يعرف أن زوجتي تلاحق الأمريكيين، ويعرفون جميعاً أنك كنتِ تخونينني».

قالت: «لا أحد يعرف، لا أحد. ليس هناك أحد يعرف بشأني أنا وديف».

«كيف تظنين أنني عرفت ذلك أيتها الغانية؟ هل أنت من أخبرني؟ ألا تظنين أن ذلك النوع من القصص ينتشر؟».

«نعم، لكن لا أحد يعرف أنه الوالد، لا أحد يعلم».

قال غريمور: «اخرسي، وإلا...».

انتظروا جميعاً ليروا ما سيحمله ذلك الشتاء الطويل لهم، وما كان بطريقة فظيعة أمراً محتوماً.

بدأ الأمر حين شعر غريمور بالمرض.

* * *

حدّقت ميكلينا إلى إرلندور.

«بدأت تسمّمه في ذلك الشتاء».

قال إرلندور: «تسمّمه؟».

«لم تكن تعرف ما تفعله».

«كيف سمّمته؟».

«هل تتذكر قضية دوكسكوت في ريكيافيك؟».

«حين قتلت شابة شقيقها بسم الجرذان؟ نعم، حدث ذلك في وقت ما في مطلع القرن الماضي».

«لم تكن أمي تنوي قتله بتلك الطريقة، بل كانت تنوي أن تجعله مريضاً فقط، حتى تستطيع إنجاب الطفل وإبعاده عن طريقه قبل أن يكتشف أنه اختفى. أطعمت المرأة من دوكسكوت شقيقها سم الجرذان، ووضعت جرعات كبيرة في اللبن الذي يشربه، وبالرغم من أنه رآها تفعل ذلك، إلا أنه لم يعرف معناه، واستطاع أن يخبر أحدهم؛ لأنه لم يمت إلا بعد عدّة أيام. مزجت شراباً مع لبنه لإخفاء الطعم. وفي التحقيق، وجدوا فوسفوراً في جسده، والذي له تأثير سمّي بطيء. عرفت والدتنا تلك القصة، فقد كانت جريمة شهيرة في ريكيافيك. عرفت مكان سم الجرذان في مزرعة غوفونز، وسرقت كميّات صغيرة منه، وضعتها في طعامه. وقد استخدمت كمية صغيرة جداً في كل مرة حتى لا يميز طعمه أو يشك في أي شيء. وبدلاً من الاحتفاظ بالسم في المنزل كانت تجلب ما تحتاج إليه في كل مرة. لكن، عندما استقالت من عملها في مزرعة الألبان، أخذت كميّة كبيرة إلى المنزل وأخفتها. لم تكن لديها أي فكرة عن تأثيرها فيه، أو إن كانت مثلُ تلك الكميّات الصغيرة ستُحدث أثراً على الإطلاق. لكن، بعد مرور بعض الوقت بدا أن التأثيرات تظهر. فقد أصبح أضعف، ومريضاً غالباً أو متعباً، ويتقيأ، ولم يستطع الذهاب إلى العمل، وبقي

طريح الفراش يعاني».

سأل إرلندور: «هل شكّ في شيء؟».

قالت ميكلينا: «ليس قبل فوات الأوان. لم يكن يحب الأطباء، وبالطبع لم تشجّعه على الذهاب إلى الطبيب والخضوع لفحص طبيّ».

«وماذا بشأن ما قاله عن أنهم سيتولون أمر ديف؟ هل ذكر ذلك مجدداً؟».

قالت ميكلينا: «لا، أبداً. كان يطلق تهديدات جوفاء فحسب، ويقول أشياء لإخافتها. فهو يعرف أنها تحب ديف».

كان إرلندور وإيلنبورغ في غرفة معيشة ميكلينا، يستمعان إلى قصتها، وقد أخبراها أن الهيكل العظمي تحت الطفل في القبر في غرافارهولت لذكر. فهزّت ميكلينا رأسها، إذ كان بمقدورها إخبارهما بذلك قبل أن يسرعا بمغادرة منزلها من دون أن يفصحا عن السبب.

أرادت أن تعرف عن هيكل الطفل العظمي. وعندما سألها إرلندور إن كانت ترغب في رؤيته، نفت ذلك.

قالت: «لكنني أود أن أعرف متى ستنتهون منه. حان الأوان لترقد بسلام».

قالت إيلنبورغ: «هي؟».

قالت ميكلينا: «نعم، هي».

أخبر سيغوردور أولي إلزا بما كان الطبيب الشرعي قد اكتشفه: الجثة في القبر لا يمكن أن تكون لخطيبة عمها بنيامين. واتصلت إيلنبورغ ببارا شقيقة سولفيغ، لتنقل لها الخبر نفسه.

عندما كان إرلندور في طريقه مع إيلنبورغ لرؤية ميكلينا، اتصل به إد ليخبره أنه لم يستطع اكتشاف ما حل بديف ولش بعد، ولا

يعرف إن كان قد أُرسل إلى مكان غير أيسلندا، أو حتى متى حدث ذلك، وقال إنه سيتابع البحث.

كان إرلندور قد ذهب باكراً في ذلك الصباح إلى غرفة العناية الفائقة ليزور ابنته التي كانت على حالها، وجلس بجانب سريرها لبعض الوقت، واستأنف حكايته عن شقيقه الذي تجمّد حتى الموت في إسكيفيوردور حين كان إرلندور في العاشرة من عمره. كانا يرعيان أغناماً مع والدهما حين هبّت العاصفة، ولم يعد بإمكان الشقيقين أن يريا والدهما، أو بعضهما بعدئذ. واستطاع والدهما العودة إلى المزرعة مرهقاً. وانطلقت فرقٌ للبحث عنهما.

قال إرلندور: «عثروا علي بمحض المصادفة، ولا أعرف السبب. خطر لي أن أحفر لنفسي ملجأ في الثلج، وكنت أقرب إلى الموت منه إلى الحياة حين دفعوا عصا في الثلج، ومسّت كتفي مصادفة. انتقلنا بعيداً، لأنه لم يكن بمقدورنا العيش هناك ونحن نعرف أنه مفقود في مكان ما هناك. حاولنا أن نبدأ حياة جديدة في ريكيافيك... لكن، عبثاً حاولنا».

في تلك اللحظة، أطلّ طبيبٌ عليهما، وتبادل وإرلندور التحية، وناقشا بإيجاز حالة إيفا ليند التي لم تتغير كما قال الطبيب. لم تكن هناك إشارة تدلّ على شفائها أو أنها تستعيد وعيها. أطبق الصمت عليهما، واستدار الطبيب وغادر الغرفة وهو يقول: «لا تتوقع حصول أمور خارجة عن المألوف». ولاحظ ابتسامة باردة على وجه إرلندور.

كان إرلندور يجلس آنذاك قبالة ميكلينا، وهو يفكر في ابنته المستلقية على سرير المستشفى، وشقيقه المسجّى في الثلج، وتسلّلت كلمات ميكلينا إلى ذهنه.

قالت: «لم تكن والدتي قاتلة».

نظر إرلندور إليها.

كرّرت ميكلينا: «لم تكن والدتي قاتلة. كانت تظن أن بمقدورها إنقاذ الطفلة، وخافت على ابنتها».

ألقت نظرة خاطفة على إيلنبورغ.

قالت: «بالمحصلة، لم يمت. أو لم يحدث ذلك بسبب السم».

قالت إيلنبورغ: «لكنك قلتِ إنه لم يشك في شيء حتى فات الأوان».

قالت ميكلينا: «نعم، كان الأوان قد فات آنذاك».

* * *

في الليلة التي حدث فيها ذلك، بدا غريمور أكثر لطفاً بعد استلقائه على السرير طوال اليوم وهو يكابد الألم.

شعرت والدتهم بألم في بطنها، وفي المساء أحسّت بانقباضاتٍ سريعة جدًّا. كانت تعرف أن الوقت لا يزال باكراً جداً، وأن الطفلة ستولد قبل أوانها، فجعلت الصبيّين يجلبان الفُرش الموضوعة على السريرين في غرفتهما، وعلى أريكة ميكلينا في المطبخ، ووضعتها على أرضية المطبخ، واستلقت بحلول وقت العشاء عليها.

طلبت من سيمون وميكلينا تجهيز ملاءات نظيفة وماء ساخن لغسل الطفلة، فقد كانت تعرف الإجراءات بعد إنجاب ثلاثة أطفال.

كان الوقت لا يزال شتاءً، وكان المكان معتماً. لكن الطقس في ذلك اليوم أصبح على نحو استثنائي دافئاً، وهطل المطر طوال اليوم. كان الربيع سيحلّ قريباً. أمضت والدتهم وقتها في الخارج في ذلك اليوم، وهي تمهّد التربة حول أجمة التوت البري، وتقلّم الأغصان اليابسة، وقالت إن التوت سيكون لذيذاً حين تصنع المربّى

فـي ذلـك الخريـف. لـم يدعها سـيمون تغيب عن ناظريه، وذهب إلى الأجمـة معهـا. حاولـت أن تهـدّئ مـن روعه، وقالت له إن كل شـيء سيكون على ما يرام.

قال سيمون: «لن يكون أي شيء على ما يرام، لا شيء سيكون على ما يرام. ما كان يجب أن تحظي بهذا الطفل؛ ذلك ما يقوله، وهو يقول إنه سيقتله. إنه يقول ذلك. متى سيولد الطفل؟».

قالت والدته: «لا تقلق، عندما يولد الطفل سـآخذه إلى البلدة، ولن يراه أبداً مجدداً. إنه مريض وضعيف جدًّا، ويستلقي على سريره طوال اليوم، ولا يمكنه فعل شيء».

«لكن، متى سيولد الطفل؟».

قالت والدته بهدوء: «قد يولد في أي وقت. وربما يحدث ذلك قريباً، فينتهي كل شيء. لا تخف يا سيمون. يجب أن تكون قوياً من أجلي يا سيمون».

«لـمَ لا تذهبيـن إلـى المستشـفى؟ لـمَ لا تغادريـن هـذا المـكان لإنجاب الطفل؟».

قالت: «لن يسمح لي بذلك، وسيعيدني ويجعلني ألد في المنزل. لا يريد أن يكتشف أحد الأمر. سنقول إننا عثرنا عليه، ونعهد به إلى أشخاص صالحين. هذا ما يريده، وسيكون كل شيء على ما يرام».

«لكنه يقول إنه سيقتله».

«لن يفعل ذلك».

قال سـيمون: «أنا خائف جدًّا. لماذا يجب أن يكون الأمر على هذه الحال؟ لا أعرف ما أفعله». كرّر: «لا أعرف ما أفعله». وأدركت أنه قلق جدًّا.

وقف آنذاك وهو ينظر إلى والدته التي كانت تستلقي على الفُرش

في المطبخ إلى جانب غرفة النوم الرئيسة. كان ذلك المكان هو المكان الوحيد في المنزل الكبير بما فيه الكفاية، وبدأت تعاني بصمت مطلق. كان توماس في غرفة غريمور، واقترب سيمون من الباب ببطء وأغلقه.

استلقت ميكلينا إلى جانب والدتها، وحاولت ألا تُصدر أي صوت على الإطلاق. وفُتح باب غرفة النوم الرئيسة، وخرج توماس إلى الممر، وذهب إلى المطبخ. كان غريمور يجلس على حافة السرير وهو يتأوه، وقد أرسل توماس إلى المطبخ ليجلب له طبقاً من الثريد الذي لم يكن قد مسّه، وطلب منه أن يتناول شيئاً منه أيضاً.

عندما تجاوز توماس والدته وسيمون وميكلينا، لاحظ أن رأس الطفل قد ظهر، ودفعت والدتهم بكل قوتها حتى ظهرت الكتفان أيضاً.

أخذ توماس طبق الثريد وملعقة. وفجأة، رأت والدته بطرف عينها أنه على وشك أن يتناول لقمة منه.

صرخت يائسة: «توماس! حباً بالله لا تمسَّ ذلك الثريد!».

أطبق صمت مطلق على المنزل، وحدّق الأولاد إلى والدتهم التي كانت تجلس والطفلة المولودة حديثاً بين ذراعيها، وهي تحدّق إلى توماس الذي دُهش كثيراً، وألقى الطبق على الأرض فتحطّم إلى قطع صغيرة.

طقطق السرير.

خرج غريمور إلى الممر، ودخل المطبخ، ونظر إلى والدتهم المستلقية على الأرض، والطفلة المولودة حديثاً بين ذراعيها، وظهر تعبير اشمئزاز على وجهه. نظر إلى توماس، ثم إلى الثريد على الأرض.

قال غريمور بصوتٍ خافت وكأنه قد وجد فجأة الجواب على أحجية كانت تحيّره منذ وقت طويل: «هل ذلك ممكن؟». ثمّ نظر

مجدداً إلى والدة الأولاد.

صرخ: «هل تسممينني؟».

رفعت الوالدة بصرها إلى غريمور، ولم يجرؤ سيمون وميكلينا على النظر إليه، في حين وقف توماس ساكناً فوق الثريد الذي كان قد تناثر على كل الأرضية.

«لم أشك في شيء من هذا القبيل! كل ذلك الخمول، والألم، والمرض...».

نظر غريمور حوله في أرجاء المطبخ، ثم قفز إلى الخزانة وفتح الأدراج بيد مرتعشة. جُنَّ جنونه، وألقى بمحتويات الخزانة على الأرض، والتقط كيساً قديماً من حبوب الذرة ورماه على الجدار. وعندما تمزق، سمع صوت «مرطبان» زجاجيّ يخرج منه ويصطدم بالأرض.

صرخ وهو يرفع «المرطبان»: «هل هذه هي؟». هسَّ: «منذ متى تفعلين هذا؟».

حدّقت والدة الأولاد إلى عينيه. كانت هناك شمعة تحترق على الأرض بجانبها. وبينما كان يبحث عن السم، أمسكت بسرعة مقصاً كبيراً كانت قد أبقته إلى جانبها لتعقّمه في الشعلة، ثم قطعت الحبل السري، وربطته بيدين مرتعشتين.

صرخ غريمور: «أجيبيني!».

لم تكن بحاجة إلى الرد لأنه عرف ذلك من نظرة عينيها، وتعبير وجهها، وعنادها؛ من الطريقة التي كانت تتحدّاه بها دائماً في أعماقها، ولا تتراجع، مهما ضربها. رأى ذلك في معارضتها الصامتة، ونظرة التحدّي التي ترمقه بها، وابنة الجندي غير الشرعية الملطخة بالدماء بين ذراعيها.

صرخ غريمور: «أعطيني إياها! أعطيني الطفلة أيتها الخبيثة اللعينة!».

قال سيمون بصوتٍ أعلى: «دعها وشأنها».

صرخ غريمور: «أعطيني إياها، وإلا قتلتكما. سأقتلكم جميعاً! سأقتلكم جميعاً!».

أرغى فمه زبداً من شدّة الغيظ.

«أيتها الغانية اللعينة! هل تحاولين قتلي؟ هل تظنين أنك تستطيعين قتلي؟».

صرخ سيمون: «توقف!».

أمسكت والدة الأولاد الطفلة بقوة بإحدى ذراعيها، وتحسّست الأرض بحثاً عن المقص بالأخرى، لكنها لم تجده. أبعدت ناظريها عن غريمور، وبحثت عن المقص وهي مهتاجة خائفة، لكنه كان قد اختفى.

* * *

نظر إرلندور إلى ميكلينا وسألها: «من الذي أخذ المقص؟».

كانت ميكلينا تقف بجانب النافذة آنذاك، وتبادل إرلندور وإيلنبورغ النظرات، وكلاهما يفكّران في الأمر نفسه.

سأل إرلندور: «هل أنتِ الوحيدة الباقية التي يمكن أن تسرد ما حدث؟».

قالت ميكلينا: «نعم، ليس هناك أحد آخر».

سألت إيلنبورغ: «من أخذ المقص؟».

28

سألت ميكلينا وعيناها تفيضان دموعاً: «هل ترغبان في لقاء سيمون؟».

قال إرلندور: «سيمون؟». لم يكن يعرف ما تعنيه، ثم تذكر الرجل الذي كان قد أقلّها من التلة. «هل تعنين ابنك؟».

قالت ميكلينا: «لا، ليس ابني، وإنما أخي. أخي سيمون».

«هل هو حي؟».

«نعم، إنه حي».

قال إرلندور: «إذاً، يجب أن نتكلم معه».

ابتسمت ميكلينا: «لن تحصلا على الكثير منه. لكن، لنذهب لرؤيته على أيّ حال؛ فهو يستمتع بالزيارات».

سألت إيلنبورغ: «ألن تُنهي قصتك؟ ما نوع الوحش الذي كان عليه ذلك الرجل؟! لا أصدق هذا! لا أصدّق أنّ هناك من بإمكانه أن يتصرّف على ذلك النحو».

نظر إرلندور إليها.

«سأخبركما في الطريق. لنذهب لرؤية سيمون».

* * *

صاحت والدتهم: «سيمون!».

صرخ سيمون بصوت متهدّج: «دع أمي وشأنها». وقبل أن يدركوا ما يحدث، كان قد غرز المقص في صدر غريمور.

سحب سيمون يده، ورأى أن المقص قد غُرِز حتى المقبض.

نظر غريمور إلى ابنه غير مصدق؛ وكأنه لم يدرك تماماً ما حدث، ثم نقل بصره إلى المقص، لكنه بدا غير قادر على الحركة، فأعاد بصره إلى سيمون.

«هل تقتلني؟». تأوه غريمور وخرّ على ركبتيه، واندفع الدم من الجرح إلى الأرض، وسقط الرجل إلى الخلف ببطء وارتطم بالجدار.

أمسكت والدتهم الطفلة برعب صامت، واستلقت ميكلينا ساكنة إلى جانبها، في حين كان توماس لا يزال واقفاً حيث ألقى الثريد. بدأ سيمون يرتجف وهو واقف بجانب والدته، في حين أن غريمور لم يتحرك.

وأطبق الصمت على المكان، حتى أطلقت والدتهم صرخة حزن ثاقبة.

* * *

توقفت ميكلينا عن الكلام.

«لا أدري إن كانت الطفلة قد ولدت ميتة، أم إن كانت أمي قد ضغطت عليها بقوة كبيرة فاختنقت بين يديها، فقد جاءت قبل أوانها. كانت أمي تتوقع ولادة الطفلة في الربيع، لكنها ولدت في أواخر الشتاء، ولم نسمع صوتها قطّ. لم تنظف أمي حلقها، وحملتها قريباً منها، ووجهها متوارٍ في ملابسها خوفاً منه، خشية أن يأخذها منها».

بناءً على توجيهات ميكلينا، توقف إرلندور قرب منزل مستقل عادي.

سأل إرلندور: «هل كان سيموت بحلول ذلك الربيع؟ أقصد زوجها؟ هل كانت تعتمد على ذلك؟».

قالت ميكلينا: «لا أظن ذلك. فقد كانت تسمّمه طوال ثلاثة شهور، ولم يكن ذلك كافياً».

ركن إرلندور السيارة قرب المدخل وأطفأ المحرك.

سألت وهي تفتح باب السيارة: «هل سمعتما بخبل الراشدين؟».

* * *

حدّقت والدتهم إلى الطفلة الميتة بين ذراعيها، وهزّتها مسعورة إلى الأمام والخلف، ثمّ نشجت وبكت.

حدّق سيمون - غير منزعج على ما يبدو - إلى جثة والده وكأنه لا يصدق ما يراه. وكانت بركة من الدماء قد بدأت تتجمع تحته، فيما كان سيمون يرتعش مثل ورقة في مهب الريح.

حاولت ميكلينا مواساة والدتها، لكن من دون جدوى. وتجاوزهم توماس إلى غرفة النوم، وأغلق الباب من دون أن يقول كلمة، أو يطرأ تغيير على تعبير وجهه.

انقضى بعض الوقت.

استطاعت ميكلينا أخيراً جعل والدتها تهدأ. وعندما استعادت رباطة جأشها وتوقفت عن البكاء، نظرت حولها لوقت طويل، ورأت غريمور ممدداً وهناك بركة من الدم تحته، وسيمون يرتعش بجانبها، ونظرة الكرب على وجه ميكلينا، ثم بدأت تغسل طفلتها بالماء الساخن الذي كان سيمون قد أحضره لها، وتنظفها بحركات بطيئة وحرص شديد. وبدا أنها تعرف ما تفعله من دون التفكير في التفاصيل. وضعت الطفلة جانباً، ثم نهضت وعانقت سيمون الذي كان متسمّراً في مكانه من شدّة الخوف، فتوقف ارتعاشه، وأخذ بدلاً من ذلك ينشج بعمق، فقادته إلى كرسي، وجعلته يجلس عليه، وينظر بعيداً عن الطفلة. ثم ذهبت بعد ذلك إلى غريمور، وأخرجت المقص من الجرح، ورمته في المغسلة.

وجلست على كرسي، وهي تشعر بالإرهاق بعد الولادة.

تكلمت مع سيمون بشأن ما يجب أن يفعلوه، وأصدرت تعليمات إلى ميكلينا أيضاً. لفّوا غريمور ببطّانية، وسحبوا جثته إلى الباب الأمامي، ثم خرجت مع سيمون، ومشيا مسافة بعيدة عن المنزل، حيث بدأ بحفر قبر. بدأ المطر - الذي كان قد توقف في أثناء النهار - يهطل مجدداً؛ بارداً وغزيراً. كانت الأرض متجمدة جزئياً فقط. حفر سيمون التراب بمعولٍ، وبعد أن عمل ساعتين، جلبا الجثة إلى حافة القبر، وسحبا البطانية فوق الحفرة، فسقطت الجثة فيها، ثمّ شدّا البطانية إلى الأعلى من تحتها. استقرت الجثة في القبر، وبقيت اليد اليسرى مرتفعة في الهواء، لكن لم يجرؤ سيمون أو والدته على تحريكها.

عادت والدتهم إلى المنزل بمشية متثاقلة، وحملت الطفلة، وأخرجتها تحت المطر البارد، ووضعتها في الأسفل مع جثة غريمور.

بدأت بعد ذلك بوضع التراب فوق الجثتين، فيما وقف سيمون بجانب القبر، مراقباً الطين الرطب الداكن وهو ينزلق فوق الجثتين، وشاهد كيف اختفتا تدريجياً تحته. كانت ميكلينا قد بدأت بتنظيف المطبخ، لكن لم يكن من الممكن رؤية توماس في أي مكان.

كانت طبقة سميكة من التراب قد غطّت القبر حين انتاب سيمون فجأة انطباع بأن غريمور قد اختلج، فنظر مرتعداً إلى والدته التي لم تكن قد لاحظت شيئاً، ثم حدّق إلى القبر، ورأى مرعوباً الوجه شبه المغطّى بالتراب يتحرك.

فُتحت العينان.

تجمّد سيمون، ثمّ أطلق صرخة قوية، فتوقّفت والدته عن جرف التراب، ونظرت إليه، ثم إلى القبر، ورأت أن غريمور لا يزال حيًّا. وقفت عند حافة القبر، ومع استمرار هطول المطر عليهم، أبعدت الطين عن وجه غريمور، ونظر كلّ منهما إلى عيني الآخر، ثم تحرّكت

شفتا غريمور.

«رجاءً!».

أغمض عينيه مجدداً.

نظرت إلى سيمون، ثم إلى القبر، وأعادت بصرها إلى سيمون، ثم أمسكت المجرفة وتابعت ملء الحفرة وكأن شيئاً لم يحدث. اختفى غريمور عن ناظريهما، ودُفن تحت التراب.

صرخ سيمون: «أمي!».

قالت: «اذهب إلى المنزل يا سيمون، لقد انتهى الأمر. اذهب إلى المنزل وساعد ميكلينا. أرجوك يا سيمون، اذهب إلى المنزل».

نظر سيمون إلى والدته التي كانت تنحني فوق القبر، وهي تمسك بالمجرفة وتنهي ملء الحفرة، وقد ابتلّت بالمطر البارد، ثم مشى مبتعداً من دون أن ينبس بكلمة أخرى.

* * *

قالت ميكلينا: «ظن توماس على الأرجح أن تلك غلطته، ولم يذكر الأمر قطّ ورفض أن يتكلم معنا، وتقوقع على نفسه تماماً. فعندما صرخت أمي، ألقى توماس الطبق على الأرض، وأطلق ذلك سلسلة من الأحداث غيرت حياتنا وقادت إلى وفاة والده».

كانوا ينتظرون سيمون في حجرة جلوس مرتّبة، فقد خرج في نزهة في الحي سيراً على الأقدام، كما قيل لهم، لكنه سيعود في أي لحظة.

قالت ميكلينا: «الأشخاص لطيفون حقًّا هنا، وهو يلقى أفضل معاملة منهم».

قالت إيلنبورغ: «ألم يفتقد أحد غريمور قطّ، أو...؟».

«نظّفت والدتي المنزل برمّته، وبعد أربعة أيام تقدمت ببلاغ إلى

الشرطة قائلة إنّ زوجها قد انطلق سيراً على الأقدام عبر براح هليشيدي إلى سلفوس، لكنها لم تسمع عنه منذ ذلك الوقت. لم يعرف أحد أنها كانت حاملاً، أو على الأقل لم يسألها أحد عن ذلك. أُرسلت فرق بحث إلى البراح، لكن بالطبع لم يُعثر على الجثة قطّ».

«ماذا كان يفترض أن يفعل في سلفوس؟».

قالت ميكلينا: «لم تضطر أمي إلى الخوض في ذلك قطّ، ولم يسألها أحد عن ذلك. فقد كان مداناً سابقاً؛ لصاً. لماذا كانوا سيهتمون بما سيفعله في سلفوس؟ لم يكن يهمهم، على الإطلاق. كانت هناك أشياء أخرى كثيرة يفكرون فيها. في اليوم الذي أبلغت أمي فيه عن اختفائه، أطلق جندي أمريكي النار على أيسلندي وأرداه قتيلاً».

بدت شبه ابتسامة على ثغر ميكلينا.

«مضت عدّة أيام، تحولت إلى أسابيع ولم يظهر، فشطبت القضية، واعتبر مفقوداً؛ شخصاً مفقوداً على الطريقة الأيسلندية العادية».

تنهّدت.

«كان سيمون من بكته أمي كثيراً».

* * *

عندما انتهى كل شيء، بدا المنزل صامتاً على نحو غريب.

جلست والدتهم إلى طاولة المطبخ، وهي لا تزال مبللة من المطر الغزير. كانت تحدّق إلى الخواء ويداها المتسختان على الطاولة، من دون أن تعير أولادها أيّ اهتمام. جلست ميكلينا بجانبها وهي تربت على يديها، وبقي توماس في غرفة النوم لم يخرج منها، في حين وقف سيمون في المطبخ ونظر نحو الخارج؛ إلى المطر، والدموع تنهمر على وجنتيه، ثم نظر إلى والدته وميكلينا، ثم إلى خارج النافذة مجدّداً حيث يمكن رؤية شكل أجمة التوت البري، ثم خرج.

كان مبللاً، ويشعر بالبرد، ويرتعش تحت المطر حين مشى إلى الأجمة، ووقف بجانبها، ومسّ الأغصان العارية. رفع وجهه عالياً ونظر إلى السماء التي كانت سوداء، وسمع قصف الرعد بعيداً عنه.

قال سيمون: «أعرف، لم يكن هناك شيء آخر يمكن فعله». توقف عن الكلام وأحنى رأسه، والمطر ينهمر عليه. «كان الأمر صعباً وشاقاً وسيئاً جدًّا لوقت طويل. لا أعرف لماذا كان على تلك الحال، ولا أدري لماذا اضطررت إلى قتله».

سألت والدته: «إلى من تتكلم يا سيمون؟». كانت قد لحقت به إلى الخارج، ووضعت ذراعيها حوله.

قال سيمون: «أنا مجرم، وقد قتلته».

«ليس في عينيّ يا سيمون، ولا يمكن أن تكون مجرماً في عينيّ أبداً. ربما كان مصيراً جلبه لنفسه. أسوأ ما يمكن أن يحدث هو أن تعاني من جرائه، بعد أن توفي الآن».

«قتلته يا أمي».

«لأنه لم يكن هناك شيء آخر تفعله. يجب أن تفهم ذلك يا سيمون».

«لكن، ينتابني شعور فظيع جدًّا».

«أعرف يا سيمون، أعرف».

«لا أشعر أنني بخير، ولم أشعر بذلك قطّ يا أمي».

نظرت إلى الأجمة.

«ستثمر الأجمة توتاً في الخريف، وسيكون كل شيء بخير حينها. أسمعت ذلك يا سيمون؟ سيكون كل شيء على ما يرام عندها».

29

نظروا إلى الباب الأمامي للمنزل حين فُتح ودخل منه رجل عمره نحو 70 عاماً، شعره أبيض خفيف، ووجهه ودود وبشوش، ويرتدي كنزة صوفية سميكة وسروالاً رمادياً. كان قد قيل لأحد المساعدين الذين يرافقونه إن النزيل لديه زوار، فاصطحب سيمون إلى حجرة الجلوس.

نهض إرلندور وإيلنبورغ، ومشت ميكلينا نحو الرجل وعانقته، فابتسم لها وأصبح وجهه طفولياً.

قال الرجل بصوت فتيّ على نحو مدهش: «ميكلينا».

قالت: «مرحباً يا سيمون، لقد أحضرت معي شخصين يرغبان في التحدث إليك. هذه إيلنبورغ واسم هذا الرجل إرلندور».

قال الرجل وهو يصافحهما: «اسمي سيمون، وميكلينا أختي».

أومأ إرلندور وإيلنبورغ.

قالت ميكلينا: «سيمون سعيد جدًّا، حتى إذا لم نكن نحن كذلك. سيمون مسرور وهذا كل ما يهم».

جلس سيمون معهم، وأمسك يد ميكلينا، ثم ابتسم لها، ومسَّ وجهها، وابتسم لإرلندور وإيلنبورغ أيضاً.

سأل: «من هذان الشخصان؟».

قالت ميكلينا: «إنهما صديقاي».

سأل إرلندور: «هل تشعر بالراحة هنا؟».

سأل سيمون: «ما اسمك؟».

«اسمي إرلندور».

ابتسم سيمون.

«أنا أخ ميكلينا».

مرّرت ميكلينا يدها على ذراعه.

«إنهما محققان يا سيمون».

نظر سيمون إلى إرلندور وإيلنبورغ بالتناوب.

قالت ميكلينا: «إنّهما يعرفان ما حدث».

قال سيمون: «ماتت أمي».

قالت ميكلينا: «نعم، أمي ماتت».

قال سيمون متوسلاً: «تحدّثي أنت، تكلمي معهما». نظر إلى أخته، وتفادى النظر إلى إرلندور وإيلنبورغ.

قالت ميكلينا: «حسناً يا سيمون، سآتي لرؤيتك في ما بعد».

ابتسم سيمون ونهض، ثم ذهب إلى المدخل ومشى في الممر متثاقلاً.

قالت ميكلينا: «خبل الراشدين».

قال إرلندور: «خبل الراشدين؟».

قالت ميكلينا: «لم نكن نعرف حقيقة الأمر، فقد توقف بطريقة ما عن النمو. بقي الفتى اللطيف الطيب نفسه، فمشاعره لم تنضج مع جسده. خبل الراشدين نوعٌ من انفصام الشخصية، وسيمون مثل بيتر بان (صبي يعيش في مسرحية من دون أن يكبر)، ويرتبط ذلك المرض أحياناً بالبلوغ، لكن ربما أُصيب بالمرض قبل ذلك. كان حساساً دائماً، وعندما وقعت تلك الأحداث الفظيعة بدا أنه فقد سيطرته على نفسه، وقد عاش في خوف دائم وشعر بعبء المسؤولية. ظن أن حماية والدتنا أمر منوط به؛ لأنه ببساطة لم يكن هناك أحد آخر يستطيع

فعـل ذلـك. كان الأضخـم والأقـوى بيننـا، حتى حين تبين أنه الأصغر والأضعف».

سألت إيلنبورغ: «هل يقيم في دار الرعاية منذ شبابه؟».

«لا، عـاش مـع والدتـي ومعـي حتـى توفيـت قبـل نحو 26 سـنة مضت. الأشخاص مثل سيمون مرضى طيّعون جداً، ولطيفون عادة، ويسهل أن تكون معهم، لكنهم يحتاجون إلى عناية دائمة وقد وفّرتها له والدتي ما دامت حية. كان يعمل مع المجلس حين يستطيع، فيجمع القمامة أو يلتقط أوراقاً بواسـطة العصا، ويمشـي في طول ريكيافيك وعرضها وهو يعدُّ قطع النفايات التي يضعها في كيسه».

جلسوا صامتين لبعض الوقت.

سألت إيلنبورغ أخيراً: «ألم يتصل ديف ولش بكم قطّ مجدداً؟».

نظرت ميكلينا إليها.

قالت: «انتظرته أمي حتى يوم وفاتها، لكنه لم يعد قطّ».

توقفت عن الكلام قليلاً.

قالـت أخيـراً: «اتصلـت بـه مـن مزرعة الألبان فـي ذلك الصباح حين عاد زوج والدتي، وتكلمت معه».

قال إرلندور: «لكن، لماذا لم يذهب إلى التلة؟».

ابتسمت ميكلينا.

قالت: «كانا قد ودّعا بعضهما بعضاً. كان سـيذهب إلى القارة، وسفينته ستبحر في ذلك الصباح. وهي لم تتصل به لتخبره عن الخطر، وإنما لتودعه وتخبره أن كل شيء على ما يرام. قال إنه سيعود، وعلى الأرجح لقي حتفه في الحرب. لم تسمع أخباراً منه قطّ. لكن، عندما لم يعد بعد الحرب...».

«لكن، لماذا...».

«ظنـت أن غريمـور سـيقتله، ولهـذا عـادت إلى التلة بنفسـها. لم ترغب في أن يساعدها، فقد كان ذلك شأنها وحدها».

قـال إرلنـدور: «لا بـد مـن أنـه عـرف أن زوج والدتك سـيخرج قريباً من السجن، وقد انتشرت أقاويل عن ديف ووالدتك. كان زوج والدتك يعرف ذلك، وقد سمع شيئاً بالتأكيد».

«لم يعرفا كيف علم بالأمر، فقد كانت علاقتهما سرية جدًّا. ولم نعرف كيف اكتشف زوج والدتي ذلك».

«والطفلة...؟».

«لم يعرفا أنها كانت حاملاً».

بقـي إرلنـدور وإيلنبـورغ صامتيـن لبعـض الوقـت، وهما يمعنان التفكير في كلمات ميكلينا.

سأل إرلندور: «وتوماس؟ ماذا حدث له؟».

«توماس ميت الآن. لم يعش إلا 52 سنة. طلق مرتين، وأنجب ثلاثة أولاد؛ صِبيان. لا أتصل بهم إطلاقاً».

سأل إرلندور: «لِمَ لا؟».

«كان مثل والده».

«كيف؟».

«عاش حياة بائسة».

«عفواً؟».

«جعله ذلك مثل والده».

«أتعنين...؟». نظرت إيلنبورغ إلى ميكلينا مستفسرة.

«كان عنيفـاً. كان يضـرب زوجتـه وأولاده، ويبقـى تحـت تأثيـر الشراب».

«علاقته بزوج والدتك؟ هل كانت...؟».

قالت ميكلينا: «لا نعرف، لكنني لا أظن ذلك، وآمل ألا تكون كذلك. حاولت إبعاد تفكيري عن الأمر».

«ماذا كان زوج والدتك يعني بما قاله من القبر؟ رجاء؟ هل كان يطلب منها أن تساعده؟ هل كان يطلب الرحمة؟».

«ناقشنا ذلك مطولاً، أنا وأمي، وخرجت بتفسير يرضيها ويرضيني».

«وما هو؟».

«كان غريمور يعرف حقيقته».

قال إرلندور: «لا أفهم».

«كان غريمور يعرف حقيقته، وأظن أنه عرف في أعماقه الأسباب التي جعلته على تلك الحال، بالرغم من أنه لم يذكرها إطلاقاً. نعرف أنه عانى طفولة قاسية حين كان صبياً صغيراً في ما مضى، وأن الأمر بالتأكيد له علاقة بذلك الصبي. حتى عندما كان في أسوأ حالاته، وغضبه لا يعرف حدوداً، كان ذلك الصبي يصرخ عليه ليتوقف».

قالت إيلنبورغ: «كانت والدتك امرأة شجاعة على نحو لا يصدق».

سأل إرلندور بعد صمت قصير: «هل يمكنني أن أتحدث إليه؟».

قالت ميكلينا: «أتعني سيمون؟».

«هل ذلك ممكن؟ أن أذهب وأراه؟ بمفردنا؟».

«لم يتكلم قطّ عن تلك الأحداث، ليس طوال ذلك الوقت. ظنت أمي أنّه من الأفضل أن نتصرف وكأن شيئاً لم يحدث قطّ. وبعد أن ماتت، حاولت جعل سيمون يفتح قلبه، لكنني عرفت فوراً أن الأمر ميؤوس منه؛ وكأنه لا يحمل ذكريات إلا عن المرحلة التي

تلت الحادثة؛ وكأن كل شيء آخر قد اختفى، لكنه سيقول الجملة المعتادة إذا ضغطت أنا عليه، وبخلاف ذلك سيبقى منغلقاً تماماً على نفسه. إنه ينتمي إلى عالم مختلف أكثر هدوءاً كان قد كوّنه لنفسه».

قال إرلندور: «هل تمانعين؟».

قالت ميكلينا: «لا بأس بذلك بالنسبة إليّ».

نهض إرلندور، وذهب إلى الردهة، ومشى في الرواق. كانت معظم الأبواب المؤدّية إلى الغرف مفتوحة، ورأى سيمون جالساً على حافة سريره، وهو ينظر إلى خارج النافذة. قرع إرلندور على الباب، ونظر سيمون إليه.

قال إرلندور وهو ينتظر إذناً بالدخول: «هل يمكنني الانضمام إليك؟».

نظر سيمون إليه وأومأ، ثم استدار مجدداً إلى النافذة، وتابع النظر إلى الخارج.

بالرغم من وجود كرسي قرب الطاولة، جلس إرلندور على السرير بجانب سيمون، ورأى بعض الصور على الطاولة، وتعرّف على ميكلينا، وفكّر في أن امرأة عجوزاً في واحدة منها قد تكون والدتهم، ومدّ يده وأمسك بواحدة منها. كانت المرأة تجلس إلى طاولة في المطبخ، وهي ترتدي مِبْذلاً من نايلون رقيق عليه شكل ملون، اعتادت نساء كثيرات في مثل عمرها ارتداءه في ذلك الوقت، وتبتسم ابتسامة متكلفة ومبهمة لآلة التصوير. كان سيمون يقف بجانبها، وهو يضحك، وظن إرلندور أن الصورة ربما التُقطت في مطبخ ميكلينا.

سأل سيمون: «هل تلك والدتك؟».

«نعم، تلك أمي. إنها ميتة».

«أعرف».

نظر سيمون إلى خارج النافذة مجدداً، وأعاد إرلندور الصورة إلى الطاولة. جلسا صامتين لبعض الوقت.

سأل إرلندور: «إلامَ تنظر؟».

قال سيمون، وهو لا يزال ينظر إلى خارج النافذة: «أخبرتني أمي أن كل شيء على ما يرام».

قال إرلندور: «كل شيء على ما يرام».

«هل ستأخذني بعيداً؟».

«لا، لن آخذك إلى أي مكان، وإنما أردت فقط أن ألتقيك».

«ربما نصبح صديقين».

قال إرلندور: «بالتأكيد».

جلسا صامتين، وكلا الرجلين ينظر آنذاك إلى خارج النافذة.

سأل سيمون فجأة: «هل أبوك رجلٌ صالح؟».

قال إرلندور: «نعم، كان رجلاً صالحاً».

أطبق الصمت مجدداً.

قال سيمون أخيراً: «هل ستخبرني عنه؟».

قال إرلندور: «نعم، سأخبرك عنه في وقت ما، لقد...».

توقف إرلندور عن الكلام.

«ماذا؟».

«فقد ابنه».

حدّقا إلى خارج النافذة.

قال إرلندور: «هناك شيء واحد فقط أريد أن أعرفه».

قال سيمون: «ما هو؟».

«ما كان اسمها؟».

«من؟».

«والدتك؟».

«لماذا تريد أن تعرف؟».

«لقد حدّثتني ميكلينا عنها، لكنها لم تذكر اسمها قطّ».

«كان اسمها مارغريت».

«مارغريت».

ظهرت ميكلينا في تلك اللحظة عند الباب. وعندما رآها سيمون وقف وذهب إليها.

سأل: «هل أحضرت لي التوت؟ هل جلبت لي التوت البري؟».

قالت ميكلينا: «سأحضر بعض التوت في الخريف، هذا الخريف. سأجلب لك بعض التوت حينها».

30

في تلك اللحظة نفسها، بدأت دمعة صغيرة تتكوّن في إحدى عيني إيفا ليند وهي تستلقي ساكنة من دون حراك في عتمة غرفة العناية الفائقة، وأصبحت الدمعة كبيرة، وخرجت ببطء من طرف عينها، ثم سالت على وجهها، تحت قناع الأوكسجين وصولاً إلى شفتيها.

فتحت عينيها بعد بضع دقائق.

ولد إرنالدور أندريداسون عام 1961، وعمل في صحيفة أيسلندية بصفته صحفياً أولاً، ثم ناقد أفلام بعد ذلك. فاز بجائزة غلاس كي (المفتاح الزجاجي) لأفضل رواية جريمة إسكندنافية عن كلا عمليه: **مخزن الأعضاء البشرية وصمت القبر**، وفازت رواية **صمت القبر** عام 2005 أيضاً بجائزة غولد داغر (الخنجر الذهبي). يعيش أندريداسون في ريكيافيك، أيسلندا.

بينما كان طالب شاب في كلية الطب ينتظر إحضار شقيقه من حفلة، إذ به يرى طفلة تمصّ ما ظن أنه عظمة إنسان. وبعد تقصٍ عن مصدر العظمة، تبين أنها تعود لهيكل عظمي يبدو أن صاحبه قد دفن منذ زمن. في هذه القصة المشوقة يقودنا إرلندور في رحلة التقصي عن الفاعل متنقلاً بين حاضر حياته وماضٍ إجرامي يحاول سبر أغواره. فهل سيكون الحظ حليفه في مهمته هذه أم أن صمت القبر سيكون هو الأقوى.

«إحدى أروع الروايات في تشويقها إلى درجة أنك ترغب في إنهائها في جلسة واحدة... قراءة ممتعة». – The Tampa Tribune

«لقد وثب أرنالدور أندريداسون بالتأكيد إلى لائحة أفضل كتّاب الجريمة الإسكندنافيين».
– Booklist

«لقد وثب أرنالدور أندريداسون بالتأكيد إلى لائحة أفضل كتّاب الجريمة الإسكندنافيين».
– Rocky Mountains News

«أندريداسون ماهر في جعل شخصياته الأقل من عادية غالباً تنبض بالحيوية. ستجد نفسك، بعد قراءتك الفصل الأول، مرغماً على إنهاء هذا الكتاب». – Rocky Mountains News

صدر للمؤلف أيضاً:





الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com

ISBN 978-614-01-0295-8
9 786140 102958

تصميم الغلاف: سامح خلف